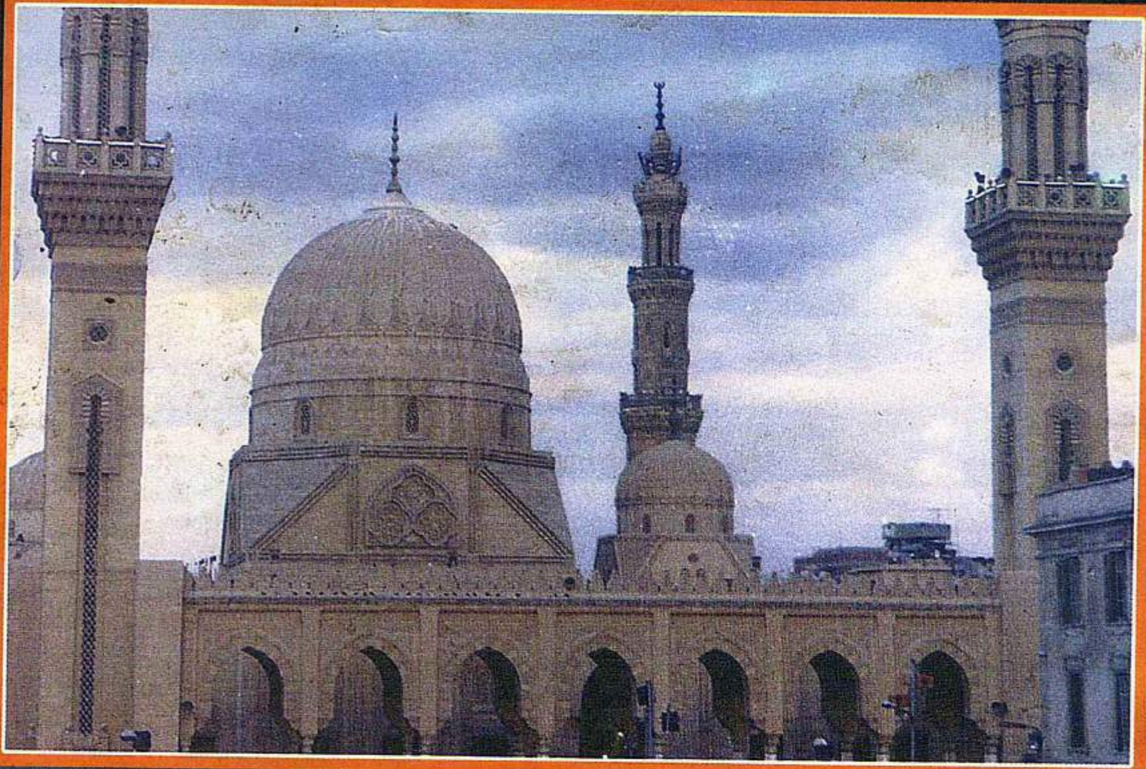
الشيخ: أحمد محمد حجاب



العظة والاعتبار .. آراء فى حياة

السيد البدوى

الدنيوية وحياته البرزخية

تقديم د. جودة أبو اليزيد المهدى

المقطم للنشر والتوزيع

مفاجأة غير متوقعة! أعطاه خمسمائة جنيه، وكان هذا المبلغ فى ذلك الوقت – أوائل الستينات – مبلغًا ضخمًا جدًّا، تُشترى به سيارة جديدة، وما كان الحاج توفيق رحمه الله يعطى مثل هذا المبلغ بمثل هذه السهولة.

أخذ الوالد – رحمه الله – النقود فقضى بها حاجاته وزيادة، ومضت الأيام والشهور وجاء وقت كتابة كتاب جديد، فماذا تظن أيها القارئ الكريم كان هذا الكتاب؟ إنه كتاب "رجال حول الرسول" .. درّة كتب الوالد، بل قل درة يتيمة من درر الأدب العربى المعاصر.. فكان الحاج توفيق -رحمه الله- أول من قام بطبعه.

رضى الله عنك يا والدى..

ورضى الله عن القطب الكبير سيدنا أحمد البدوى وعن جميع أصحابه وأحبابه وعن سيدنا أحمد حجاب صاحب هذا الكتاب، وعن جميع الأولياء والصالحين..

اللهم ارزقنا محبتهم، والأدب معهم، وحسن الاعتقاد فى مواهبك الجليلة لهم.. آمين.

قصة نشر هذا الكتاب

كنت أكتب فصلاً عن السيد البدوى فى كتاب بعنوان: "مدارس الحب مصانع الرجال" عندما رأيت كتاب الشيخ حجاب، واستعنت به مع غيره من المراجع. وأثناء ذلك هاج بى الشوق لزيارة أبى الفتيان بطنطا، وفعلاً ذهبت مع أخى وصديقى فضيلة الدكتور عطية مصطفى، وهناك التقينا مع فضيلة الدكتور جوده أبو اليزيد المهدى الذى سألته عن الشيخ أحمد حجاب، وعلمت منه أنه قد انتقل إلى جوار ربه منذ سنوات طوال وأنه قد دُفن بالمسجد الأحمدى على بعد خطوات من مقام شيخه البدوى.

فزرناه وقرأنا له الفاتحة، ووقع فى قلبى أن أسال فضيلة الدكتور جوده عن إمكانية الاتصال بذويه لأخذ إذن منهم بطبع الكتاب، فأجاب الدكتور جوده بابتسامة راضية، وصحبنا إلى داره المباركة على بعد خطوات من مقام السيد، وهناك أطلعنا على النسخة

الأولى من كتاب الشيخ حجاب وعلى غلافها عبارة مطبوعة مفادها أن طبع الكتاب مأذون به لكل من يريد.

واليوم، ونحن نعد الكتاب للطبع رأيت أن أضمن هذه المقدمة مقتطفات مما كتبت عن السيد البدوى رضى الله عنه فى الكتاب الذى ذكرت اسمه آنفًا، لا لأنها تضيف إلى هذا الكتاب جديدًا، ولكن لحرصى على أن اتصل - به - بسبب، ومن ثم بالقطب الكبير، وتلميذه الجليل رضى الله عنهما وأرضاهما..

۞ ۞ ۞

السيد أحمد البدوى

(٦٧٥هـ)

الذين حاربوا الصليبيين بالأمس، وقهروهم، وأسروا ملوكهم وكبراءهم، وطهروا البلاد من أدناسهم كانوا يحبون أولياء الله، ويتأدبون بهم، ويلتفون حولهم، ويقتفون آثارهم، ويتغنون بمآثرهم وجميل صفاتهم..

والذين انهزموا اليوم للصليبيين، وأعجبتهم طرائقهم، وتجرعوا سمومهم حتى سكروا منها وانتشوا..

هؤلاء الأذلة الخانعون ينكرون على الأبطال بطولاتهم، ويسخرون من كرامات الأولياء التى أعطاها الله لهم دليل صدقهم وطهرهم، وتفانيهم فى محبة الله وطلب مرضاته، وجدهم فى حرب أعدائه.

كم من الأغانى والأناشيد أفرزتها قلوب الجموع المؤمنة، الفرحة بنعمة الله كما فعل أهل المدينة ابتهاجًا بقدوم الحبيب ﷺ، فراحوا يرددون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وإلى يومنا هذا لايزال أهالى دمشق يرددون أنشودة قديمة ترجع إلى القرن السادس الهجرى عندما كان الشيخ أرسلان الدمشقى، بطل الأبطال وفخر الرجال، يقيم فى رباطه الذى بناه خارج أسوار دمشق ليكون، هو ومريدوه، فى حراسة المدينة من خارج، وحتى يكونوا أول من يلقى العدو الصليبى المباغت.

فحمل له أهل دمشق هذا الصنيع، وخلدوا بطولته لتصبح على مر الزمان قدوة لكل شجاع، ومن أولى من الأبطال أن يُتغنى بذكرهم:

شيخ رسلان يا شيخ رسلان
يا حامى البر والشام

۞ ۞ ۞

وفى مصر المحروسة.. لا تزال أناشيد العز والفخار تتردد فى جنبات الموالد وحلقات الذكر:

الله الله يا بدوى جاب اليسرى

وكلمة "اليسرى" هذه تحريف لكلمة (الأسرى)، إذ اشتهر عن أبى الفتيان السيد أحمد البدوى كرامات كثيرة، منها جلبه للأسرى من بلاد الفرنج.

وهذا نشيد توارثته الأجيال، وتناقله المداحون لعدة قرون، ورددته النساء فى البيوت والأطفال فى الأزقة حين يلعبون:

السيد البدوى من طنطا مد إيده جاب الأسير م الفرنج وهو بحديده
وف أول الليل بيقرأ الورد ويعيده وف آخر الليل يسلم ع النبى بإيده

فالأمة تفتخر برجالها الصادقين، وأبطالها الحقيقيين الذين يبقى ذكرهم عبر القرون، ويموت ذكر المدعين والكاذبين بعد سنوات قليلة من موتهم.

فى مولد السيد الذى يأتيه الناس من كل فج عميق، ويجتمعون فى ساحة مسجده كاجتماع الحجيج.. ترى السلاسل فى أيدى من توارثوها عن الأجداد الذين كانوا فى أسر الفرنج، وكان فكاكهم على يد القطب البدوى.

فلم يكن عجبا أن يطلق الناس عليه ـ ضمن ألقابه العديدة ـ لقب " مفرج الكرب "، لما فرّج الله على يديه من كربات الناس.

ويقول هو ـ رضى الله عنه ـ عن نفسه فى شعره:

وأدعى أبا فراج إذ بى تفرّجتَ   كروب الأسارى وانتفى عنهم الذل

۞ ۞ ۞

أقام السيد بطنطا على سطح دار لا يفارقه ليلا ولا نهارًا، حتى عُرف بلقب السطوحى، واشتهرت مدرسته بالسطوحية، وهى التى تخرَّج منها فحول الرجال، وكمّل أهل الولاية، وكبار الدعاة إلى الله.

وإن تربية الرجال لا يقوى عليها إلا الصادقون الذين ماتت نفوسهم، وحيت قلوبهم بذكر الله، فلم يعد لهم هدف إلا مرضاته.. لا يريدون من الدنيا والآخرة إلا الله.

كان السيد، كلما اكتمل حال رجل منهم بعثه إلى ناحية من نواحى مصر، فانتشروا فى أرجائها، يقومون بأعظم مهام الإصلاح وتشييد حقائق الإيمان واليقين، وحسن متابعة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.

ولقد ذكر شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود ـ عليه رحمة الله ـ فى كتابه عن السيد أكثر من أربعين شيخًا من أصحابه الذين وجههم إلى مختلف الأرجاء فى مصر والشام والعراق واليمن والحجاز، فقاموا على أمر الدعوة وتربية المريدين، ونشر الله بهم الهداية والنور بين مالا يحصى عدده إلا الله.

كان القرن السابع الهجرى من أسعد قرون الإسلام إذ شهد انكسار المغول لأول مرة فى تاريخهم الدموى المرعب على أيدى المصريين فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨، وتوالت عليهم بعدها الهزائم إلى أن فل حدّهم وتحولوا تدريجيا إلى الإسلام وصاروا مسلمين.

وشهد أيضا هزائم الصليبيين المتتابعة فى مصر والشام حتى انتهى الأمر إلى اقتلاعهم نهائيًا من آخر معاقلهم بالشام سنة ٦٩٠هـ.

هذه الانتصارات العظيمة ما جاءت من فراغ، ولكنها نتيجة لما تلقت الأمة من تربية وإصلاح على أيدى رجال الصدق وأهل الله.

لم يكن عجبا إذن أن يذخر القرن السابع السعيد بثلة من كبار الأولياء والأقطاب..

- فى طنطا السيد البدوى (ت ٦٧٥) ومدرسته السطوحية.

- وفى الاسكندرية الشيخ أبو الحسن الشاذلى (ت ٦٥٦) مؤسس المدرسة الشاذلية وخليفته الشيخ أبو العباس المرسى (ت ٦٨٦) ومادح الرسول الشيخ شرف الدين البوصيرى (ت ٦٩٥).

- وفى الأقصر الشيخ الكبير أبو الحجاج الأقصرى (ت٦٤٢).

- وفى دسوق بمحافظة كفر الشيخ القطب الكبير الشيخ إبراهيم الدسوقى (ت ٦٧٦).

- وفى القاهرة سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض (ت ٦٣٢) والعز بن عبد السلام سلطان العلماء (ت ٦٦٠) وغيرهم .. وغيرهم..

هم أهل الفتوة والنجدة، وأهل الجهاد، وخير من يصطبرون عليه، وخير من يستنهضون الناس إليه.

قال الإمام الشعرانى فى طبقاته:

"ولما اجتمع الأولياء والعلماء فى وقعة الفرنج بالمنصورة قريبًا من ثغر دمياط جلس الشيخ عز الدين (ابن عبد السلام) والشيخ مكين الدين الأسمر، والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، وأضرابهم، وقُرئت عليهم رسالة القشيرى (أى كتاب الرسالة القشيرية للإمام القشيرى).

وصار كل واحد يتكلم، إذ جاء الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، فقالوا له: نريد أن تسمعنا شيئًا من معانى هذا الكلام. فقال: أنتم مشايخ الإسلام وكبراء الزمان وقد تكلّمتم، فما بقى لكلام مثلى موضع.

فقالوا له: لا بل تكلم.

فحمد الله وأثنى عليه، وشرع يتكلم، فصاح الشيخ عز الدين من داخل الخيمة، وخرج ينادى بأعلى صوته هلموا إلى هذا الكلام القريب العهد من الله. تعالوا فاسمعوا".

والآن.. لك أيها القارئ الكريم أن تستخرج من هذه القصة ما شئت من المعانى والإشارات لفهم السر الذى يحرك أولياء الله، ويجمع القلوب حولهم، ويجعل لكلامهم فى القلوب ما ليس لغيرهم..

ولعلك تسأل: هل شارك السيد أحمد فى الجهاد بنفسه؟

تؤكد بعض المصادر التى تناولت سيرته على اشتراكه بنفسه فى جهاد الصليبيين بالمنصورة، ولكن أهم من ذلك وأخطر أنه كان المدرسة التى خرجت آلاف المجاهدين الذين شاركوا فى المنصورة وغيرها من الوقائع، بل تذكر الروايات أن رجاله كانوا يقومون بأعمال فدائية بمعسكر الأعداء ويتصيدون منه جنود الصليبيين وفرسانهم..

وقد اشتهر أن الظاهر بيبرس (وهو من أعظم ملوك الإسلام المجاهدين للتتار والصليبيين) قد انتسب إلى طريقة السيد أحمد البدوى، وكان البدوى محل اعظامه وتقديره، ويتلقى منه التوجيهات. راجع فى هذا الشأن كتاب الدكتور جوده أبو اليزيد[1]، الفصل التاسع بعنوان: مشاركة الإمام البدوى فى الجهاد فى حروب التتار والصليبيين.

۞ ۞ ۞

وتبقى كلمة أخيرة تعجل بنا إلى الرحيل عن ساحة أبى الفتيان، وإن كنا نرجو أن تجمعنا به الظروف والأيام مرات ومرات.

لماذا كثر اللغط عن السيد البدوى، وكثر من يسيئون به الظن أو يوجهون إليه الاتهامات جزافًا؟

يجيب عن هذا السؤال كلام نفيس قاله القطب الكبير الشيخ أبو الحسن الشاذلى حيث قال:

---

(١) "حقبة القطب النبوى السيد أحمد "طبع دار جوامع الكلم بالقاهرة.

"لمّا علم الله عز وجل ما سيقال فى هذه الطائفة (أى الصوفية) على حسب ما سبق به العلم القديم بدأ سبحانه وتعالى بنفسه؛ فقضى على قوم ـ أعرض عنهم ـ بالشقاء، فنسبوا إليه زوجة وولدا، وفقرًا، وجعلوه مغلول اليدين.

فإذا ضاق ذرع الولى أو الصدّيق لأجل كلام قيل فيه من كُفرٍ وزندقة، وسحر، وجنون، وغير ذلك، نادته هواتف الحق فى سرِّه:

الذى قيل فيك هو وصفك الأصلى لولا فضلى عليك أما ترى إخوتك من بنى آدم كيف وقعوا فى جنابى، نسبوا إلىّ مالا ينبغى لى.. أما لك بى أسوة؟ فقد قيل فى مالا يليق بجلالى، وقيل فى حبيبى محمد ﷺ وفى إخوانه من الأنبياء والرسل مالا يليق..."

(طبقات الشعرانى ١/ ٥٢)

هذه واحدة.. وأخرى:

ولعلها أيضا المراتب العالية، والمقامات السامية، التى يريد الله أن يرقّى إليها أولياؤه وأحبابه، بأن يسلط عليهم ـ بعد أن حلوا بدار كرامته ـ من أعدائهم من يقع فى أعراضهم، وينهش لحومهم، ليستمر إليهم تدفق العطاءات.. ما دامت الأرض والسماوات..

محمد خالد ثابت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اجتبى أهل الولاية لقربه ومحبته ومعرفته وهداهم إلى صراطه المستقيم، وأودع قلوبهم مكنونات أسراره، واستغرق أرواحهم فى محيط أنواره وذلك هو الفوز العظيم.

والصلاة والسلام على روح الوجود سيدنا محمد قطب العوالم بأسرها وفخر الكائنات بجمعها، المستفيض من أنوار الذات والمفيض على كافة المخلوقات والمستجمع لأنوار أسرار القرآن الكريم والمتربع على عرش الخلق العظيم.

اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه وورثته صلاةً تلحقنا بهم فى الدارين بِمَنِّكَ وفضلك وجودك وكرمك بمدد أسمائك وصفاتك ياالله يارحمن يارحيم..

أما بعد:

• فهذا الكتاب المبارك الذى أشرف بالتقديم له: ليس كتابا تقليديا فى سيرة وَلِىٍّ عظيم، يؤرخ لحياته ويعرِّف الناس بمناقبه كسائر الكتب التى صُنِّفَتْ فى هذا الباب، ولكنه: قَبسٌ نورانى محمدىٌّ صدر من مشكاة ولىٍّ عارفٍ ليُميطَ الحُجُبَ ويكشف الأستار عن حقيقة قطب جامع تربع على عرش الولاية المحمدية، وهو فى الوقت ذاته علمٌ من أعلام بيت النبوة فهو فرعٌ حُسَيْنىٌّ شريفٌ أجمع المؤرخون الثقات على اتصال نسبه بسيدنا الإمام الحسين بن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وبسيدتنا فاطمة الزهراء البتول رضوان الله تعالى عليها.

• إنه سُلطان الأولياء وإمام العارفين الأصفياء سيدنا أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وجعلنا من أهل محبته ونخبته فى الدنيا ويوم لقاء الله.

• ولئن حاول المبطلون من خصوم أولياء الله تعالى أن يطفئوا نور الله بأفواههم وينكروا ولاية هذا الإمام العظيم باختلاق دعاوى التَّشَيُّعِ الباطنى والتَّسَيُّسِ لحساب الفاطميين: فقد قيض الله سبحانه من أحباب أوليائه رجالا لإزهاق الأباطيل الملفقة ولرد الحق إلى نصابه ونصره القطب البدوى - باعتباره رمزا وعلما للولاية المحمدية - وكان لى شرف الإسهام فى دفع الأباطيل عن هذا الولى العظيم بإصدار الكتاب الأول من (الموسوعة الأحمدية البدوية) عن (حقيقة القطب النبوى السيد أحمد البدوى رضى الله تعالى عنه) ويتلوه بمشيئة الله تعالى باقى الإصدارات التى تكشف وجه الحقيقة الدامغة.

• فضلا عن أن أكابر العلماء قد صنفوا كتبا عديدة فى مناقب القطب البدوى على امتداد الأعصار كالإمام نور الدين الحلبى الذى ألف فى القرن العاشر (النصحية العلوية فى بيان حسن طريقة السادة الأحمدية) والعلامة الشيخ عبد الصمد الأحمدى صاحب (الجواهر السنية فى النسب والكرامات الأحمدية) والعلامة الشيخ عبده حسن راشد الخفاجى صاحب (النفحات الأحمدية) وقد طبع عدة طبعات. ومن أكابر علماء عصرنا أستاذنا الشيخ الإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رضى الله عنه فقد صنف كتاب (السيد أحمد البدوى) نشر دار الشعب، وصرح فيه بأنه صنفه بإذن مباشر من سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه.

• كما صدرت كتب معاصرة عن حياة مولانا السيد البدوى وطريقته للأساتذة: إبراهيم نور الدين والسيد أحمد طعيمة والأستاذ أحمد عز الدين خلف الله والشيخ عطية محمود عطا والدكتور سعيد عاشور وغيرهم.. وبالإضافة إلى ذلك: صدرت كتب مضادة حافلة بالعداء والافتراء على أبى الفتيان رضى الله عنه مثل كتاب محمود أبى رية وكتاب محمد فهمى عبد اللطيف وكتاب د. أحمد صبحى وكتاب ينسب إلى عبد الله صابر وغير ذلك.

• أما كتابنا هذا (العظة والاعتبـار: آراء فى حياة السيد البدوى، الدنيوية وحياتـه

البرزخية) للعارف بالله تعالى سيدى أحمد حجاب رضى الله تعالى عنه: فإنه يتميز بأنه كتاب لولىٍّ عن سلطان الأولياء، ويتفوق على أترابه بأنه كتاب عرفانى ألفه عارف كبير عن إمام العارفين. وصنَّفَهُ شيخ عن شيخه الذى تربى على يديه (تربية أويسية) - نسبة إلى سيدنا أويس القرنى التابعى الذى ربَّتْهُ روحانية سيد العالمين صلوات الله وسلامه عليه.

• وقد صدق العلامة المحقق الشيخ أحمد عز الدين خلف الله - الذى حقق كتاب (النصيحة العلوية) وألف (كرامات وأوراد القطب النبوى السيد أحمد البدوى - إذ قال فى ثبت مصادر تحقيقه لكتاب (النصيحة) المذكور : (أحمد حجاب الأحمدى: نادرة زمانه، قدوة السادة الأحمدية علما وعملاً وسلوكا وخلقا: السيد أحمد حجاب بن محمد بن محمد بن أحمد بن على حجاب (١٣٠٩ - ١٣٩٨هـ ١٨٩٢/١/١٤ - ١٩٧٨/٧/١٣م).

• وقال فى تعليقه على بعض فقرات (النصيحة العلوية) ص ١٠٤: (وبهذه المناسبة نقول: إن هذا الكتاب - أى (العظة والاعتبار) خير كتاب معاصر صدر فى تاريخ حياة السيد رضى الله عنه).

• أجل إن هذا الكتاب - كما قلت آنفا - قبس نورانى محمدى صدر من مشكاة ولىٍّ عارف ليميط الحجب ويكشف الأستار عن حقيقة هذا الوارث المحمدى القطب الجامع سيدى أحمد البدوى رضوان الله عليه، فهو - إذن - ليس كتابا نظريا فحسب بل هو خلاصة تجربة روحية عاشها المؤلف مع شيخه الذى ارتفعت الحجب بينه وبينه فكان يُرَبِّيه وهو فى برزخه ويكشف له عن أنوار حقيقته (على قدر طاقته) ويُسمعُه خطابه ويرشده ويوجهه إلى معالى الأموز ويرقيه إلى أسمى المقامات الولائية.

• وقد أنعم الله تعالى علينا بمعاصرته ومحادثته والصلاة خلفه بالقبة الأحمدية الشريفة وطالما نعمنا بسماع قراءاته للقرآن فى صلاة القيام فى ليالى شهر القرآن وكنت أتوجه للسلام عليه فى محراب القبة الأحمدية بأمر من شيخى ووالدى

العارف بالله تعالى سيدى محمد أبى اليزيد المهدى رضى الله تعالى عنه الذى صَرَّح لى ذات مرة بأن سيدى أحمد حجاب كان من (الأوتاد) ولعل هذا أحد المقامات الولائية التى تحقق بها رضى الله عنه.

وإن نشر هذا الكتاب (النورانى) فى هذه الحقبة بالذات ليحمل الخير الكثير إلى من يستشرفون آفاق الخير فى عصر تكاثفت فيه غيوم الفتن المذهبية المارقة المضلّلة، فهو إطلالة نورانية على وجه الحقيقة فى زمن عزت فيه رؤية الحقيقة. (يهدى الله لنوره من يشاء)

هذا وقد شرفنى الله عز وجل بخدمة هذا الكتاب المبارك بمراجعته وتصحيح أخطاء عديدة فى طبعته السالفة وتنظيم فقراته، ووضع بعض العناوين الجانبية لتوضيح المضامين الموضوعية الهامة وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى غير ذلك مما يخدم هذا العمل الجليل.

ومن عرفان الحق لأهله أشكر لأخى الأستاذ محمد خالد محمد خالد إسهامه بنشر هذا الكتاب حبا فى القطب البدوى وخدمة لطلاب الحقيقة، والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ . د . جوده محمد أبو اليزيد المهدى
عميد كلية القرآن الكريم بطنطا

ترجمة المؤلف

هو (العارف بالله تعالى الشيخ) "أحمد محمد حجاب" عبد الله وخادم القرآن وابن السيد البدوى روحيا.

وهو -بسنده الصوفى- "أحمد محمد حجاب" ابن السيد محمد الشريف بن السيد محمد الإدريسى بن السيد أحمد الإدريسى بن السيد عبد الوهاب التاز بن السيد عبد العزيز الدباغ "صاحب كتاب الابريز" ابن الخضر عليه السلام ابن رسول الله ﷺ.

فليس بينه وبين حضرة الرسول إلا ستة من شيوخه كما أنه ليس بينه وبين حضرته فى نسبه الروحى (الأحمدى) إلا "السيد أحمد البدوى".

وهو "أحمد محمد حجاب" بن محمد حجاب بن أحمد على حجاب نسبا، ولد بقرية "مناحريت" تبع مديرية الدقهلية أولا والشرقية أخيرا فى أوائل العقد الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى، وحفظ القرآن وجوده على طريقة "الميهى" ثم طريقة "الجزرى" ثم حفظ جميع المتون والمصنفات الأزهرية التى تدرس فى القسم الابتدائى والقسم الثانوى قبل انتسابه للعلم فى العقد الأول من حياته، ثم انتسب فى طلب العلم بالجامع الأحمدى وسنه تسع سنوات، ولما دخل النظام فى الأزهر وملحقاته سنة ١٣٢٧ هجرية انتظم فى سلكه فى السنة الثانية "ابتدائى" ثم أخذ العالمية النظامية سنة ١٣٣٧ هجرية ولم يُخْفِقْ قبل أخذها فى امتحان رأسا، وكان ترتيبه بين عموم طلبة المعاهد هو "السادس" فى العالمية النظامية والرابع فى الشهادة الثانوية ولم يتجاوز السابع فى عموم سنى النقل، ولم يوظف فى وظيفة حكومية ولا غير حكومية طول حياته، ولم ينقطع عن العلم يوما واحدا كذلك، وتعرف بالمتصوفة فى سن مبكرة ولازم حدودهم بقدر استطاعته، ولم يبارز ربه قبل أن يعرفهم ولا بعد أن عرفهم بمعصية واحدة، وأمره الآن معلق بقضاء الله الحكيم بعد اتصاله به إن شاء قبله وإن شاء رده عن أعتابه،

وكانت إقامته موزعة بين المدن الثلاث "طنطا" مدة طلب العلم كله، ثم بعد العالمية غادرها وأقام بالقاهرة ست سنوات، ثم غادرها إلى الإسكندرية وأقام بها أربعة عشر عاما، ثم غادر الإسكندرية إلى طنطا ثانيا فى أواخر العقد الخامس من حياته واستوطنها نهائيا، ثم شرع فى كتابة هذا الكتاب سنة ١٣٧٨ هـ . وأتمه فى بضعة أشهر راجيا به وجه الله الكريم ومريدا به الدفاع عن أحبابه، وإيقاف المعترض عند حده، ورده إلى صوابه.

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يديم به النفع للمسلمين.

۞ ۞ ۞

كلمة المؤلف بين يدى الكتاب

أحمد الله، وأصلى على رسول الله.

وبعد: فإن سيدى أحمد البدوى فى غنى تام عن الإشادة بفضله والتعرف بمركزه الصوفى، وقيمته الروحية، لأن الله تعالى قد وضع له فى القلوب منزلة لا تبارى، وأبقى له لسان صدق فى الآخرين لا يمحى، فمن تحصيل الحاصل أن يحاول مثلى أن يرفع من شأن هذه المنزلة أو يعمل على تثبيت قواعدها وتشييد دعائمها فى قلوب الناس، وهذه الحالة قد لازمته فى حياته، ولم تفارقه بعد مماته، فأينما حللت فى أي بقعة من بقاع الدنيا وجدت فيها سيرته. وأينما توجهت إلى أى جهة من جهاتها سبقتك إليها شهرته، ولاحقتك فيها ذكراه المجيدة، وقد يرجع السبب فى ذلك إلى ما ورد فى الحديث من أن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل عليه السلام إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى أهل السماء أن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول فى أهل الأرض.

فكان من العجيب حقا أن يظهر بين الناس من يتجاهل هذه المنزلة ويتغافل عما أجمعت عليه القلوب وتطابقت عليه الألسنة، فيحاول أن ينقص من قدرها وأن يحط من شأنها بلا مبرر وبدون سند.

كان ذلك هو السبب فى أنى أجمعت أمرى وتوكلت على الله فى أن أكتب رسالة فى تاريخ حياة السيد البدوى الدنيوية وفى حياته البرزخية، لا لأرفع من شأنه ولا لأشيد بفضله فإنه كما قلنا فى غنى عن كل ذلك، ولكن لأضع الأمور فى نصابها، ولأوقظ الغافل، وأنبه الجاهل، وألفت نظره إلى أن ما بناه الله ورفعه لا يمكن أبدا نقضه ولا هدمه، ولا يفيد عند أحد التقليل من شأنه.

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأعيا قرنه الوعل

وربما كان الأبلغ والأوفق أن أسكت عن الرد على ما كتب هذا المعترض فى السيد البدوى من هذيان واختلاق، لأن الرد عليه يثبت له صفة الاعتبار، ويثبت بكلامه ـ فى شأن البدوى ـ عند الناس، وكل ما كتبه ونقله فى الطعن عليه هو هراء فى هراء، وصرخة فى فضاء لا شبه له فى نظرى إلا بطنين أجنحة الذباب فهل تراه يضير؟ وهل تحس له من أثر؟ وهل تسمع له ركزا؟ نعم: كان من الأبلغ ومن الأوفق أن أسكت عن الرد على هذا المعترض، ولكنى آثرت العظة والذكرى بما كتبته فى حياة هذا البطل العظيم فإن الذكرى تنفع المؤمنين، فكتبت هذه الرسالة وأوضحت لهذا المعترض عدم سلامة عقيدته فى إنكار الكرامات إطلاقا، وزيغه عن طريق الصواب فى بعض معتقداته الفاسدة، ووضعت يده على موضع الخطأ فيها، وبينت له الصواب وكشفت عن شىء من حياة البدوى البرزخية وكيف يربى أولاده وهو فى هذه الحياة وأزحت الستار عن السر فى تزاحم ملايين البشر على زيارته، وعن مدى علوم البدوى ومعارفه ومبلغ درجته العلمية والروحية، وأعماله وآثاره فى شتى أطوار حياته وبعد مماته، وأوضحت الكثير من كلماته التى لم تحل ألغازها الآن لأبين لهذا المعترض خطأه فى التقليل من شأن البدوى مقلدا فى هذا الخطأ دائرة المعارف للمستشرقين، ثم تعرضت

لطرف هام من رحلته إلى العراق أغفله كل الكاتبين لخفاء عناصره، يتعلق بقصة بنت بري وأعوانها وما كان من سيدى أحمد معها ومع أعوانها، وأوقفت المعترض على أخطائه فى وجهه الطعن فى النسب عند الكلام على النسب الشريف، وكشفت للقارئ عن جميع ألقابه وما ترمى إليه من دلالة، وكيف لقب بها عن جدارة كما بينت فرائده الثمانية التى تتعلق بطريقته وذكرت للعظة والاعتبار أيضا أكثر من عشرين كرامة لبعض الأقطاب الكبار شاهدتها بعينى، ثم أتبعت ذلك "برسالة" واضحة تثبت بحق صحة التوسل بالأنبياء والمقربين أحياء أو أمواتا، كما استطردت فى التعرض للموالد ومحاسنها ومثالبها والحكم لها أو عليها، إلى غير ذلك من الموضوعات التى تهم القارئ فى هذا الميدان الدينى الفسيح ولا سيما فيما يتعلق بالله جل جلاله وما يتعلق بمحمد رسول الله ﷺ، وأرجو الله أن أكون قد وفقت فيما كتبت، كما أرجوه أن يجعل لى القبول فى قلوب المؤمنين وأحبابه المخلصين، وأن يجعلنى من المقبولين عند حضرته والمشمولين برعايته وعنايته لا لأنى أدفع الأذى عن أحبابه، فإن دفع الأذى عنهم واجب على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن لأنى معترف بقصورى وتقصيرى فى هذا السبيل والسلام.

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، وإمام العالمين سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين وخلفائه الراشدين، وأصحابه أجمعين.

"أما بعد" فإن الله تعالى جلت قدرته، وتعالت حكمته، اصطفى من عباده رجالا لحضرته، أقامهم فى خدمته، وحققهم بأخلص عبوديته، ومتعهم بشرف محبته، اصطفاهم لا ليلتفتوا إلى غيره، ولا ليشتغلوا بأنفسهم عن نفسه، ولا لتلهيهم الدنيا بزخرفها عن ذكره، اصطفاهم ليكونوا له أبدا، وليجعلوه نصب أعينهم سرمدا، لا تفكير لهم إلا فى الثناء عليه ويتكلمون وهم للحق يناجون، وينامون وهم عن ربهم لا يغفلون، ويستيقظون وهم فى طلبه دائبون، قلوبهم أبدية الحركة بذكره، وجوارحهم معصومة عن معصيته، وعيونهم أينما تقلبت لا تقع إلا على ما فيه زيادة استبصار، وبصائرهم مستضيئة بأقدس الأنوار يشاهدون بها عظمة جلال الله الواحد القهار، الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، قائما بنفسه مستويا على عرشه، استواء مشهودا لهم، ومعروفا عندهم، أولئك هم الأبرار المقربون، وحزب الله المفلحون، لم ينالوا هذا الفضل من ربهم إلا بصدق اتباعهم للشريعة المحمدية، وصادق تمسكهم بالسنة النبوية، نالوه باعتصامهم بحبل الله المتين، واستمساكهم بكتاب الله المبين ووقوفهم أبدا مع ما رسمه الصادق الأمين، واختطه لهم هديه المستقيم وكلما كان استمساكهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله على مستوى أعلى وطريق أرفع، كلما كانت معارفهم الإلهية وفيوضاتهم الربانية أعظم وأوسع، وكلما كانت أعمالهم أكثر انطباقا على تعاليم الشرع وأخلاقهم أشد اتصالا بأخلاق القرآن كلما قرب وجه الشبه بينهم وبين حضرة الرسول الأكبر صلوات الله وسلامه عليه، ومن شدة التشابه فى الأعمال والتقارب فى الأخلاق

قد يقوى وجه الشبه بينهم وبينه فتتجلى حقيقته فى حقيقتهم وتتحلى روحانيتهم بروحانيته، وأحيانا تبدو روحانيتهم وشعارها المنطبع معها فى حضرتها صورة قدمه الشريف إيذانا بأنهم على قدم وسيرة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ومن هنا تفاوتت أقدار الرجال وتفاضلت علومهم ومعارفهم وتنوعت مشاربهم وتمايزت قواهم الروحية، وتباينت قدرهم المعنوية. فكان منهم الأثبت قدما والأوسع علما ومعرفة، والأعلى مشربا والأقوى روحا، والأقدر على فعل ما تعجز عنه القوى والقدر، وكان فيهم القريب من ذلك ومنهم الأشد قربا، وكان ممن نال قصب السبق فى هذا الميدان الفسيح الأرجاء، وبلغ الذروة العليا فى هذه الفضائل الروحية ذلك الإمام العلوى والسيد الشريف النبوى سيدى وأستاذى (السيد أحمد البدوى) الذى يعد بحق فخر الأمة المحمدية، والباب المفتوح للحضرة المصطفوية والوارث الجامع للعلوم الربانية، والمربى الأول فى حياته البرزخية، والمثل الأعلى فى مراعاة آداب الربوبية، والإمام الممتاز فى الولاية الصديقية، والعبقرى الفذ الذى لم أر مثله ثباتا فى قدم، واتساعا فى معرفة، وعلوا فى مشرب، وقوة فى روح وقدرة على فعل الأعاجيب التى يعجز العقل عن تصوُّرها، والفهم عن تقديرها فى سماحة وظرف وهمة وشجاعة منقطعة النظير، ولما كان من سنة الله فى خلقه أن عظماء الرجال وكبار الأبطال لابد أن يعترضهم فى سبيلهم كثير من المؤامرات، وينتشر فى طريقهم سيل من العثرات، هذا يناصبهم العداء. وهذا يزدريهم، وهذا يستهزئ بهم، وهذا يحط من قدرهم، وكان سيدى أحمد بعظمته الروحية. ومكانته الشخصية. محلا لجريان تلك الألسنة عليه فآثرت أن ألقم المعترضين عليه حجرا يقف فى حلاقيمهم، وأشهر فى وجوههم سيفا مسلولا أدرأ به فى نحورهم. بما بينت من فضائله وأوضحت من شمائله: فقلت مستعينا بالله متذرعا بعظمته.

مقدمة
فى تربية البرزخية

اختص الله سيدى أحمد البدوى بهذه الفضائل الروحية لا ليختزنها فى نفسه، ولا ليحلى بها روحه ولا ليجلى بمزاياها شخصيته . بل لينفع الله بها على يديه العباد، وليبثها فى الناس بثا كلما وجد لها حملة ورجالا كملة، أمناء صادقين، وعلماء ربانيين يحفظون ميثاقه ويحافظون على طريقته، وهو رضى الله عنه يربيهم على مقتضاها وله فى كل عصر طبقة يرعاها ويتبناها، سنة جعلها الله له ومزية اختصه الله بها ولن تجد لسنة الله تبديلا - والمزية تقتضى أفضلية نسبية ولا سيما إذا كانت تلك المزية من نوع رفيع ممتاز خارق لما عليه القدر، وفوق ما تنتجه القوى، وكيف لا تقتضى أفضلية لروح جعل الله فى استطاعتها أن تقوم بعد موتها بنفس الوظيفة التى كانت عليها فى حياتها - تربى أولادها وترعاهم وترشدهم وتنبههم من غفلتهم وتأمرهم وتحذرهم وتلقنهم ما يناسبهم من أنواع الذكر، وتعلمهم آداب صلاتهم وواجبات قيامهم ومقادير أعمالهم، وتوجههم إلى ما ينبغى أن تقع عليه الطاعة ويكون عليه القلب فى الحضرة التى عرفتهم بها، وأشهدتهم إياها.

وكل هذه الإرشادات يحصل العلم بها لهؤلاء الأمناء الصادقين إما بطريق العبارة أو بطريق دلالة الإشارة أو دلالة المفهوم أو غير ذلك من أنواع الدلالات المعروفة على حسب ما يستدعيه المقام بل وغير ذلك من أنواع الدلالات الأخرى كطريقة رسم المسائل لهؤلاء الأمناء أو تمثيلها بالرسوم أو التمثيلات التى تدل عليها، فيفهمون من هذه الرسوم أو التمثيلات ما ترمى إليه وتدل عليه، ومن هنا لابد أن تكون الفطانة من صفاتهم، وَحِدَّةُ الذكاء من مميزاتهم، وهذه الرسوم والتمثيلات ليس لها صحيفة إلا سطح الأرض أو سطوح الأحجام وكل ما يقع عليه البصر أيا كان، يتبلور دالا عليها كمعبر عنها، وقد يكون الإرشاد بغير هذا وذاك كطريقة القرع أو ما يشبه القرع كالنقر

والغمز لكن لا بالمقرعة ولا بما يشبه المقرعة، وليست هذه المزية فى تربيتة البرزخية مجرد دعوى يدعيها مدع وإنما هى دعوى ثابتة بكل ما تثبت بـه الـدعاوى الحقـة يـشهد بهـا المبصر ويشاهدها ذوو البصائر النيرة التى أفـاض الله علـى أصـحابها نـورا مـن أنـواره القدسية جعل مستقرها حاسة الإبصار أيضا يرى بواسطة هذا النور المحسوسات العادية وغير العادية، سواء أغمض العينين أو لم يغمضها كما يرى النائم بنفس العينين كـل مـا يعرض له قريبا أو بعيدا حيا أو ميتا وهو لم يفتحهمـا، كـل أربـاب البـصائر فـى سـائر العصور يشاهدون ذلك وكل أرباب الفضل من أهل العلم يشهدون بذلك.

قال الأستاذ الشعرانى: وممن بلغنا أنه يربى أولاده وهـو فـى الـبرزخ سـيدى أحمـد البدوى لكن ذلك خاص بمريده الصادق كسيدى محمد الشناوى فإنى زرت معه سـيدى أحمد فشاوره الشيخ فى سفره إلى مصر، فقال له سيدى أحمد "سافر وتوكـل علـى الله" هذا كلام سمعته بأذنى الظاهرة، وليس قول الأستاذ الـشعرانى أن سـيدى أحمـد يربـى أولاده وهو فى البرزخ وقوله: إنه سمع كلامه بأذنه الظاهرة يصرح لتلميـذ بالـسفر إلى القاهرة إلا شهادة واحدة من آلاف الشهادات التى تقع للفرد الواحد من طبقة واحـدة فى عصر واحد ممن تولى سيدى أحمد تربيتهم بنفسه، ولو أتيح أو أبيح لتلـك الطبقـات المتكاثرة المنبثة فى القرون السبعة المتقدمة أن يفصحوا عمـا سمعـوا عنـه ويـشهدوا بمـا علموا منه وتلقوا عنه لضاقت عن سردها الموسوعات، ولاَكْتَظَّتْ بعجائبهـا المـدونات، لأن الحالة فى التربية الروحية تتطلب كل ما تتطلبه التربية الظاهرية من أخذ ورد ونصح وتوجيه، بل إن التربية الروحية أوسع مدى وأعمق غورا لأنها كما تقـوم علـى محاسـبة المربى لتلميذه على أعمال الجوارح الظاهرة وأعماله الباطنة تقوم أيـضا علـى المحاسـبة على الخـواطر النفسية التـى تتـوارد علـى الـنفس فتـصرفها عـن مراقبـة واستحـضار مقصودها وهو الحق تبارك وتعالى، حتى لو فرض وأوقع مثلا سجوده كاملا بطمأنيناتـه وتسبيحاته بدون أن يستحضر فى نفسه جلال وجه ربه تبارك وتعالى كأنه يراه، لقرعت رأسه أثناء سجوده بما يكاد يذهله تنبيها على ذلك الخطأ الفاحش الأثـيم، ولـيس هـذا النوع من التربية التى امتاز بها سيدى أحمد بدعا فى الإسلام، فقديما ربى رسـول الله ﷺ

أويسا القرنى تربية روحية ولم يتلاقيا (فى الظاهر) وهى معروفة فى لسان القوم بالتربية الأويسية نسبة إلى أويس القرنى رضى الله عنه، وطريقته فى تربيته البرزخية هى بعينها طريقته التى كان يتبعها فى حياته الدنيوية متمشية مع نصوص القرآن، وأحكام القرآن لا يمكن أن ينصرف عن ذلك أو يحيد، ومما لفت نظرى إلى أن عنايته منصرفة إلى القرآن والعمل بنصوصه ما لمسته منه فى واقعة حال صادفتنى فى الحياة وذلك أنه اعترضتنى فى الحياة مسألة ضاقت نفسى بها وعجزت تماما عن حلها، وكان لهذه المسألة قصة طريفة استغرقت وقائعها أكثر من أربعين عاما، وتتلخص هذه الوقائع فى أنى قضيت نصف هذه المدة تقريبا فى تلاوة أدعية وأذكار خاصة معروفة عند القوم وقضيت النصف الآخر من هذه المدة فى تلاوة القرآن الكريم كوسيلة إلى زيادة التقرب إلى الله تعالى، وكان لذلك الذكر وهذه التلاوة آثارهما ونتائجهما المترتبة عليهما، غير أنى عندما حاولت أن أسير على مقتضى النتيجتين، فوجئت بأن نظام السلوك يقضى بأن يكون السير إما على مقتضى النتيجة الأولى، وإما على مقتضى النتيجة الثانية، لأن القلب لا يتسع إلا لنتيجة واحدة، فلابد للنتيجتين معا من رجل يحمل قلبين، أو رجل يحمل قلبا واحدا صنعته قدرة تجمع بين الثلج والنار فى إناء واحد، كانت هذه أقسى مفاجأة عرفتها فى حياتى لأن كلا من النتيجتين بذلت فى سبيلها الكثير من جهدى وطاقتى ولأن كل واحدة منهما تُبْذَلُ فى سبيلها الروح نفْسُها: تنازعتنى بعد ذلك الأراء وتجاذبتنى الأهواء فوقفت فى مفترق الطرق، وأنا لا أقبل أن أختار، ولا أن أنحرف ذات اليمين أو ذات اليسار، أسائل نفسى هل يتطور قلبى إلى مخلوق يجمع بين الثلج والنار، وهنا أسمع سيدى أحمد البدوى يقول: "القرآن القرآن" يردد هذا اللفظ مرارا وتكرار، لماذا ينادى هذا النداء ويؤكد هذا التأكيد؟ لأن القرآن متمسَّكُهُ، ولأنه قدوته وعمدته، ولأنه كان يعلن فى حياته الدنيوية أن طريقته تدور على الكتاب والسنة، وهو كذلك فى حياته البرزخية لا يتحول عن ذلك ولا يحيد. وقد بلغ من اعتصامه بكتاب الله أن جعل حزبه الكبير مجموعة آيات محكمات افتتحها بأم القرآن،

وأتبعها بجميع آيات التوحيد الخالص التى ذكرت فى القرآن فى بضع وثلاثين آية والتى تشهد بأن لا إله إلا الله.

۞ ۞ ۞

السبب فى كتابة هذه الرسالة

بينما أنا سائر فى الطريق حول المسجد الأحمدى إذ وقع بصرى على كتاب عند بعض باعة الصحف عنوانه "السيد البدوى" فتناولت هذا الكتاب ومررت مرورا سريعا على بعض محتوياته، ففاجأتنى عبارات خارجة عن الأصول المرعية فى السنة والكتاب، ومن هذه العبارات قول حضرة الكاتب ويدعى "محمود أبو رية":

السيد البدوى ليس بسيد وليس فى الإسلام سيادة دينية لأحد ولا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه.

هكذا يسخر هذا الكاتب بالبدوى عماد بيت النبوة، وعلى رأسه إمام العالمين ﷺ، ويتجاهل أقدار الرجال الذين أنقذونا من الشرك وعبادة الأصنام، وأدخلونا فى الإسلام ويسوقوننا إلى معرفة ربهم سوقا فيحاول أن يجردهم من ثياب الشرف والسيادة التى ألبسهم الله إياها واختصهم بها وينسى مع ذلك شكر نعمة الله التى غمرته من فيض هذا السبب الكريم، ثم سرت فى قراءتى قليلا، فإذا هو يروى أحاديث العامة يسوقها كأنها براهين قاطعة وأدلة ساطعة، ويرتب عليها نتائج خرساء عمياء باطلة أساسها تلك الأدلة الخرافية التى استقاها من أفواه العوام وغايتها التهجين والتهوين من شأن سيدى أحمد البدوى، بهذا المرور السريع لم أستبن عقيدة هذا الكاتب المستهتر، كما أنى لم أسمع من قبل باسمه الذى كتبه مبتورا عن أى تعريف، فأخذت أبحث عن السبب فى هذا التجنى الأثيم الذى شعرت منه بأن هناك عداوة مبيتة بين هذا الكاتب وبين سيدى أحمد البدوى، أو ثأرا قديما أورث فى نفسه حقدا دفينا أكل قلبه فأخرجه عن صوابه، فقلبت الكتاب من أوله فإذا هو يستهله بالعقيدة التى مجتها الأنفس ونبذها

العقلاء وأهملوها فى جملة المهملات، عقيدة إنكار كرامات الأولياء، وإنكار ما أجمع عليه السلف والخلف فى الإسلام، وشهد به سواد الأمة وشاهدوه ودونوه وأثبته القرآن فى أكثر من موضع - إذ يقول حضرة الكاتب، "إن الله لا يخرق العادة لأحد من خلقه إلا لإظهار معجزة على يد أحد من رسله" وبعد أن وقفت على هذه العقيدة الضالة تأملت قليلا فيما كتبه فإذا هو يتبعها بعقيدة أخرى أدهى وأضل، عقيدة التحلل من الأحكام الدينية والتخلى عن الشرائع الإلهية، إذ يقول حضرته "إن الله قد جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها بعقولهم وتفكيرهم وإدراكهم وكسبهم وليتعاون بعضهم مع بعض على ما يقضى به الاجتماع البشرى من الأسباب العامة بينهم على أن يكون ذلك كله فى نطاق من العدل والحرية والمساواة وما إليها مما يحفظ النظام العام بينهم" ثم يقول حضرته بعد ذلك هذا هو الدين القويم الذى بينه محمد فى رسالته بيانا صريحا بحديث صحيح أرشد به الناس أجمعين ليسيروا على منهاجه فى كل زمان ومكان، فقال عليه الصلاة والسلام: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" ثم يقول حضرته "ومن ينحرف عن هذا الطريق المستقيم فإنه ولا ريب يضل ضلالا بعيدا" انتهى كلامه وكان على حضرته أن يستر عن الناس عقائده الضالة فلا يجاهر بها فى مستهل كتابه ليوهم الناس أن ما اختلقه من أباطيل فى السيد البدوى ليس من زرع هذا الوادى ولا من نباته الخبيث، ولكنه قد فاته حسن التدبير وخانه العقل وخذله التفكير، فما تقول أيها القارئ فى مسلم يدعى على الله إفكا وزورا أنه قد جعل أمر الدنيا للناس وأطلقهم فيها إطلاقا يعملون ما يشاءون على أن يكون أساس أعمالهم على حسب ما تقضى به عقولهم ويوحى به تفكيرهم ويتعاونون كما يشاءون على أن يكون أساس تعاونهم على حسب الأسباب العامة التى يقضى بها المجتمع، يعنى أنهم يعملون ويتعاونون بلا ضابط من شرع ولا رابط من دين، ويدعى على رسوله كذبا أنه قد بين ذلك بيانا صريحا بحديث: "أنتم أعلم بأمور دنياكم". ويتمم فريته ويقول: إنه عليه الصلاة والسلام أرشد الناس بهذا الحديث ليسيروا على منهاجه فى كل زمان وفى كل مكان.

ويختتم فريته بأسوأ ختام فيقول: إن هذا هو الدين القويم ومن ينحرف عن ذلك

فقد ضل ضلالا بعيدا، هل مر عليك فى تاريخ الإسلام من أول نشأته إلى تاريخ هذا الكاتب فى السيد البدوى أن مسلما واحدا لا أقول عالما ولا متعلما بل أقول مسلما ولو أميا اعتدى على رسول الله ﷺ وقال إنه أرشد الناس بحديث: "أنتم أعلم بأمور دنياكم". ليرسم لهم طريقة جديدة فى التشريع الإسلامى، يسيرون على منهاجها فى كل زمان ومكان على حسب ميولهم وأهوائهم غير الطريقة التى شرعها الله له من قبل، وسار على منهاجها فى صدر الإسلام، ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يترك بابا من أبواب التشريع الإسلامى سواء ما كان منه متعلقا بشئون الدنيا أو بشئون الآخرة إلا وله فيه حكم شرعى مأخوذ من حديث له عليه الصلاة والسلام فكيف يتصور أن ينقض ما بناه ويرجع عما أمره الله، وكيف يتصور أن يتراجع أمام أصحابه وغير أصحابه ويعدل عن رسالته فى التشريع لأنهم أعلم منه وكيف يبيح لهم أن يكونوا طلقاء أحرار فى مزارعتهم ومخابرتهم ومساقاتهم وعقود شركاتهم وتعاملهم بالربا وعقود الإجازات ورهن العقارات وهو نفسه لم يترك بابا واحدا من أبوابها إلا وقد بين لهم فيه حكما وشرع لهم فيه شرعا، إن من لم يعرف معنى الفوضى العقلية فى فهم العقائد الدينية فليقرأها فى كلام هذا الكاتب ـ وإنى لأعجب كيف يفترى على الله ورسوله معا فى دعوى ودليلها، يفترى على الله فى الدعوى، ويفترى على رسوله فى الدليل، يفترى على الله فى دعوى أنه قد جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها على ما تقضى به عقولهم وبدون أن يتقيدوا بأحكامه وشرائعه، ويفترى على رسوله فى أنه قد ساق حديث "أنتم أعلم بأمر دنياكم" لبيان هذه الدعوى المفتراه، أى لبيان أنهم لا يسيرون فى أمر دنياهم إلا وراء عقولهم وما يوحى به تفكيرهم، وبدون أن يرجعوا إلى أحكام الله وشرائع الله لأنهم أعلم بأمور دنياهم من رسول الله ﷺ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1]، إن هذا الكاتب لا عذر له فى افترائه على الله ورسوله وإنما هو يتعمد أن يتلاعب بالأحكام الشرعية والشرائع السماوية، ويحاول أن يسير فيها على

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥.

حسب ميوله المنحرفة ونزغاته الضالة، قاطعا النظر عن كل ما استنبطه الأئمة من أحكام واستخرجه العلماء الراسخون من تشريع. ثم يقول عن هذا التلاعب إنه هو الدين القويم الذى بينه محمد فى رسالته بيانا صريحا بحديث "أنتم أعلم بأمر دنياكم"، وإنى لأبين له الوضع الصحيح لوقائع هذا الحديث فلعله يثوب إلى رشده ويرجع عن غيه ويعترف بالحق وينخرط فى سلك القائمين على نصرته، إن وقائع هذا الحديث تنحصر فى أن النبى ﷺ مر فى طريقه بالمدينة على قوم يؤبرون نخلهم (يلقحونه)، فقال ما أظن يغنى ذلك شيئا، فهل قوله عليه الصلاة والسلام هذا إخبار منه بأن التلقيح لا يفيد كإخباراته التى كان يسوقها فى تعليم أصحابه كل ما يحتاجون إليه فى شئونهم الدنيوية والأخروية؟! أو هو ظن منه مقول بلفظ الظن حيث قال لهم ما أظن يغنى ذلك شيئا؟ فإذا كان ظنا، فإن جاء الواقع موافقا لما ظنه فالأمر ظاهر، وإن لم يجئ الواقع موافقا لما ظنه لم يخرج عن كونه ظنا لم يتحقق.

ولما تركوا النخل بدون تلقيح وخرج شيصا سألوه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فبين لهم الحقيقة وقال إنما كان ظنا منى وليس إخبارا عن الله وهنا اختلفت روايات مسلم الذى انفرد عن باقى الكتب الستة الصحيحة برواية هذا الحديث، اختلفت رواياته فيما قاله لهم عليه الصلاة والسلام ففى رواية له أنه قال لهم "أنتم أعلم بأمر دنياكم" وهنا يجب أن نقف قليلا لنفهم ما يعنيه الرسول عليه الصلاة والسلام من ذكر هذه الجملة لهم - هل يفهم منها أن هؤلاء المؤبرين للنخيل أعلم منه فى خصوص هذا الأمر الذى ظنه وظهر خلافه أو أعلم منه فى كل ما أخبرهم به من أمور الدنيا التى ذكر فيها عشرات الآلاف من أحاديثه النبوية، وعشرات الآلاف من الأحكام الشرعية التى انعقدت لها أبواب المعاملات فى الفقه الإسلامى؟ - يسىء إلى نفسه ويسىء إلى الحقيقة ويسىء إلى الرسول ويرمى نفسه بالفوضى العقلية فى فهم العقائد الدينية من يفهم أن الرسول يريد أن هؤلاء المؤبرين للنخيل أعلم من الرسول فى كل شىء من أمور الدنيا، وكيف يفهم هذا المعترض ذلك الفهم وأمام عينيه عشرات الآلاف من القرائن الصارفة عن إرادة هذا المعنى - وإذا ثبت أنه عليه الصلاة والسلام يريد أنهم

أعلم فيما ظنه وظهر خلافه فهل يسوغ لعاقل أن يأخذ قوله عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم فيما ظننته وظهر خلافه ويجعله دليلا على أن الله جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها بعقولهم وأهوائهم؛ لأن النبى ﷺ قال للمؤبرين للنخيل أنتم أعلم فيما ظننته وظهر خلافه، إذا كان يسوغ ذلك فى نظر هذا الكاتب فقولوا على العلم والإسلام السلام.

ولعمر الحق أن حديث "أنتم أعلم بأمر دنياكم" فى نظرى أكبر سند وأقوى برهان على أن هذا القرآن من عند الله وأوضح دليل على صدق الرسول وأنه لا ينطق عن الهوى لأنه لو كان القرآن من عند غير الله أى من عند النبى لما خفيت عنه مسألة تأبير النخيل المعروفة لكل أحد فخفاء هذه المسالة عليه دليل واضح على أن القرآن من عند الله لا من عند نفسه فإن من عنده علوم القرآن التى لا نهاية لها لا يمكن لها أن تخفى عليه مسألة واضحة كهذه، فهو إلزام للخصم بأقوى حجة وأوضح برهان وكأن الله تبارك وتعالى لم يبين لرسوله ما ظنه وظهر خلافه لأنه كان ظنا منه وليس إخبارا فلهذا لم يبين له حقيقة الأمر ولم يبينه له أيضا ليلزم خصومه بهذا الإلزام الواضح المحسوس فإن من تخفى عليه مسألة تأبير النخيل لا يمكن أن تكون علوم القرآن منبثقة منه.

۞ ۞ ۞

السيادة الدينية فى الإسلام

علمت أن هذا المعترض يذهب إلى أنه ليس فى الإسلام سيادة دينية لأحد ولا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه، وإنما ظهرت هذه السيادة كما يقول حضرته فى العصور المتأخرة. ونحن لا نقول له إن السيادة الدينية أثبتها القرآن فى نفسه ونادت بها الملائكة ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[١].

ولا نقول إن السيادة الدينية أثبتها رسول الله ﷺ لنفسه تحدثا بنعمة الله تعالى فقال

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٩.

أنا سيد ولد آدم ولا فخر، ولا نقول له: إن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال للأنصار قوموا إلى سيدكم ، ولا نقول له إن الإمام الشافعى رضى الله عنه ينادى هو وأصحابه وكل طبقات الشافعية ينادون فى صلاتهم من القرن الثانى إلى يومنا هذا فى المساجد والبيوت وكل بقاع الدنيا (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد) ولا نقول له إن لفظ السيد إذ ذكر بين الرؤساء والعلماء والكبراء وأرباب الرأى والمثقفين والشيوخ والشباب والنساء والأطفال لا ينصرف هذا اللفظ إلا إلى السيد البدوى ويكفى فى السيادة الدينية له هذا الإجماع فكل هذه الطوائف لا يجتمعون على خطأ، لا نقول له كل هذا لنقنعه أن السيادة الدينية ثابتة فى الإسلام وأولى بها وأحق رسول الإسلام، وثابتة أيضا للسيد أحمد البدوى بإجماع الرأى العام لا نقول له كل ذلك لنقنعه وإنما نقول له إذا كنت لا تبالى بخروجك على الرأى العام ولا تستحى من ذكر اسم رسول الله ﷺ مجردا عن السيادة والشرف.. فاصنع ما شئت.

حكم منكر الكرامة – [محمود أبو رية]–:

يرى هذا الكاتب أن الكرامات شعوذات وأباطيل والعلم الحديث ينفر منها والعقل يمقتها ولا يصدقها، فهو ينفى ظهور الخوارق مطلقا على يد أحد غير الرسل، ويخالف ما أجمع عليه السلف والخلف وشهد به سواد الأمة بعد أن شاهدوه وأثبتوه وتناقلوه ودونوه فيما يعجز عن حمله، ونحن نقول له إن الكرامة أثبتها القرآن نفسه فى محكم آياته، وقد أجمع العلماء على أن من ينكر القرآن أو شيئا من آياته المحكمة أو المتشابهة أو حكما دلت عليه آية محكمة فهو كافر ـ وثبوت الكرامة دلت عليه آيات محكمات فى أكثر من موضع من القرآن فى قصة آصف ومريم وأصحاب الكهف وغيرهم فأخذت حكما ثابتا يجرى على قياس منطقى صحيح المقدمات مسلم النتيجة، وهو أن الكرامة ثابتة بنصوص القرآن المحكمة وكل ما هو ثابت بنصوص القرآن المحكمة يكفر منكره، فكيف يقول المعترض بعد هذا إن الكرامات شعوذات وأباطيل والعلم الصحيح ينفر منها والعقل يمقتها ولا يصدقها وكيف يقول فى مستهل كتابه إن الله لا يخرق العادة

لأحد من خلقه إلا لإظهار معجزة على يد أحد من رسله.

فشل المعترض فى حججه الواهية:

عَلِمْتُ المهاوى التى سقط فيها المعترض واطلعت على عقائده الفاسدة التى تقوده من قماطه وتدفعه إلى أسوأ مصير - قرأت هذه العقائد فى صفحتين من أول كتابه ثم قرأت صفحة ثالثة ورابعة وخامسة فإذا هى صفحات سوداء جرداء سودها بالجهل قلمه وجردها عن الآداب الإنسانية عدم الحياء عنده - أخذ يجمع فيها من الخرافات كل ساقطة. ويحشو فيها من كلمات العجائز كل شائنة ويرويها للناس كأنها مقاطع اليقين ليتخذ منها سلما للطعن وبابا للقدح فى أبطال الإسلام وعباقرة المسلمين - وما للسيد البدوى ولعجوز شمطاء فهمت بجهلها أو قالت على حسب ظنها - إن زيارة سيدى أحمد البدوى سبع مرات تعدل حجة مقبولة أو تعدل سبع حجات متقبلات - وما له رضى الله عنه ولكذاب وضاع افترى على الله قوله: "الملك ملكى وصرفت فيه أحمد البدوى" وقال عنه إنه حديث قدسى - فهل يليق برجل عاقل أن يتصيد هذا الكلام وأمثاله من أهواء العجائز وأقوال الوضاعين ويجعل منه أداة للطعن فى قادة المسلمين وسندا يحاجج به ويحاول أن يحط من هذه العظمة التى أرسى الله قواعدها وأقام دعائمها وباركها حتى عمت الخافقين؟ إن رجلا لا يملك دليلا واحدا يستند إليه فى طعنه لا يعدو أن يكون جاهلا أو معتوها ومثل هذا خَلِيقٌ بأن يهمل أمره وينبذ قوله ويرمى به فى زوايا المهملات، وإنى لأعجب كيف يتلقى هذه الخرافات بالقبول ويجعلها سندا له وهو فى الوقت نفسه لا يتلقى أحاديث الرسول ﷺ بالقبول حتى ولو ثبتت فى الكتب الستة الصحيحة - إن الرجل العاقل إذا سمع طفلا يسب رجلا سأله لماذا تسبه فإذا ذكر له سببا معقولا عذره وإذا لم يذكر له سببا معقولا مقته ولعنه وها نحن أولاء نسمع سبا وهذيانا فنسأل لماذا كل هذا؟ ونبحث عن السبب فلا نجد سببا فلا يسعنا إلا أن نمقت ونلعن من يسب الناس عدوا بغير دليل.

السر فى أن البشر تتزاحم على زيارة سيدى أحمد البدوى

إن هذا المعترض لو علم البواعث الحقيقية على ارتباط القلوب بسيدى أحمد، والأسباب التى تحمل الناس على اعتقادهم فيه لأراح واستراح، فليعلم أن هذه البواعث ليست من عمل الناس ولا هى من قوة نفوذ سيدى أحمد ولا من عمل يده ولا هى نتيجة ظاهرة أو مستترة استطاعت أن تجمع ملايين البشر على حبه واعتقاده على رغم تفرقهم فى أنحاء الدنيا وأرجاء المعمورة ،ولكنها آثار أنوار الذات المقدسة التى امتلأ بها قلب هذا الولى الكبير وامتزجت بها روحه وانمحت فيها هويته فأنوار معرفة الحق إذا قذف الله بها فى قلب ولى انفتحت لهذا الولى القلوب النيرة، وأجمعت على محبته واحترامه - إلا من طرد ربك - وهرعت إليه وأقبلت بكليتها عليه حنينا من نور إيمانها إلى نور أقوى إضاءة وأقرب إلى أصله فهو تواصل قهرى وتجاذب روحى عبر عنه الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير بقوله:"إن نور معرفة الله مخدوم ففى أى قلب حضر صار ذلك الإنسان مخدوما" . وقال الإمام أيضا: "إن الكمال محبوب لذاته لا لغيره وكل من اتصف بصفة الكمال صار محبوبا لكل أحد" ثم قال: "ولا كمال للعبد أشرف وأغلى من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله، مستغرق اللسان بذكر الله، مستغرق الجوارح والأعضاء بعبوديته. فإذا ظهر على العبد أمر من هذا الباب صارت الألسنة جارية بمدحه والقلوب مجبولة على حبه، وكلما كانت هذه الصفات أكثر كلما كانت هذه المحبة أكثر" وانتهى كلامه.

وجميع المؤرخين وكل الناس أجمعوا على أن سيدى أحمد البدوى قد قضى حياته الطويلة منذ نعومة أظفاره إلى آخر لحظة من حياته مستغرق القلب بمعرفة الله مستغرق الجوارح بعبوديته يغترف من موارد أنوار الذات ويقتبس من معينها ويستمد من فيوضاتها لا ينثنى عن ذلك ولا يحيد فمشاهداته كانت دائمية وجمعيته بالحق كانت أبدية كما يشهد بذلك ملازمته للسطوح ومداومته الإحداق ببصره نحو السماء وملازمته للثامين: فكان يلازم السطوح السنين العديدة لا ليستنشق الهواء ولكن فرارا من الخلطاء

لئلا تحجب الأغيار صفاء الأنوار عن شغاف بصيرته، وكان يحدق ببصره نحو السماء لا لينظر فى النجوم ولكن ليطالع تجليات الحق ويتابع أنوار الذات ومن كثرة هذه المطالعة انطبعت على محياه هذه الأنوار وتركت أثرا ظاهرا يقرؤه كل واحد، فكان يستر وجهه باللثامين ليحجب عن الأعين آثار تلك الأنوار وهذا أمر معروف عند أهل هذه المشاهد ومُشَاهَدٌ لهم، ونحن نشاهد مثله فى بعض المعادن إذا أدنيت من المصباح فإنها على حجريتها تتلألأ فى الظلام، وبهذا يظهر مدحه بأبى اللثامين وكأن لثاما واحدا كان ينم عنه فلهذا التزم اللثامين زيادة فى الاحتجاب عن أعين الناظرين. من أجل ذلك توافدت ملايين البشر لزيارته مما لا تشهد مثله فى أى بقعة من بقاع العالم ولا سيما فى مولده وليحفزهم ذلك على انتهاج سيرته والأخذ بمبادئه فى الطاعة وسلوك سبيله فى المعرفة ـ وليشهدوا للإسلام بالصحة ولرسول الإسلام بالصدق ـ وليعرفوا كيف يخرج الإسلام أبطالا ربانيين وعلماء محمديين، وما ثمرة الديانات إذا لم تثمر مثل هذا الثمر وتنتج مثل هذا الإنتاج، ومن أجل ذلك ألقوا فى صندوق نذره ما لم يلق عشر معشاره فى أى صندوق آخر من صناديق النذور، ومن أجل ذلك وقفوا عليه من الضياع والعقار ما لم يوقف مثله أو بعضه على غيره ـ ومن أجل ذلك قدموا له الهدايا واختصوا بها فقراءه والمساكين من حوله، ومن اختصهم الله بالبلاء والعجز والعمى والمصائب التى عافاك الله منها أيها المعترض ولو شاء لأمسك لسانك عن الطعن فى أحبابه وأطلقه بالثناء والحمد على من تستدر الرحمات ببركتهم من أحبابه المقربين ـ وما كان لهذا المعترض أن يزج بنفسه فى التكلم عن شخصية البدوى وهو لا يعرف عنها إلا مثل ما يعرف الأكمه – الذى ولد أعمى – عن قرص الشمس إذا وصف له بأنه جسم مستدير كالرغيف، فخيل إلى هذا الأكمه أن الشمس جسم ضئيل يمكن تناوله بسهولة وهضمه بسهولة فأخذ ذلك الأعمى يهذى ويقول اسمعوا أيها الناس لا تصدقوا أن الشمس جسم نورانى ما دامت جسما مستديرا كالرغيف، إن هذا الضوء الذى تزعمون أنه منبعث منها خيالات وأوهام إنها لا تنير لكم الطريق ولا تهديكم السبل، إنها تضلكم ولا تنفعكم اسمعوا أنا النذير العريان إنكم إن اعتقدتم أن فيها أى فائدة أو

صدقتم أن فيها أى منفعة فسيوقعكم هذا الاعتقاد فى عبادتها من دون الله، وسيجركم ذلك إلى الإشراك لا محالة، فاستمتاعكم بأشعتها إشراك، واعترافكم لها بأى فائدة إشراك، وطلبكم لأى منفعة من منافعها إشراك وما هى إلا جسم مستدير كالرغيف اسمعوا فأنا الأعمى الموحد وأنتم يا ذوى الأبصار والبصائر جميعا مشركون!!

وليس أدل على عدم معرفته بالأولياء مما كتبه هو بنفسه فى كتابه (السيد البدوى) وهو أنه أراد أن يعرف ولى الله فعقد لذلك فصلا من فصوله العجيبة عنوانه بالحروف العريضة "من هو الولى" ثم افتتحه بما يأتى: قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾[1] ، ثم اختتمه بقوله ونختم قولنا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[2].

وإنى لأعجب من خلط هذا المعترض الذى يخلط بين أولياء الله وأولياء الناس، ولا يعرف الفرق بين ولى الله وولى الناس، فيذكر فى تعريف ولى الله ولى الناس ولا يميز الفرق بين الوليين!! والفرق بين الوليين أن ولى الناس هو الله ورسوله والمؤمنون وليس لمن خالفهم فى دينهم عليهم ولاية أمامهم فبعضهم أولياء بعض قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3]، ولا يذكر ولى الناس فى القرآن إلا مضافا للناس نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ﴾ فأضاف ولايته عليه الصلاة والسلام إلى نفسه ونحو قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فأضاف تبارك وتعالى ولايته إلى عباده المؤمنين، وقد يذكر ولى الناس غير مضافا للناس ـ ولكن المعنى على الإضافة للناس نحو﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ ﴾[4] أى ولى لهم ـ أما ولى الله فلا يذكر فى القرآن إلا مضافا لله نحو ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾[5] ! ـ إذا علمت ما تقدم فاعلم أن هذا المعترض قد خلط بين ولى الله وولى الناس فذكر فى

---

(١) سورة الشورى: ٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٣) سورة المائدة: ٥٥.

(٤) سورة الكهف من الآية الكريمة: ٢٦.

(٥) سورة يونس: ٦٢.

تعريف ولى الله قوله: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ﴾ ! ، وقوله ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ مع أن قوله ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ﴾ فى بيان ولى الناس لا فى بيان ولى الله فكيف يجعل هذا فى تعريف ذاك - فحضرة المعترض يُعَرِّفُ ولى الله بما يباينه ويغايره - ولعل هذا من العلم الحديث الذى ينفر من الكرامات ويمقتها ولا يصدقها وإذا كان حكم على البدوى بأنه درويش ضئيل الشخصية فإنى أترك للقارئ أن يحكم على شخصية هذا المعترض من الناحية الدينية والعقلية والعلمية والأدبية بما سمعه من عقائده وفهمه من علمه الحديث أما أنا فأدعو الله أن يحفظ عليه الإيمان والعقل ويبصره بالعلم ويمسك لسانه عن السخرية بآل بيت رسول الله الطاهرين وعلى رأسهم إمام العالمين صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه أجمعين.

۞ ۞ ۞

شخصية السيد البدوى

تعرف شخصية الرجل بقوة عزيمته، واعتزازه بنفسه. وتفانيه فى التمسك بمبادئه الحقة، وبذل روحه وراحته فى سبيل الحصول على غايته الشريفة، ووصوله إلى قمة المجد بعمله، وصموده فى مواجهة الشدائد بمفرده، وقوة جلده على تحمل شظف الحياة وتكاليفها الشاقة عن طمأنينة ويقين، وحدبه على الضعفاء، وعطفه على الفقراء وتبوئه فى النفوس أسمى منزلة بقوة شخصيته، واختراقه لحجب المستقبل ببعد نظره، ومساهمته فى تثبيت دعائم الحق وتقويم المعوج فى أمته، وتعرف أيضا بعلو الهمة، ونبل المقصد، وطهارة النفس وتعدى النفع، وكل هذه الصفات يلمسها المتتبع بإمعان لصفات سيدى أحمد البدوى يلمسها متمثلة بكل معانيها فى تاريخه اللامع واحدة واحدة ولو شئنا أن نفرد لهذه الخصال الشريفة فصولا مستقلة، ونوضح فيها بالأدلة والوقائع التاريخية كل خصلة منها لفعلنا ذلك. ولكنا نكتفى ببعض الأمثلة حذرا من التطويل.

قوة عزيمته:

عنوان شخصية الرجل قوة عزيمة فالرجل القوى العزم هو الذى لا يعرف معنى هوادة ولا لين ولا يعترف باعتراض أى مشكلة من مشاكل الحياة أمامه مهما كانت و كيفما كانت عظيمة حتى يفوز ببغيته و يصل الى غايته و قد تصل به قوة العزيمة إلى بذل روحه وراحته فى سبيل الحصول على غايته الشريفة.

ومن يمعن النظر فى سلوك سيدى أحمد البدوى يجد أنه بصدق عزيمته كأنه يسابق ركب الحياة ليسبقه ويناهض متن الوجود ليعلوه، تسعة وسبعون عاما من حياته يقضيها كلها فى طلب غاية واحدة وحاجة واحدة يقوم لها الليل ويصوم لها النهار، ويقطع لذيذ الطعام، ويمتنع لأجلها عن الكلام، ويفنى فى سبيلها حواسه وجوارحه، فتتوقد عيناه فى طلبها كالجمر وتلتهب أحشاؤه من الشوق إليها حتى يصبح مستغيثا وينادى مستجيرا، ويقيم على ضيم فى سبيلها عشرات السنين بين عشائر غير عشيرته، وأهل ذوى قرباه، يهيم فى طلبها. ولا يتحول إلى غيرها، بين قائم وساجد وذكر لها مستديم، حتى تحولت نبضات القلب اللاإرادية إلى نبضات إرادية، تنطق بذكر الله وتتوالى فى سرعة البرق وخفة الريح مرددة الله.. الله..، حتى غلبت تلك النبضات على ذكر اللسان وشقشقة البيان، فأى عزيمة هذه وعلى أى شىء تدل، وإذا كانت العزائم تعبر عن أقدار الرجال فجدير بهذه العزيمة أن تضرب مثلا أعلى فى علو القدر وقوة الشخصية وعلو الهمة و انقطاع النظير.

اعتزازه بنفسه:

كان رضى الله عنه يعتز بنفسه أيما اعتزاز و لأيعول إلا عليها فى بلوغ أهدافه و فى سبيل الوصول الى غايته . ويؤثر عنه أنه عرضت عليه مفاتيح الشام والعراق من سيدى أحمد الرفاعى و من سيدى عبد القادر الجيلانى عرضا روحيا فأبى ذلك و قال كلمته المشهورة : أنا منكما وأنا لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح، قال هذا اعتزازا بنفسه

وتجنبا لأن يكون تابعا لغيره بأى نوع من أنواع التبعية ولو كان فى تلك التبعية تسلم الزعامة الدينية فى تلك الأصقاع، لأن نفسه وثابة إلى العلا، طموحة إلى غاية لا نهائية، فهى تبغى الكمال المطلق، والمعرفة المطلقة، والزعامة المطلقة، فلا تأخذ المفتاح إلا من يد الفتاح، وقد منحه الله ما أراد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وكبار الأولياء يرون من واجب قيامهم بالدعوة إلى ربهم أن يعرضوا طريقهم على كل من يرون فيه استعدادا لأن يشرب من منهلهم ويقتبس من قبسهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا ونشاهد من بعض الأولياء من يحظر على مريديه مقابلتهم لغيرهم ونشاهد بعضا آخر يطلق العنان لمريديه فيبيح لمن يرى منهلا أعذب من مورده أن يَـرِدَهُ. ويبالغ بعض آخر فيحظر مقابلة الأحياء وزيارة الأموات ويستثنى بعضهم من هذا الحظر آل بيت رسول الله الأقربين، نقول هذا ليعلم أن مقابلة الرفاعى للبدوى كانت روحية وكذلك مقابلة الجيلانى له أيضا وأن عرضهما عليه طريقهما أمر معروف عند القوم ومفروغ منه وأنه كان عرضا روحيا.

نفوذ بصيرته وغزارة علمه فى الشريعة والحقيقة:

كثر الحديث عن سيدى أحمد البدوى وعن حاله الذى يتزايد يوما بعد يوم حتى بلغ الحديث مسامع شيخ الإسلام الكبير تقى الدين أبى الفتح بن محمد بن على بن دقيق العيد القوصى حامل لواء العلم فى عصره فاستنهضه هذا الحدث للقيام بزيارته بطنطا، ولكنه تريث فى الأمر فأحب أن يستطلع حقيقة أمره قبل أن يسافر هو بنفسه فأرسل إلى الشيخ عبد العزيز الدرينى يقول له توجه إلى السيد أحمد البدوى واسأله عن العلم ثم اكتب لى تقريرًا عن جميع مشاهداتك التى تشهدها منه، فتوجه الشيخ عبد العزيز إلى طنطا وأخذ معه كتابا يسمى "كتاب الشجرة" ليمتحنه فيه، وهو يشتمل على فن الحديث والفقه وبعض الفنون الأخرى، وقابل فى طنطا أول من قابل قاضيها الشرعى وكان يدعى علاء الدين وأخبره بأن شيخ الإسلام أرسله ليستطلع حالة السيد البدوى العلمية. وأنه أحضر معه كتاب الشجرة ليمتحنه فيه فإن هو فهم ما فيه فأنا

أعتقده وأرد الجواب عنه إلى قاضى القضاة. فقال له هو فى بيت الشيخ ركين، فلما وصل إلى البيت استأذن الشيخ عبد العال فأذن له ثم سلم على سيدى أحمد البدوى فرد عليه السلام وقال له يا عبد العزيز من وصل إلى مقام التسليم فاز برياض النعيم جئت تسأل عن العلم وفى كمك كتاب الشجرة فتعجب الشيخ عبد العزيز من نفوذ بصيرته. ثم قال له سيدى أحمد سلنى عما شئت فإنى أجيبك فسأله عن المسائل التى جاء ليسأله فيها فأجابه عنها بأحسن جواب، فما وسع الدريني إذا سئل عنه إلا أن يقول هو بحر لا يدرك له قرار!! ولما هم بالانصراف قال له قل لقاضى القضاة يصحح مصحفه المعلق فى صدر حجرته فإن فيه خطأين أحدهما فى سورة الرحمن والخطأ الثانى فى سورة يس!! وكأنه رضى الله عنه قرأ القرآن فى مصحف ابن دقيق العيد وهو فى مجلسه مع الدرينى فلم يجد فيه إلا هذين الخطأين وفى سورتين متباعدتين وهو بطنطا والمصحف معلق فى حجرة الشيخ بالقاهرة.

ولم يسع الشيخ الدرينى إلا أن يكتب تقريرًا بما رآه وعلمه، ولما عاد إلى القاهرة ورفع تقريره إلى شيخ الإسلام كشف عن الخطأين فوجدهما كما أخبره فازداد يقينهما فى صدق ولايته. فأجمع شيخ الإسلام أمره على الذهاب بنفسه إلى طنطا لزيارته.. ولما صعد إلى سطح البيت وجد حوله جمعا غفيرا من الناس ثم رآه مشغولا عنه، فحزّ ذلك فى نفسه فقال سبحان الله ما هذا الاعتقاد فى هذا الرجل ثم قال فى نفسه (ما هو إلا مجنون) فلما جلس فاجأه سيدى أحمد ببيته المشهور:

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز على أعتابهم يسجد العقل

يقول له فى رده الرائع الحكيم رأيت المظهر فقلت مجانين ولو علمت المخبر لعلمت أن على أعتابنا تسجد العقول فأخذ العجب من شيخ الإسلام مأخذه حيث علم أنه سمع منه حديثه النفسى بأنه مجنون، ثم كان منه هذا الرد الحكيم فلم يسعه إلا أن يقبل يده ويقر له بالعلم والفضل، ثم تحادث معه فى بعض المسائل العلمية وانصرف وهو يعتقد أن ما رآه من البدوى أكثر مما سمعه عنه لأن نفوذ البصيرة إلى درجة أنه يسمع منه

حديثه النفسى بأنه مجنون ثم يرد على البداهة بهذا الرد الحكيم مع ما ثبت عنده من اطلاعه على مصحفه وهو بالقاهرة وتعيين الخطأ فيه ثم اطلاعه على كتاب الشجرة بكم الشيخ عبد العزيز ثم إجابته عما فيه من المسائل العلمية بنصها وهو لم يَطَّلِعْ عليها من قبل كل هذا أثبت له أن نفوذ بصيرته أمر خارج عن حد العادة ومنتهى العقل. وقد يبدو أن سماع سيدى أحمد البدوى للخواطر النفسية أمر غريب لكن من يخالط سيدى أحمد البدوى روحيا يعلم أن ذلك قطرة واحدة من فيض علومه ومعارفه، وقد علمت منه ذلك بنفسى وتحققته بسمعي - فكثيرًا ما أسمعه رضى الله عنه يأمرنى بالسكوت: اسكت اسكت" مشددا نبراته بالأمر وأكون فى نفس الوقت ساكتا لا أتكلم وإنما يأمرنى بالسكوت عما أحدث به نفسى وعما يجول فى خاطرى مما لا قبل لى بدفعه من الخواطر النفسية وهى سلسلة من الأحاديث النفسية تتجدد فى النفس بين آن وآخر طوال اليوم حتى فى أثناء الصلاة والعبادة تمر تباعا فى خاطرى فيسمعها بأعيانها كما يسمع أحدنا (دردشة) الناس حوله فيؤلمه ذلك فيصيح فيهم (اسكتوا اسكتوا) ولما أعود وأتحول إلى ذكر الله تعالى بقلبى وبدون أن ينطق بالذكر لسانى ثم أغفل عن هذا الذكر القلبى كما هى العادة أسمعه يصيح (اُذْكُرْ اُذْكُرْ) وليس سماعه لهذه الخواطر النفسية أمرا قاصرًا على ذلك، بل أنه قد يَرِد على خاطرى سؤال من الأسئلة بدون أن يتحرك بالسؤال لسانى فأسمعه رضى الله عنه يجيبنى عن هذا السؤال، ومن العجيب حقا أنى أسمع جوابه ولا أسمع سؤالى لأنه يخطر بنفسى مجرد خطور، ولو أن الناس يعتبرون بأن سيدى أحمد البدوى عبد مخلوق لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وهو من سماع الخواطر النفسية على ما وصفنا لفاضت نفوسهم خجلا، وانكمشت أرواحهم حسرة وندامة، مما يحملون فى أنفسهم من الدخائل الخبيثة والخواطر الملوثة التى لاتنفك عنهم أبدا حتى فى أثناء صلاتهم وعبادتهم بين يدى ربهم، والله سبحانه وتعالى يسمعها حرفا حرفا وكلمة كلمة ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾(١).

(١) سورة الزخرف: ٨٠.

هذه هى قوة الشخصية وهذا هو العلم وهذا هو النور فلتخسأ دائرة معارف المستشرقين وليخسأ ذلك المعترض الذى نقل عنها قولها (إن السيد البدوى ضئيل الشخصية) ولتخشع الأقمار الصناعية بأنورها الخافتة ولتهبط من عليائها ساجدة تحت أقدام العلم والنور قبل أن تحترق ولم ينتفع بنورها أحد من الناس فهل هذه شخصية ضئيلة كما يقول المعترض المسكين وهل هذا درويش جاهل كما ينطق به لسان الغافل ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(١).

سبب حملة المعترض الفاشلة على السيد البدوى

ويرجع سبب هذه الحملة إلى تأثرُ جهلاء المصريين بكلام دائرة المعارف للمستشرقين الذين لايعرفون عن الإسلام وأصول تعاليمه وأسراره وأبطاله إلا عبارات يقرأونها فى موسوعاتهم ويدرسونها فى مجاميعهم ويدونونها فى دوائر معارفهم، ثم يلقون بها إلى جهلاء الأمم وأنصاف المتعلمين فيتلقونها كما يتلقى الناس تعاليم دينهم المقدس وقرآنهم الكريم، وكأن كتاب دائرة المعارف للمستشرقين فى نظر هؤلاء الجهلاء وأنصاف المتعلمين حبل الله المتين، وكتابه المبين وطريقه الهادى إلى الصراط المستقيم، وكأن أحكامها التى تصدرها على الناس هى متنزل الوحى وفصل الخطاب.

اسمع أيها القارئ ما تكتبه دائرة المعارف التى يتهافت عليها جهلاؤنا ويهرعون إلى المكاتب للنقل عنها ويبثون بين الناس معارفها الزائفة وضلالاتها التى يقدسها جهلاؤنا كل التقديس. قالت دائرة المعارف (من عجائب الحياة الدينية أن يتأثر رجل مثل الشعرانى بسحر السيد البدوى مع أن هذا الأخير دونه من الوجهتين العقلية والأدبية) هذا ما تكتبه دائرة المعارف عن أعلامنا وأبطالنا لتعرفنا بهم فتصف السيد البدوى بأنه ساحر وتقول عنه إنه أقل من الشعرانى عقلا وأدبا، أكاذيب ثلاثة تختلقها دائرة المعارف على السيد البدوى فى سطر واحد من سطورها، وفقرة واحدة من فقراتها، لتطعن بها

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥.

المصريين من الخلف وتبث فيهم روح الفرقة، وتسخر بعقولهم من حيث لا يشعرون من ذا الذى أطلع دائرة المعارف على أن السيد البدوى ساحر، ومن ذا الذى أعلمها بأنه أقل من الشعرانى عقلا وأدبا، قالت ذلك دائرة المعارف وهى تعرف أن فى المصريين جهلاء سيستقبلون هذا الكلام بالتسليم والقبول وسيهرعون لتلقفه عنها، ونشره بين الناس وفعلا صدق تنبؤها فسارع هذا المعترض، ونقل عنها هذه الضلالة الكاذبة وقلده آخر وقال إن الشعرانى قد اندفع إلى احترام هذه الدرويش ـ ولا تعدم فى المصريين عشرات من أمثال هؤلاء الذين ينقلون عن المستشرقين والمستعمرين هذه الضلالات التى تولد فيهم روح الفرقة وتبعث فيهم المخاصمات والمجادلات والخلافات التى تمكن المستعمرين من رقابنا وتجعله يسود على حسابنا - هذه هى الغاية من وصف دائرة المعارف للسيد البدوى بأنه ضئيل الشخصية والعقلية ليتلقف قولها قوم وينفيه قوم آخرون فتقع بينهم الحزبية والتفرقة من أجل كلمة قالها هؤلاء الخبثاء الشياطين فمتى كان المستشرقون خلصاء النية، ومتى كانوا يريدون خيرا بالمسلمين؟.

هذا لون من ألوان الاستعمار مكر ودهاء، وخيبة أمل من أبناء المصريين وخيبة رجاء، يهرعون إليهم وينقلون عنهم هذه الخبائث التى تفرقهم وتجعلهم أحزابا وشيعا من حيث لا يشعرون، ولا تلبث أن تتسع بينهم دائرة الفرقة من أجل كلمة دائرة المعارف، ومن أجل حكمها الخبيث على السيد البدوى فتتعدى الأفراد إلى الجماعات وتتعدى الجماعات إلى أوسع دائرة فى كيان المسلمين. والمسلمون من جهلهم يظنون أنهم يبنون ويصلحون وهم فى الواقع إنما يهدمون فى كيانهم ويوجهون السهام إلى نحورهم فمتى نعقل ومتى نتدبر ومتى نتبصر؟..

اطَّلَعَ مفتون على كلمة دائرة المعارف وحكمها على السيد البدوى بأنه أقل من الشعرانى عقلا وأدبا فشمر عن ساعديه الهزيلتين وقام وألف كتابا هزيلا أسماه "السيد البدوى" وجعل محور طعنه على السيد البدوى فى كتابه هو كلمة دائرة المعارف فى السيد البدوى، وحكم دائرة المعارف على السيد البدوى، وفى كل صفحة من صفحاته ترى عنوانا بهذه الكلمة، وفى كل صفحة ترى إعادة وتكرارا لهذا الحكم، وكأن كلمة

دائرة المعارف فى السيد البدوى آية من آيات الله المحكمات أنزلها الله على رسوله للتعبد بها ولتحفظ للاستشهاد بها وبناء الأحكام الشرعية عليها، وكأن حكمها من أحكام الله يجب العمل به والإيمان بشرعيته، فاللهم أعذنا من جهل الجاهلين واحفظنا من فتنة المفتونين ولعنة الله على دائرة معارف المستشرقين ولعنة الله على كل من يقيم لكلامها وأحكامها وزنا.

البدوى يقول.. أنا زيت من لا زيت له:

الأعمال الإصلاحية التى يقوم بها الإصلاحيون تختلف وتتباين على حسب اختلاف حاجات الناس وتباينها، فالناس من ناحية حيويتهم يحتاجون إلى سعادة دنيوية تكفل لهم رغد العيش، وبسط الرزق، وتيسير سبل الراحة لهم فى كل أطوار حياتهم إلى مماتهم، وهذه قد تكفَّلَ بها القادة الإصلاحيون الذين يعملون ويكافحون فى سبيل الحصول على رغيف العيش الذى يلتهمه من أفواههم المستعمرون، هذا ما يحتاجه الناس من ناحية حيويتهم، أما من ناحية روحانيتهم فهم يحتاجون إلى سعادة دينية تكفل لهم تقوية أرواحهم وإنارتها وإخراج ظلمات الجهل منها ومحو الحوائل التى تعوقهم فى طريقهم الشائك الممتد إلى غاية لا يعلم إلا الله مداها والتى تنتهى بالشقاء الدائم أو النعيم المقيم، وهذه قد تكفل بها القادة الدينيون الذين يجاهدون فى سبيل إيصال الناس إلى ربهم ويعملون على إزالة كل ما يعوقهم عن بلوغ أهدافهم فى هذا السبيل ويوضح سيدى أحمد البدوى أنه من هذا الطراز الدينى الممتاز فيقول "إن الفقراء كالزيتون وفيهم الصغير والكبير ومن لم يكن له زيت فأنا زيته أساعده فى جميع أموره وقضاء حوائجه لا بحولى ولا بقوتى، ولكن ببركة النبى ﷺ" يريد رضى الله عنه أن الفقراء كالزيتون متفاوتون فمنهم الكبير ومنهم الصغير فالكبير هو الذى امتلأ قلبه نورا من أنوار الحق نتيجة لذكر الله ذكرا كثيرا، وشبهه رضى الله عنه بالزيتون الكبير لأن الكبير من الزيتون غنى بالمادة التى تحصل بها الإنارة وهى الزيت فالكبير من الفقراء كالكبير من الزيتون لاشتمال كل منهما على مادة النور، ومن كان من الفقراء بهذه الصفة فهو

متصل بالله ورسوله يستمد أنواره ومعارفه منهما بطريق مباشر، أما الصنف الصغير من الفقراء فهو الذى حافظ على قواعد الشرع ولكنه لم يخرق العادة بـذكر الله ذكـرا كـثيرا فلم تخرق له الحجب فلم يكمل فى قلبه النور، وشبهه رضى الله عنه بـالزيتون الـصغير لأن الصغير من الزيتون ليس غنيا بالمادة الزيتيه بل هى فيه قليلـة أو هـو منهـا خـلاء - فالصغير من الأولياء كالصغير من الزيتون لخلو كل منهما من (زيادة) مادة النور، ومـن كان من الأولياء بهذه الصفة فهو فى حاجة إلى مـن يعاضـده ويـسانده حتـى يـصل إلى درجة الكمال والاتصال بالله تعالى ورسوله ﷺ - يقول (القطب البدوى) ومـن لم يكـن له زيت فأنا زيته أى من لم يكن على نور مـن ربـه فهـو نـوره يرشـده إلى طريـق الحق ويهديه السبيل ويكون له عونا فى الوصول إلى غايته وقضاء حوائجه لا بحوله ولا بقوته ولكن ببركة النبى ﷺ يقرر رضى الله عنه فى هذه الوصية أن مبادئـه مبـادئ اجتماعيـة تسير جنبا إلى جنب مع مبـادئ الـدين الحنيـف، فهـو لا يـترك الفقـير الـصغير الـشبيه بالزيتون الصغير يجف ويموت ويطرح فى العراء، بل يوقف حياته ويهـب نفسه لتنميـة الفقير الصغير حتى يكبر، وتغذية الضعيف حتى يقوى، وتعهده بالإصلاح حتى يتكامل ويكون كبيرا.

ويمكن أن نخرج من هذه الوصية بثلاث حقائق هامة:

الأولى أن سيدى أحمد البدوى على صلة تامة برسول الله ﷺ لأن مساعدته للفقراء الصغار يستمدها من حضرته وليست بحوله ولا بقوته، ولهذا اشتهر بأنه باب الرسول.

الحقيقة الثانية أنه يـستغل هـذه الـصلة ويـستعملها فـى خدمـة الأوليـاء الـصغار وتكميلهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم ولهذا اشتهر بأنه سلطان الأولياء.

الحقيقة الثالثة أن فى ذلك دلالة واضحة على علـو همتـه وكـبير فتحـه وجريـان أسباب الخير على يديه، ولهذا اشتهر بأنه مربى السالكين ولهـذا أيـضا اجمعـت الأوليـاء على احترامه وتعظيمه ومحبته على اختلاف مشاربهم وتنوع طـرقهم، وتـراه رضـى الله عنه أورد هذه الحقائق الهامة وأثبتها لنفسه فى كلامه بطريق تـشبيهى مـستملح ومبتكـر

لايدرك الإنسان فيه شيئا من التعالى أو الفخر، بين فيه أنه يمد الناس بمواهبه ويفتح القلوب بمعارفه وينير الطريق أمام كل سالك حيران بدون أن تأخذ عليه كلمة واحدة فيها ادعاء أو كبرياء.

البدوى يوضح (فى وصاياه) العوائق التى تعوق الفقراء عن أن يكونوا كبارا

بين رضى الله عنه فى وصيته لخليفته الحوائل النفسية التى كانت سببا فى تخلف الأولياء الصغار عن أن يكونوا كبارا فحصر تلك الحوائل فى التعلق بالدنيا، وعدم مراعاة الإحسان فى العمل، وشح النفس بالعطاء، وعدم استدامة ذكر الله، والغفلة عن قيام الليل، وسوء الخلق فى المعاملة، وعدم الصبر على تحمل أذى الناس، وعدم ملازمة الصدق، وخلو القلب من الصفاء وحسن الوفاء وحفظ العهود.

(الحائل الأول: حب الدنيا) فقال فى وصيته بعد ما تقدم: يا عبد العال إياك وحب الدنيا فإنه يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل، فالعمل الصالح كالعسل الأبيض وحب الدنيا كالخل الأسود فإذا مزجت العسل بالخل حصلت على مشروب متنافر لا يستقر فى معدتك ولا تقبله كمقوم للحياة بل تدفعه المعدة وتلقيه إلى الخارج بدون أن تنتفع به، وإذا مزجت عملك الصالح بحب الدنيا تغلب لا محالة حب الدنيا على عملك الصالح فأخمد نوره وأطفأ جذوته وأذهب من القلب ثمرته، فلا تبصر بقلبك إلا الظلمات، ولا تجنى من وراء ذلك إلا الحسرات.

ثم أخذ يبين **الحائل الثانى** وهو عدم ملازمته التقوى وعدم الإحسان فى العمل فقال: واعلم يا عبد العال أن الله يقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١) فإن أردت أن يكون الله معك بالمعونة والنصر أو بالمعاينة والمشاهدة، فها هو السبيل إلى ذلك، وهو ملازمة الخوف من الله مع الإحسان فى العمل. والإحسان فى العمل هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإذا كنت فى صلاتك مثلا فاستحضر أنك قائم بين يدى الله تقرأ

---

(١) سورة النحل: ١٢٨.

كأنك تراه وتخاطبه كأنه حاضر يسمع ثناءك عليه بالحمد واعترافك له بالربوبية المطلقة والمالكية المطلقة ويسمع خطابك له بإفراده بالعبودية دون غيره. وإفراده بطلب الاستعانة وطلب هدايتك إلى الطريق المستقيم أى الطريق الموصل إليه مباشرة وطلب تبعيدك عن طريق المغضوب عليهم والضآلين من الكافرين، ثم إذا ركعت أو سجدت فاستحضره فى طمأنينات الركوع والسجود كأنه معك على مرأى ومسمع منك يسمع تسبيحك وتقديسك له بأنواع التسبيح والتقديس، وإذا جلست فى تشهدك لتشهد له بالتوحيد ولرسوله بالرسالة فاستحضر كأنك تخاطبه بأن جميع التحيات و التعظيمات التى يقدمها العباد بعضهم لبعض من رفع اليد إلى الجبهة بالتعظيم و الانحناء بالبدن عند التسليم و السجود عند والركوع عند آخرين وكل التعظيمات التى يقدمها العبيد للملوك وغيرهم كلها مستحقة لك لا لغيرك فالتحيات كلها مستحقه لله، كما أن الحمد مستحق لله رب العالمين، وإذا قلت أشهد أن لا إله إلا الله فكن كأنك لا ترى شيئا فى السموات والأرض إلا ذاته النورانية قائمة بنفسها ممدة للعالم بأنوارها كما لا ترى فيها إلا الشمس ساطعة بجرمها، ممدة للعالم بأضوائها فإنك إن أديتها كذلك كان الله معك بالمعونة والنصر أو بالمعاينة والمشاهدة على قدر ما تكون عليه عبادتك من الخشية منه تبارك وتعالى.

ثم أخذ يبين **الحائل الثالث** وهو شح النفس بالعطاء فقال: يا عبد العال أشفق على اليتيم واكس العريان وأطعم الجوعان وأكرم الغريب والضيفان عسى أن تكون عند الله من المقبولين. فهو يعطف على اليتامى والعرايا والجوعى والغرباء والضيفان لأن من لم يكن عنده شفقة على اليتيم الذى فقد رائده وقائده ولا وازع يحمله على كسوة الأبدان التى ابتذلت آدميتها، ولا دافع يدفعه إلى إشباع جائع، ولا حامل يحمله على رحمة الغريب بإيوائه، والضعيف بإكرامه فقلبه متحجر وليس من الله فى شىء ولا يمكن أن يكون عنده من المقبولين.

وما نشاهده من لجوء الفقراء إلى أعتابه وتدفق الخيرات حول رحابه دليل على أنه يحب الكرم ويمقت الشح ويحنو على الضعفاء كما أنه بذاته يساعد الفقراء ولذلك

اشتهر بأنه باب الكرم وباب العطاء.

وقد وقعت فى كرب شديد أذهلنى وطغى على حواسى حتى كنت لا أطيق الكلام العادى مع الناس فكان يحثنى على إطعام الفقراء وكثرة التصدق عليهم ويؤنبنى على التصدق بالقرش والقرشين ولا يرضيه التصدق بالورق الصغير فبذلت ما شاء الله أن أبذل فذهب عنى ما كنت أجده وعدت إلى ما كنت عليه بعد اليأس من معالجتى.

ثم أخذ يبين **الحائل الرابع** وهو عدم كثرة الذكر والغفلة عن قيام الليل فقال: "وعليك بكثرة الذكر وإياك أن تكون من الغافلين عن الله واعلم أن كل ركعة بالليل خير من ألف ركعة بالنهار" فهو يرى فى طريقه أن معرفة الله لا تحصل إلا باستدامة ذكر الله لا باللسان فقط فإنه لا ترضيه شقشقة اللسان بل بجريان الاسم الكريم فى القلب بصفة مستديمة لا ينفك عنها القلب أبدا فلا يلبث المستديم لذلك زمنا ما حتى يقذف الله فى قلبه نورا ساطعا تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فيتولد عنه شوق فى القلب إلى رؤية الحق ليراه بواسطة ذلك النور ومن شدة الشوق يلحقه الوجد فيتعلق بالله كله فإذا أفرط الوجد صار وَلِهًا فيحصل للعبد فناء فى مشاهدة الذات واستغراق فى مطالعة أنواره تنمحى فيه بشريته ويبلغ الدرجة العليا فى التسامى الروحى، وبعد أن يفيض الله عليه من أسرار ذاته ما يطيقه استعداده يعيده ثانيا إلى حالته الطبيعية كاملا مكملا وتعرف هذه الحالة بحالة الصحو بعد المحو أو حالة البقاء بعد الفناء – هذا ما يراه رضى الله عنه عملا للقلب. أما عمل الجوارح فهو قراءة القرآن ولا سيما فى الصلاة بالليل كما كان رسول الله ﷺ يقوم الليل إلا قليلا يتلو القرآن فى صلاته.

وهو يرى أن ملازمة ذلك باب من أبواب الفتح ولهذا كان يقول واعلم أن كل ركعة بالليل خير من ألف ركعة بالنهار لما يحدث من المشاهدة بسبب صلاة الليل فى أثنائها أو فى أعقابها.

ثم أخذ يبين **الحائل الخامس** وهو سوء الخلق فقال أحسنكم أخلاقا أكثركم إيمانا فميزان الإيمان عنده حسن الخلق فكلما حسنت الأخلاق كلما قوى الإيمان، وكلما

ساءت الأخلاق كلما نقص الإيمان. والخلق السيىء يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل فسوء الخلق وحب الدنيا صنوان فى إفساد العمل الصالح.

ثم ختم وصيته بقوله هذه هى طريقتنا بنيت على الكتاب والسنة والصدق والصفاء، وحسن الوفاء وتحمل الأذى، وحفظ العهود، ولو تخلق الإنسان بالصدق فى القول والعمل وصفا قلبه لله وللعباد فلا يجد فى نفسه اعتراضا على قضاء ولا امتعاضا من عباده فأحسن لله الوفاء بالطاعة وأحسن للعباد بتأدية ما عليه من حقوقهم مادية كانت أو أدبية، وتحمل حسبة ما يصيبه من أذى العباد حتى يراه كأنه نعمة أنعم الله بها عليه لأنه إما تكفير لذنب أو رفع لدرجة عند الله، وحافظ على عهوده لا يحنث فيها ولا يخون.. نقول لو تخلق بهذه الصفات التى يريدها السيد البدوى لتلميذه لأزال عن نفسه كل الحوائل التى تعوقه عن معرفة الله ولتثبت قدمه على قدم الأنبياء. قال سيدى عبد العال، خدمت الشيخ أربعين عاما ما رأيته غفل عن طاعة الله طرفة عين، وجدير بمن كان هذا شأنه أن يتبوء قمة المجد بعمله.

تبصرة وذكرى

لا أترك القارئ يمر على هذه الظاهرة التى سمعها عن سيدى أحمد البدوى من سماعه للخواطر النفسية وأحاديث القلوب بدون أن ألفت نظره إلى أن سبب ذلك يرجع إلى ما هو معروف من الحديث الصحيح عن الله عز وجل وهو قوله "ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها"(١) - وفى رواية كنت هو - فمن كان الله سمعه على أى معنى ذكره العلماء العارفون فإنه ولا ريب يسمع كل شىء يسمع السر وما هو أخفى من السر ويسمع الخواطر النفسية وما هو أخفى من الخواطر النفسية، ومن كان الله بصره الذى يبصر به فإنه ولا ريب يبصر كل شىء سواء

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه عن سيدنا أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من حديث قدسى أوله "من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب.." فى كتاب الرقاق.. الحديث (٥٧٩١) ١٠/١٦٤- ١٦٥ ط - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ما كان فوق العرش أو تحت العرش فى الصدور أو خارج الصدور، ومن كـان الله يـده التى يبطش بها أو رجله التى يمشى بها فإن يده لا تقف عند حدها المحدود لها فقد يظهر آثارها بالضرب أو بالبطش أو بالعطاء والنوال أو بالتسليم بها أو الإشارة بأصبعها مـن مسافة قريبة أو بعيدة سواء أكانت هنـاك حوائـل أو لم تكـن، وكـذلك لا تـتغير رجلـه بالخطوات المحدودة لها فقد يخطو خطوة أوسع من خطواته المعهودة بآلاف المرات أو أكثر أو أقل. فسماع سيدى أحمد البدوى للحديث النفسى لا يبدو بعيدا مادام الله تجلى عليه بصفة السمع ، وخروج يده من القبر ليسلم على الشناوى أو الـشعرانى لايبـدو غريبـا مادام يمدها بربه، وكذلك القول فى قطعه للمسافة البعيدة فـى خطـوة أو ظهـوره عنـد ندائه وقت الشدة فى صحراء أو فى الحجاز راجلا أو راكبا. كل هذه الأشياء سببها مـا تقدم والشك فيها شك فى الحديث الصحيح وليس بعد المشاهدة والعيان حاجة لإقامـة برهان.

وليعلم أن الاقتصار على السمع والبصر واليد والرجل لا يعنى أنه تبـارك وتعـالى لايمد أحبابه إلا بخصوص هـذه الأربعـه بـل قـد يتجلـى علـيهم بـصفة العلـم فيـشرح صدورهم ويوسعها لانطباع كل معلوم فيها، ويتجلـى علـيهم بـصفة القـدرة فيقـدرون على نقل الأشياء البعيدة فى أقل من ارتداد طرف العين كمـا وقـع مـن آصـف ونقلـه عرش بلقيس فى مثل هذه المدة وهكذا القول فى باقى صفاته، ولا يشك فـى ذلـك إلا محروم أو مطرود.

"من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب"

أعلن الله حربه على من عادى أولياءه فإن عداوتهم فى حقيقة الأمر عداوة لله لأن الأولياء ما كانوا أولياء إلا بالله تعالى كما سمعت بيانه فى الحديث المتقدم. فمن كان عدوا لله فلا محالة ينتصر منه لنفسه إما بسلب إيمانه عند الموت وهذا أشد العقاب وأنكاه، ونعيذ بالله منه كل مسلم ينطق بالتوحيد، وإما ببعض العقوبات الدنيوية العاجلة أو الآجلة على حسب ما تقضيه حكمة الله وعدالته – وهذه أخف ضررا من سابقتها

وفيما يظهر لى أن عداوة الأولياء تظهر فى بعض الناس بصفة قهرية عنهم خارجة عن إرادتهم وهم لا يملكون دفعها عن أنفسهم حتى ولو أرادوا التخلى عنها لأن الله تعالى هو الذى اختص هذا الصنف من الناس بهذه النكسة الدينية وجعل هذه المصيبة لازمة لهم لا تنفك عنهم جـزاء كسب كسبوه أو جرم ارتكبوه ـ قال تعـالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (١) .

وبضرورة قيام الأولياء بما يقوم به الأنبياء من الدعوة إلى الله، وبضرورة أنهم أحبابه كما أن هؤلاء أحبابه جعل سبحانه لكل ولى عدوا من شياطين الإنس والجن، جعلهم أعداء لرسله وأعداء لأحبابه يقاتلونهم ويشاكسونهم ويكذبونهم وينقصون من قدرهم، ويحطون من كرامتهم، ويرمونهم بالافتراء والجنون والجهالة والضآلة ويسبونهم عدوا بغير علم، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق هؤلاء الآثمين ـ ولا يعدم هؤلاء الشياطين سببا وأكثر من سبب يبررون به شنيعتهم ويشترون به فضيحتهم فى معاداتهم لله وأحباب الله فيظهرون أنفسهم بمظهر الغيرة على توحيد الله والمحبين لدين الله وهم فى الوقت نفسه يعادون الله ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ويعلم الله أنهم لا يعرفون عن توحيد الله ولا عن أسرار دينه الحنيف إلا الألفاظ التى ينطقون بها والعبارات التى يرددونها والرسوم التى يؤدونها إن كانوا يحافظون على الرسوم.

إن توحيد الله فى قلوب العوام أقوى وأثبت وأركز منه فى قلوب هؤلاء المدعين – وإنك لو قطعت أجسام هؤلاء العـوام وأطعمتهـا إيـاهم مـا نطـق أحـدهم بـأن السـيد البدوى شريك لله فى ملكه ـ وما اعتقد فيه أكثر من أنه عبـد مخلـوق صَـفَتْ روحـه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا لأن توحيد الله فى قلوبهم فطرى وجبلى لا يمكـن نزعـه ولا محاولة خلعه إلا بنزع أرواحهم وخلـع قلـوبهم مـن أبـدانهم شـأن الإسـلام إذا خـالط بشاشة القلوب.

---

(١) سورة الأنعام: ١١٢.

(١) سورة القلم: ٤٤.

أعماله التى قام بها فى حياته وآثاره التى تركها بعد وفاته

أكبر عمل يقوم به الإنسان فى حياته هو أن يعمل على إصلاح نفسه وتقويمها وإزالة ما فيها من عيوب ونقائص حتى تسمو روحه وترتفع من حضيض الجهل والعمى إلى أعلى مستوى العلم والمعرفة فتتهيأ للخلافة عن الله فى أرضه والنيابة عن رسول الله ﷺ فى إقامة دعوته ثم يعمل ثانيا على إصلاح غيره كما عمل على إصلاح نفسه.

فالرجل الكامل هو الذى يعمل ليصلح نفسه ثم يعمل ليصلح غيره وكلما سما عمله فى إصلاح نفسه كلما سما عمله فى إصلاح غيره. وإذا كانت الأعمال تعبر عن أقدار الرجال فإن أعمال السيد البدوى لم يكن لها نظير فى أعمال المصلحين - فكان رضى الله عنه يصنع الرجال ويصوغ الأبطال بنظرة واحدة من نظراته الثاقبة فيحولهم بقدرته الربانية وقوته الروحية من أشباح آلية إلى أرواح نورانية ومن صور آدمية إلى حقائق إنسانية فيصبح الواحد منهم بعد أن كان فردًا آليا وشبحا آدميا يزن أمة برأسها ويملأ البلاد بجذافيرها علما وهديا ونورا مبينا - هكذا كان يصنع الرجال ويصوغ الأبطال، يأتى إليه خليفته بالرجل العادى وهو قائم على السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيمتلئ بها هداية وتقوى ومعرفة - ويأمره بالانصراف ثم فى الوقت نفسه يحدد له البيئة التى تتوافق مع طباعه ومعارفه ويعين له الجهة التى يقيم فيها والتى تصلح لأن يبث فيها دعوته، ويمكن أن تنجح فيها مهمته، لأن معادن الناس فى كل جهة تختلف، كما أن الأرواح تأتلف وتختلف، فينصرف إلى تلك الجهة التى عينها له لا يتخطاها يعمل ويكافح ويرشد الناس إلى ربهم إلى أن يموت فى تلك الجهة وقد أثمرت فى الناس دعوته ونفذت إلى قلوبهم محبته ولا يسعهم إلا أن يبنوا له فى تلك الجهة قبرا يزورونه فيه تخليدا لذكراه وليبقى حدثا تاريخيا لهم ومثلا أعلى لأعقابهم - أربعون مصباحا من مصابيح الإسلام يشعلهم السيد البدوى وهو قائم فوق السطوح ويبثهم فى طولُ البلاد وعرضِها يضيئون للناس طريقهم ويُقَوِّمُونَ معوجهم، ويعلم الله كم من الناس قُومُوا وكم من البلاد أُصْلِحُوا وكم لله قُدِّمُوا، ويعرف هؤلاء المصابيح

بالسطوحية أما غيرهم فكثير وكثير "ولأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم" ولأن يصلح الله بك قرية خير لك عند الله من ألف ضيعة.

أما آثاره التى تركها بعد مماته فنحن لانطالب القارئ بتتبعها فى الفرق الأربع عشرة التى تشعبت عن طريقة الأحمديه والتى لا تزال آثارها باقية إلى اليوم بعد سبعة قرون تعمل جاهدة فى هداية الناس ودعوتهم إلى ربهم - ولا نطالبه كذلك أن يتتبعها فى تربيته للعلماء والفقراء الصادقين الذين تولى تربيتهم بنفسه وهم يعدون بالألوف. وإنما نوجه نظره إلى تتبع تلك الآثار فى النواحى الاجتماعية الصرفة التى يخدم بها الشعب وينفع بها الأمة ببركاته ونفحاته التى تتزايد على مر السنين وتتابع الأيام. فمن آثاره التى تركها بعد مماته هذا الدخل العظيم والخير العميم الذى يعترف به المعترض نفسه ويعده من السيئات وهو من أفضل الحسنات والذى يعود على المصالح العامة فى الدولة بالنفع من أوقافه التى تعد بآلاف الأفدنة ويعود على بعض أفراد الشعب بالانتفاع بعقاراته التى رسمت باسمه وكان لها أكبر فضل فى إيوائهم فى جنباته الرحيبة. وهذه الآلاف من الجنيهات التى توضع فى صندوق النذور ويحول معظمها إلى منافع الدولة - وبعضها الآخر يحول إلى الفقراء من حوله ولولا ذلك لأقفلت بيوتهم وسدت بأبواب من حديد، وان معظم مساجد القطر لينالها أكبر نصيب من خيراته وبركاته ولولا ذلك لخربت بيوت الله ولم تجد من يقوم بتعميرها وفرشها ممن ماتت نفوسهم وخمدت أرواحهم وانشغلوا بأمور دنياهم عن دينهم.

هذه ذرة من آثاره التى تركها بعد مماته وكم له رضى الله عنه من آثار اجتماعية يسديها إلى الناس ولكنه يخفيها لأنه يعمل لوجه الله ولا يريد من أحد من الناس جزاء ولا شكورا نفعنا الله به وعمنا بخيراته ونفحاته وشملنا ببركاته آمين.

علامة الولى كما يراها البدوى

لا تتحقق ولايتك لله تعالى إلا إذا تحققت فيك العلامات التى ذكرها سيدى أحمد البدوى لخليفته الأول حينما سأله عَمَّنْ هو الفقير الشرعى يريد الولى الشرعى الذى تنطبق

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، من بعثه الله رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد..

فإن هذا الكتاب من خير ما كُتب عن أبى الفتيان، القطب النبوى الكبير السيد أحمد البدوى رضى الله عنه وأرضاه. ولعل السبب فى ذلك أن مؤلفه -الشيخ أحمد محمد حجاب- ليس من المحبين له فحسب، ولكنه أحد تلاميذه الأنجاب، الذين تلقوا عنه مباشرة، ودون واسطة، مع أن قرونا سبعة تفصل بين الشيخ ومريده.

فالقطب البدوى قد انتقل إلى جوار ربه سنة ٦٧٥ من هجرة النبى ﷺ، بينما تلميذه النجيب الشيخ حجاب انتقل إلى جوار مولاه فى التاسع من شعبان سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩ ميلادية.

وسوف يجد القارئ -إن شاء الله- فى ثنايا الكتاب بيان ذلك، وكيف كان تعهد السيد البدوى لتلميذه، وتربيته له كما نرى من الشيوخ الأحياء مع مريديهم، وليس هذا بالأمر الذى ينكره أحد ممن يؤمنون بالغيب، ويعلمون أن الموت ما هو إلا انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى أو سع منها وأرحب.

لذلك تكرر هذا الأمر كثيرًا لدى أكابر الصوفية، من ذلك الأمير عبد القادر الجزائرى الذى توفى سنة ١٣٠٠ هـ وتلقى تربيته الصوفية على يد الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى الذى كانت وفاته سنة ٦٣٨هـ وهذا ما يعرف بالتربية الأويسية نسبة إلى سيدنا أويس القرنى الذى ربته روحانية سيد الخلق ﷺ.

۞ ۞ ۞

والجدير بالذكر أن الشيخ أحمد حجاب دُفن بعد وفاته بجوار شيخه سيدى أحمد البدوى، لا يفصله عنه إلا خطوات قليلة والأمير عبد القادر الجزائرى -أيضا- بعد

جهاد طويل مع الفرنسيين - ساقته أقداره من الجزائر إلى فرنسا ثم إلى تركيا ثم إلى الحجاز ثم إلى الشام لتكون وفاته بها حتى يدفن بجوار شيخه بدمشق.

نعم "إنهم أهل الله بحق" أهل الصدق واليقين لهم ما يشاءون عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقع لوالدى -عليه رحمة الله- مع سيدى أحمد البدوى قصة رواها لى بنفسه، وكان رحمه الله معتقدًا فى أولياء الله الصالحين محبا لهم وكان للسيد البدوى فى قلبه مكانة خاصة..

قال لى الوالد: إنه مرّ بضائقة مالية شديدة فى فترة مبكرة من حياته، وكان فى مسيس الحاجة إلى بعض المال ليحضر والدته من القرية ليعرضها على الأطباء وليشترى لها كرسيًا ذا عجل لأنها كانت قد أصيبت فى أواخر أيامها بشلل أقعدها..

فى يوم من تلك الأيام كان سائرًا فى ميدان عابدين وهو مهموم بهذا الأمر فوجد نفسه يقول: يا سيدى أحمد يابدوى..

فإذا به يقابل الحاج توفيق عفيفى.. وكان الحاج توفيق -رحمه الله- صاحب مكتبة بشارع الجمهورية، ولعله أول من نشر كتب شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله، وغيرها من نفائس الكتب..

وكان الحاج توفيق يلبس الجلباب وأظنه لم ينل حظا من تعليم، ولكنه كان من قدامى الناشرين بمصر فى ذلك الوقت. فلما التقى بالوالد قال له: يا أستاذ خالد ألا تريد أن تعطينى كتابًا من كتبك؟

وكان الوالد رحمه الله لا يحب أن يصد أحدًا، فقال له: إن شاء الله يا حاج توفيق الكتاب القادم يكون من نصيبك.

فقال الحاج توفيق: بل تأتى معى الآن إلى المكتبة وتأخذ "عربون" هذا الاتفاق. ومضيا سويا إلى المكتبة، وكان الحاج توفيق يضع نقوده بين الكتب التى على الرفوف ويعرف مكان كل مبلغ وضعه هنا أو هناك ولا يتيه عنه، لأنه لم يكن بالمكتبة غيره، لذلك عندما دخل مع والدى المكتبة أحضر له من بين الكتب مبلغًا من المال كان

ولايته على قواعد الشـرع وسماه فقيرا لأنه يرى تسمية الولى بالفقير لأنه فى حالة احتياج وفقر إلى الله دائما فأجابه رضى الله عنه بأن الولى الشرعى له ثنتا عشرة علامة.

العلامة الأولى: أن يكون عارفا بالله تعالى - وليس المراد بالمعرفة بالله أن تكون عارفا بالدليل العقلى أو النقلى أن الله موجود لا شك فى وجوده بل المراد أن تعرف الله وتتحققه لا أن تعلمه وتتخيله؛ لأن هناك فرقا بين معرفتك للشىء وعلمك به فأنت تعلم مالا تراه ولكنك لا تعرفه فإذا شاهدته عرفته - فإذا حصلت على هذه العلامة حصلت على أم هذه العلامات الاثنتى عشرة فهى أصلها وبقية العلامات وسيلة لها، وإذا حصلت على هذه العلامة أيضا تمكنت فضل تمكن فى مقام الإحسان لأن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإذا عرفت الله كما قدمنا سهل عليك أن تستحضر فى عبادتك بقلبك أو فى خيالك ما سبق أن عرفته فأمكنك فى يسر أن تعبده كأنك تراه فعلى من يريد أن يصل إلى مقام الإحسان فى العبادة أن يجتهد فى معرفة الله فإذا عرفه تحقق بمقام الإحسان.

العلامة الثانية: أن يكون مراعيا لأوامر الله فلا يترك شيئا مما أمر الله به ولا يؤخره عن وقته الشرعى المحدود له ولا يؤديه أداء ناقصا بل يراعى فى أدائه جميع ما يتطلبه من وجوه الإحسان.

العلامة الثالثة: أن يكون متمسكا بسنة النبى ﷺ فلا يترك سنة من سنن صلاته المفروضة، ولا يترك سنة مسنونة من رواتب صلاته ولا يترك صلاة مسنونة غير الرواتب كالتهجد والضحى وغيرها ولا يترك سنة من سنن العبادات المشروعة غير الصلاة كسنن الحج والصوم وغيرهما.

العلامة الرابعة: أن يكون دائم الطهارة فلا يرى فى ليل أو نهار إلا وهو متطهر كأنه متهيئ للصلاة لأنه بصدد أن يشاهد ربه فلابد أن يكون دائم الطهارة.

العلامة الخامسة: أن يكون راضيا عن الله على كل حال سواء أحزانه أو أفراحه أعطاه أو منعه أدناه أو أبعده أو أصحه أو أمرضه أحياه أو أماته، أقبل عليه بالدنيا أو

حرمه منها، متعه بنعيم معرفته أو أذله بذل الحجاب، فإذا تـواردت عليـه هـذه الأمـور ولابد أن تتوارد على أوليائه فلا يكون فى قلبه إلا الرضا عن ربه رضا ينفتح له القلـب وتنبسط معه أسارير الوجه.

العلامة السادسة: أن يكون موقنا بما وعده به الله من رزق دينوى أو نعيم أخـروى فيقطع قطعا لاشك فيه أنه سيحصل عليه لا محالة.

العلامة السابعة: أن ييأس مما فى أيدى الناس، فإذا يئس مما فى أيديهم سلم من آفة التملق لهم فلا يكون عبدهم بل يكون عبدا لله وعاش حرا كريما.

العلامة الثامنة: أن يتحمل أذى الناس فلا يلتفت بوجهه إلى من صـفعه ولا يلقـى سمعه إلى من قذفه ولا يحرك لسانه فى سب من شتمه ولا يتبع نظره إلى من سـخر منـه ولا يمد يده بإساءة إلى من أساء إليه لأن شأن من عرف ربه أن لا يـشاهد عمـلا لأحـد غيره بدون أن يشهده قبله أو بعده أو فيه أو معه.

العلامة التاسعة: أن يكون مبادرا لأوامر الله فإن المبادرة بالامتثـال أمـارة الاهتمـام بالآمر وأمارو العناية بالمأمور به، ويصف لنا بعـض أصـحاب النبـى ﷺ حالـه إذا حـان وقت الصلاة فيقول " كان يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه وليس المراد المبادرة بخصوص الصلاة بل بكل أمر من أوامره فلا يتثاقل ولا يتمهل فـى أداء أى أمر من أوامره سواء كان بدنيا أو ماليا أو مركبا منهما مـأمورا بـه علـى سـبيل الوجوب أو الندب أو الاستحباب.

العلامة العاشرة: أن يكون شفوقا على خلق الله، وله رضى الله عنه فى باب الشفقة على الخلق والرحمة بهم القدم الراسخ والباع الممتذ إلى أبعد حد كما يؤخذ من قوله فى بعض وصاياه: "من لم تكن له شفقة على خلق الله لم تكن له شـفاعة عنـد الله"، ومـن قوله: "يا عبد العال أشفق على اليتيم واكس العريان" إلى أخر مـا تقـدم فالـشفاعة لا

توهب فى الآخرة إلا لمن فى قلبه شفقة على خلق الله، وقد تبلغ الشفقة بأحدهم أن لا ترضى نفسه أن يلحق أعداءه سوءا وإن أساءوا ولا ضررا فى النفس وإن قتلوه.

العلامة الحادية عشر: أن يكون متواضعا للناس فيتواضع لهم ولا يتعالى عليهم ويرى فى نفسه أنه أقلهم.

العلامة الثانية عشرة: أن يكون عالما بأن الشيطان عدو له كما أخبر الله بقوله ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾(١) فإن الولى فى أثناء سيره يتعرض له الشيطان فى كل خطوة يخطوها وفى كل منزلة يصل إليها - ولديه من وسائل الحيل والمكر والدهاء والخديعة ما هيأه أن يكون رسول الضلالة فى الأرض كما أن النبى ﷺ رسول الهداية فيها - وحسبك أن الفساد الذى ظهر فى البر والبحر على أيد الناس لا تخلو مفسدة منه من إغوائه فهو بطبيعة وظيفته يتعرض للأولياء فى طريقهم ويَصُفُّ مقاعده ويرتب أعوانه ومساعديه على حسب مؤهلاتهم فى الفساد ودرجاتهم فى الإغواء فترى منهم هذا العجوز من عهد آدم عليه السلام يحاول فى إغوائه أن يظهر بمظهر الناصح فيلقى من نصائحه ما يخيل لسامعه أنه له ناصح أمين ليستذل بنصيحته المموهة قدمه ليخرجه معه من دار النعيم وترى منهم هذا الذى سقطت أسنانه وبرزت أنيابه يلقى من الشبهات المضللة ما يعجز عن دفعها الحاذق الفطن الأريب، وهكذا تتوارد نصاحهم ووعاظهم على الأولياء من كل باب ومن كل جهة من الجهات فمن لم يتخذ الشيطان عدوا وتجاهل عداوته اغتر بما يسمعه من نصائح قد لا يعرف مصدرها أحيانا وتأثر بما يلقى إليه فيتعثر فى سيره ويضل عن قصده ويقع فى الضلال المبين.

فلهذا كان سيدى أحمد البدوى موفقا كل التوفيق فى عد هذه العلامة بالذات من علامات الولى الشرعى ليحترس من عدوه وليتذرع فى احتراسه بالقرآن الكريم فيطبق كل ما يعن له فى سلوكه على أحكامه وتعاليمه فما كان موافقا لمواصفات القرآن قبله وما كان مخالفا لها ضرب به عرض الحائط وألقى به فى الطريق.

---

(١) سورة فاطر: ٦.

أخلاق البدوى من أخلاق أولى العزم

لا يرشدك إلى أخلاق الرجل إن لم تكن سبرت أخلاقه فى معاملةٍ مثلُ ما يرشدك كلامه فمن كلامه تعرف منزلته الأخلاقية من كرم نفس أو جفوة فى الطباع لأن الكلام معبر عما ارتكز فى النفس ووقر فى القلوب.

يقول سيدى أحمد فى بعض وصاياه التى تعبر عن أخلاقه: "يا عبد العال لا تشمت بمصيبة أحد من خلق الله ولا تنطق بغيبة أو نميمة ولا تؤذ من يؤذيك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك وأعط من حرمك".

هذه كلمات معدودات هن أم الأخلاق الفاضلة وأس الفضائل النفسية التى لا يمكن أن يتخلق بها إلا أولو العزم من المرسلين - ومن كان على قدمهم من الصديقين - تأمل قوله لا تشمت بمصيبة أحد من خلق الله فهو يلفت نظره إلى أن الكافر والفاسق والظالم كلهم خلق الله ويرشده إلى أنه لا يشمت بالكافر إذا أصابته مصيبة لأنه من خلق الله ولا يشمت بالفاسق إذا أصابته مصيبة لأنه من خلق الله ولا يشمت بالظالم إذا أصابته مصيبة لأنه من خلق الله ومن باب أوْلى: الطائع إذا أصابته مصيبة لا يشمت به لأنه من خلق الله. ثم أخذ يحذره من الغيبة والنميمة لأنهما مضغة الأفواه وظلمة القلوب وهما أكبر نكسة أخلاقية عرفها الإنسان ولا يمكن أن يعف عنهما لسانه فقال له اقطع لسانك قطعا عن هاتين الخصلتين الذميمتين لئلا تطمس ظلمتهما أنوار قلبك فلا تنطق بغيبة أحد كائنا من كان ولا تسعى بالتفرقة بين الناس لتسود أنت على حسابهم، ومن آذاك منهم فلا تقابل أذاه بأذى مثله بل اعف عنه ولا تقتصر على مجرد العفو بل اتبع عفوك عنه بالإحسان إليه بالمال على سبيل البر إن قدرت أو بالمسالمة بالكلام الحسن إن عجزت حتى إن من حرمك عطاء فبادر أنت بإعطائه بعد أن حرمك.

من هذه الكلمات المعدودات تعرف مكانة البدوىّ الأخلاقية - ومدى مطابقتها لأرفع أخلاق القرآن وانطباقها على أخلاق الرسول عليه السلام فقد كان رسول ﷺ يعامل أعداءه بهذه الأخلاق الفاضلة فلم يؤذ من آذاه منهم بل عفى عمن ظلمه

وأحسن إلى من أساء إليه وأعطى من حرمه ولم يظهر شماتته بأحد منهم، ولم يزد - يوم الفتح بعد أن تمكن من رقابهم - عن قوله: "ما تظنون أنى فاعل بكم..؟". فقالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" وكان لم يكن بينهم وبينه حرب ولا قتل ولا قتال ولا محاصرة ولا مؤامرة ولا إخراج من الديار ولا تجريد من الأموال ولا تشريد ولا تجويع، وكأن أبا سفيان كان صديق رسول الله الحميم فجعل داره أمانا لمن يدخل فيها، وذلك أفضل ما نعرف من كمال الأخلاق.

تاريخ ميلاد الإمام البدوى

اتفق المؤرخون على أن ميلاد سيدى أحمد كان بمدينة فاس إحدى مدن مراكش فى سنة ٥٩٦ هجرية ويحتفل أولو الأمر قديما وحديثا فى المسجد الأحمدى بعيد ميلاده فى ليلة آخر أربعاء من شهر ذى الحجة فى كل عام، ويظهر من تخصيصهم الاحتفال بهذه الليلة بالذات أن ميلاده كان فى الشهر الأخير من سنة ٥٩٦.

نسبه الشريف

كان سيدى أحمد يحمل نسبه معه حينما رحل من الحجاز إلى طنطا مع بعض كتبه التى كان يعتز بها، وفى ذلك يروى الخفاجى ما قاله أخوه الحسن حينما أصبح فوجد سيدى أحمد شرع فى رحلته إلى طنطا قال الحسن فأصبحنا فلم نجد أخى أحمد ولم نجد "كتاب النسب" وراح وتركنا كالحداد بلا فحم - ولقد كانت الدواعى متوفرة على العناية بالأنساب لدى السادة الأشراف بعد أن تفرقوا فى البلاد من بطش الظالمين فكانوا يثبتونها بعناية ويشهدون على صحتها ويعتمدونها من الرؤساء والحكام ويسجلونها فى دور خصصت لذلك ويحملونها معهم أينما كانوا محافظة منهم على شرف الانتساب لأشرف المرسلين صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واحتفاظا منهم بما فيه مصدر فخرهم وظهور فضلهم على الناس أجمعين - وكان من الطبيعى أن يتناقل الناس عن سيدى أحمد البدوى هذا النسب الشريف فى حياته وبعد مماته لاسيما

تلامذته الذين انتشروا فى أنحاء البلاد وأطرفها وكان لهم السبق فى القيام بـأمر دعوتـه ليثبت لهم شرف الانتساب إلى أصل من أصول أهل بيت رسول الله الطاهرين.

وكان من أوائل من روى هذا النسب من المؤرخين القدامى الـشيخ يـونس الـشهير بابن أزبك الصوفى الذى يعتبر فى حكم المعاصر لسيدى أحمـد، لأن وفاتـه كانـت فـى أوائل القرن الثامن الهجرى فى عصر سيدى عبد العال، ثم رواه من مشاهير المـؤرخين المقريزى الذى توفى فى أواسط القرن التاسع ثـم رواه جـلال الـدين الـسيوطى الـذى توفى فى أوائل القرن العاشر والأستاذ الشعرانى الذى تـوفى فـى أواسـطه ورواه غـير هؤلاء المشهورين كثير من معاصريهم كما رواه كثرة لا تحصى من المؤرخين المحدثين.

وكان اعتمادهم فى أول الأمر فى هذا التناقل على مخطوطاتهم لأنه لم تكن لـديهم طباعة حينذاك فكان بعضهم يروى النسب ويضيف لكل اسم لقبه المعـروف وبعـضهم يرويه مجردا عن اللقب ولتشابه الأسماء فى المرحلة الوسطى من النسب وقـع اخـتلاف فى إضافة الألقاب إلى أسمائها – ولهذا رأى المقريزى إثباتها جميعا بـدون ألقـاب وكـأن ذلك وقع منه من باب الاحتياط ونحن نثبتها كما أثبتها احتياطا فنقول:

هو السيد أحمد البدوى بن السيد على البدرى بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد أبو بكر بن السيد إسماعيل بن السيد عمر بن السيد على بـن الـسيد عثمـان بـن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد موسى بن السيد يحيى بن السيد عيسى بن السيد على بن السيد محمد بن السيد حسن بن السيد جعفر بن السيد على بن السيد محمد بـن السيد على بن السيد موسى بن السيد جعفـر بـن الـسيد محمـد بـن الـسيد علـى زيـن العابدين بن السيد الحسين بن الإمام على كرم الله وجهه.

وقد اتفق جميع المؤرخين على أن فى أجداد سيدى أحمد البدوى من الأئمـة الاثنـى عشرية تسع أئمة وهم الإمام على كرم الله وجهه وابنه الإمام الحسين المتوفى سنة ٦١هـ وابنه الإمام على زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ وقيل سنة ٩٩ وابنه الإمام محمـد البـاقر المتوفى سنة ١١٣ وقيل سنة ١١٧ وابنه جعفر الصادق المتـوفى سـنة ١٤٨ وابنـه علـى

الرضا المتوفى سنة ٢٠٢ وابنه محمد الجواد المتوفى سنة ٢٢٠ وابنه على الهادى المتوفى سنة ٢٥٤ وهم على هذا الترتيب مثبتون فى النسب الذى رواه المقريزى وأثبت المقريزى من بعدهم جعفر وابنه حسنا وجعفر هو أخو حسن العسكرى الشهير وحسن هو ابن أخى حسن العسكرى الشهير سمى باسم عمه ومن بعد جعفر وابنه حسن أثبت المقريزى محمدا وابنه عليا ومحمد هذا غير محمد الجواد المتقدم وابنه على غير على الهادى المتقدم بن محمد الجواد ثم أثبت المقريزى عيسى من بعد محمد وابنه على.

وبالتأمل فى رواية المقريزى تجد من بعد عيسى أن محمدا وابنه عليا تكررت مرتين وأن حسن بن جعفر أثبتت بينهما وأن الأولى منهما محمد الجواد وابنه على الهادى، هذه هى رواية المقريزى على هذا الترتيب أما رواية ابن أزبك فلم يتكرر فيها محمد وابنه على مرتين فلم يكن حسن بن جعفر بينهما ولم يجعل الأولى منهما الكائنة فى أعلى النسب والمتصلة بالأئمة الاثنى عشرية هى محمد الجواد وابنه على الهادى بل جعل الثانية منهما هى محمد الجواد وابنه على الهادى وأثبت حسن بن جعفر بينهما وبين الأئمة الاثنى العشرية ولم يذكر محمدا وابنه عليا الأولى لأنها عنده هى الجواد وابنه على الهادى وقد ذكرهما فلم يكررهما.

هذا هو الفرق بين الروايتين أثبت الألقاب من لم يثبتها، وليس من بين أجداد البدوى من الأئمة الاثنى عشرية باتفاق السيد الحسن شقيق مولانا الإمام الحسين ولا السيد حسن العسكرى الشهير بابن على الهادى ولا ابنه محمد المنتظر.

وقد اشتبه على بعض الناس حسن بن جعفر ابن أخى حسن العسكرى باسم عمه فظنه حسنا العسكرى وهو ظن خاطئ لأن حسنا العسكرى وجعفر ابنان لعلى الهادى بن محمد الجواد فكيف يكون العسكرى ابنا لأخيه، وكل المؤرخين لم يكتبوا إلا حسنا مقرنا بجعفر فتسمية حسن بن جعفر بالعسكرى تسمية - خاطئة نشأت من اشتباه اسمه باسم عمه ولا يبعد أن يكون حسن بن جعفر لقب بالعسكرى تشبيها بعمه فظنه بعض الناس العسكرى الشهير.

الاعتراض على سيدى أحمد البدوى

أذكر لك قصة مخزية ومحزنة جادت بها قريحة نفس متأزمة حصرت همها فى الطعن فى أحباب الله وأضاعت حياتها تعمل على إطفاء نـور الله ويـأبى الله إلا أن يـتم نـوره ولو كره الظالمون. فكان من المخزى حقا أن يظهر بين الناس من يرفع رأسه ويمـد عنقـه ويحرك بدنه ويقول فى نعابه هل كان أحمد البدوى من نسل على؟ وكأنه كان فـى نومـة أهل الكهف فلم يسمع ما دوّنه المؤرخون فى نسب السيد البدوى واتصاله بعلـى كـرم الله وجهه حتى قام من سباته يـستفهم عـن ذلـك معلنـا غفلتـه عمـا توافـق عليـه كـل المؤرخين. قال ذلك المتأزم: يذكرون أن سبب هجرة أجداده إلى الغرب أن جـده محمـدا الجواد بن حسن العسكرى هاجر خوفا مـن الحجـاج حـين نكـل بالأشـراف، ثـم قـال حضرته والتاريخ الصحيح يدحض هذه الرواية ويقطع بكذبها من وجوه كثيرة منهـا أن محمدا الجواد هو ابن على الرضا وليس ابنا لحسن العـسكرى انتهـى الوجـه الأول مـن الوجوه الكثيرة، ثم قال ومنها أن محمدا الجواد الذى قيل إنـه هـاجر خوفـا مـن بطـش الحجاج كان ميلاده سنة ١٩٥ هجرية وتوفى فى بغداد سـنة ٢٢٠ أمـا الحجـاج فتـوفى سنة ٩٥ أى أن وفاته كانت قبل ميلاد محمد الجواد بمائـة سـنة، ثـم قـال وبانهيـار هـذه الحجة ينهار معها نسب أحمد البدوى إلى العترة النبوية ولا يستحق هذه السيادة المزورة. انتهى الوجه الثانى من الوجوه الكثيرة، واختتم بعـد ذلـك فـصله المـضحك ولم يـذكر وجوها كثيرة ولا قليلة.

ونحن نقول له إن التاريخ الصحيح يدحض روايتك ويقطع بكذبك فإن أحدا لم يقل أن سبب هجرة أجداده أن جده محمدا الجواد بـن حـسن العـسكرى هـاجر خوفـا مـن الحجاج بل الذى قاله الشعرانى فى سبب الهجرة هـذا نـصه: كـان مولـد سـيدى أحمـد بزقاق الحجر ببلدة فاس بالمغرب الأقصى لأن أجداده انتقلوا أيام الحجـاج إليهـا فـتراه قال أجداده ولم يقل محمدا الجواد بن حسن العسكرى كما تقول. والذى قاله ابن أزبك الصوفى فى سبب الهجرة لم يذكر فيه أن محمدا الجواد هو ابن حسن العسكرى وهذا هو

نصه كما فى صحيفة ٦٤ من الخفاجى قال ابن أزبك فلما قتل الحجاج جماعة من الأشراف خافوا وتفرقوا فى البلاد ولم يتخلف فى مكة غير الشريف محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم فتراه قال محمدا الجواد بن على الرضا ولم يقل ابن العسكرى كما تزعم وبذلك انقطعت حجتك وظهر كذبك. أما إذا كان قد اشتبه عليك حسن بن جعفر باسم عمه فظننته حسنا العسكرى فاختلقت هذه الرواية من خيالك فقلت يذكرون أن سبب هجرة أجداده إلى الغرب أن جده محمدا الجواد بن حسن العسكرى إلخ والواقع أن أحدا لم يذكر ذلك كما بينا فإنك بذلك تكون واهما ومدلسا فيدور أمرك بين شيئين لا ثالث لهما إما الكذب وإما الوهم والتدليس وقد نبهنا على هذا الخطأ فيما سبق وقلنا قد يشتبه على بعض الناس حسن بن جعفر ابن أخى حسن العسكرى فيظنه حسنا العسكرى وهو ظن خاطئ وقلنا كل المؤرخين لم يكتبوا فى النسب إلا حسنا مقرونا بجعفر فتسمية حسن بن جعفر بالعسكرى تسمية خاطئة نشأت من اشتباه اسمه باسم عمه.

أما ما ذكرت فى بيان سبب هجرة أجداده من المقارنة والمفارقة التاريخية بين الحجاج وبين محمد الجواد ثم انتقالك من ذلك إلى الطعن فى نسب السيد البدوى فهذا يدلنا دلالة قاطعة على أنك لا تتدبر الأمور على حقيقتها ولا تعرف كيف تصدر حكمك فى أبسط القضايا الضرورية ولا تدرى معنى للإنصاف فى الحكم، وما هى العلاقة بين نسب السيد البدوى وبين كاتب أخطأ فى تاريخ هجرة جده - إن خطأ الكاتب أمر يرجع إلى عدم عنايته بتاريخ الهجرة وإن شئت قلت إلى جهله بهذا التاريخ.

فإذا كان هناك كاتب ذكر أن هجرة جده محمد الجواد كانت فى القرن الأول والواقع أنها كانت فى القرن الثالث فهل من العقل أن تتخذ ذلك ذريعة إلى الطعن فى النسب المجمع على اتصاله من جميع المؤرخين، وتقول ما دام هناك كاتب أخطأ فى تاريخ هجرة جده فإن نسب السيد البدوى إلى العترة النبوية ينهار وهو لا يستحق هذه السيادة، المزورة لست أدرى ما هى علاقة الأنساب بخطأ بعض الكتاب فى تاريخ الهجرة؟ لو أن كاتبا ذكر أن هجرة الرسول ﷺ كانت عام الفيل ومعلوم أن عام الفيل

هو عام ولادته لا عام هجرته فهل يصح أن نقول إن هذا الكاتب قد أخطأ فى بيان هجرة الرسول فإذن يكون نسب الرسول ﷺ إلى عدنان نسبا غير صحيح هذا هو منطق المعترض وهذا هو علم المعترض ليته سكت وليته ستر نفسه ولم يكشفها بقوله هل كان أحمد البدوى من نسل على؟!!.

هجرة أجداده إلى بلاد المغرب

أسرة سيدى أحمد لم توجد إلا أيام أن وجد هو فى سنة ٥٩٦ هجرية ووجد أبواه وأخواته فإذا قرأت فى كلام المؤرخين أن أسرته هاجرت من مكة إلى بلاد المغرب فاعلم أن ذلك المهاجر هو أحد أجداده لا أسرة سيدى أحمد؛ لأنه لم تكن له أسرة إلا فى ظهر ذلك الجد، وإذا قرأت أين كانت أسرته فى هذه القرون الستة قبل ميلاده فابحث أين كان أحد هؤلاء الأجداد فحيثما كان فى هذه القرون كانت هذه الأسرة منطوية فيه.

وقد ابتدأت أسباب هجرة أجداده من الحجاز حينما استأثر بنو أمية بالملك ونَحَّوْا عنه أبناء على كرم الله وجهه. ولخشيتهم على ضياعه منهم ورجوعه ثانيا إلى أبناء على فى زمن محاربة الحجاج لابن الزبير أمعنوا فى مطاردتهم وبالغوا فى قتلهم وإخراجهم من ديارهم، وبالضرورة لم تكن هجرة هؤلاء الأشراف دفعة واحدة بل كانت فى فترات متطاولة ممتدة بامتداد عهد بنى أمية فى الملك ومن ورثه عنهم من العباسيين لأنهم ما كانوا يطاردون إلا من وجدوا فيه كفاءة للخروج عليهم وشعروا بأنه يعمل لسلب الملك منهم أما غيرهم ممن لم تجتمع فيهم صفات الملك فكانوا على حالهم إلى أن يجدوا فيهم تلك الصفات فيطاردونهم ـ فأجداد سيدى أحمد الأوائل أعنى محمدا الباقر وابنه جعفر الصادق وابنه موسى الكاظم وابنه عليا الرضا ولدوا جميعا بالمدينة، ومنهم من توفى بها ومنهم من توفى ببغداد مسجونا فى عهد الرشيد وهو الكاظم، ومنهم من توفى خيانة فى عهد المأمون سنة ٢٠٢ وهو على الرضا، ومعنى ذلك أن هجرة أجداده إلى المغرب لم تكن قبل القرن الثالث الهجرى فرواية بعضهم أن هجرة أجداده كانت خوفا من بطش الحجاج فى القرن الأول غير واضحة!! ويظهر أن الحجاج لما أصبح

حجر الزاوية فى فتنة مطاردة الأشراف وقتلهم بغير حق بسبب أن هذا الحدث التاريخى كانت نتيجة من نتائج تصرفاته وجبروته صار يذكر فى كل فتنة من هذا النوع سواء باشرها أو لم يباشرها فيقال فلان من الأشراف هاجر فى أيام فتنة الحجاج ولو لم تكن فتنة الحجاج لأنه أصل هذه الشنيعة النكراء فصار الناس ينسبونها إليه ولو لم تكن من عمله، ويروى المؤرخون أن أول من هاجر من أجداد سيدى أحمد البدوى إلى بلاد المغرب هو الشريف محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم كما ذكر ذلك الخفاجى نقلا عن ابن أزبك وذكر أن سبب الهجرة هى فتنة الحجاج، وقد ذكرنا أن هذه الرواية غير واضحة. والذى يظهر أن سبب هجرة محمد الجواد هو أنه لما رأى أن الخليفة محمدا المهدى العباسى استقدم جده موسى الكاظم من المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وسجنه ببغداد ولم يطلقه من سجنه إلا برؤيته لعلى كرم الله وجهه يقول له يا محمد ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾(١).

ثم رأى الجواد أن الرشيد من بعد المهدى سجنه ثانيا فى بغداد ولم يخرج من السجن إلا ميتا ودفن بالكاظمية هناك، ورأى الجواد أن عمه زيدا بن موسى الكاظم خرج على الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، بالبصرة وفتك بأهلها ثم كانت بينه وبين المأمون مناورات انتهت بإخلاد زيد لطاعة المأمون، ورأى الجواد أيضا أن أباه عليا الرضا مات خيانة على ما قيل..

أقول إن محمدا الجواد لما رأى هذه التعسفات من الخلفاء العباسيين مع جده وعمه وأبيه وجد أن الإقامة بالحجاز أصبحت متعذرة فى ظل العباسيين وأضحت خطرا على نفسه لأن اضطهادهم للعلويين كان يتجدد بين آن وآخر وبصورة تدعو إلى الخوف وعدم الاطمئنان، هاجر إلى بلاد المغرب الأقصى بعيدا عن سيطرتهم ونفوذهم وتجنبا لاضطهادهم.

وروى ابن أزبك فى كتاب النسبة أنه نزل بفاس وتزوج من ابنة السلطان وأنجب منها ابنه عليا الهادى، وظاهر هذه الرواية يدل على أن نزول محمد الجواد كان بفاس فى

---

(١) سورة سيدنا (محمد) ﷺ: ٢٢.

القرن الثالث وأن أجداده لم يسكنوا البادية بدليل تزوجه من ذوى السلطان فى تلك البلاد وهم لا يزوجون عادة سكان البوادى. ومصاهرة محمد الجواد لذوى السلطان من سكان فاس أسبابها واضحة، لأنه كان من الظهور بحيث لا تخفى مكانته على أحد فى سائر البلاد الإسلامية لاسيما وقد كان هو وآباؤه طلاب أكبر خلافة فى الأرض انتزعها منهم الأمويون والعباسيون بغير حق.

وبالضرورة كان بيتهم فى المدينة مقصدا للتبرك بهم من كل وافد لزيارة قبر جده من حجاج بيت الله الحرام مغربيا كان أو غير مغربى فلم يكن محمدا الجواد نكرة فى المغرب حتى لا يرغب فى مصاهرته ذوو السلطان حين نزل بأرض فاس، بل إن هذا الظهور وتلك المكانة لم تفارق أجداد السيد أحمد البدوى وآباءه مدة هجرتهم إلى بلاد المغرب وبعد عودتهم من تلك الهجرة إلى الحجاز بدليل ما رواه المؤرخون من تلك التوديعات التى ودعهم بها أمراء فاس وشعبها حين عودتهم وبدليل تلك التلقيات التى تلقاهم بها القبائل فى كل مرحلة من مراحل تلك العودة بل وأمراء الحجاز نفسه حين عودتهم إلى أوطانهم سالمين.

عودة الأسرة من فاس إلى مكة والسبب المباشر لهذه العودة

كانت الأسرة حين عودتها من فاس إلى الحجاز مكونة من عشرة أشخاص عميدها الولى الكبير السيد على البدرى الذى نظمه سيدى أحمد البدوى فى سلك الأئمة الاثنى عشرية فى أبياته التى كان يرددها فى منامه وأجمع المؤرخون على صحة ما ورد فيها من تواريخ الأئمة الاثنى عشرية حيث قال فى ختامها بيتا خاصا بأبيه على البدرى معبرا فيه عن مركزه فى الخلافة الصوفية وهو:

وأما على فالخليفة بعدهم ... على سائر الأقطاب وهو مؤدب

وزوجته عربية الأصل فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن شعيب المزنية من بنى مزينة، وأولاده الثمانية سيدى أحمد وهو آخرهم ولادة، وأكبرهم مقاما،

وأخوه الحسن وهو أكبرهم سنا وكان على بصيرة ومعرفة بالله تعالى وعلم تام بأرباب الأحوال وذوى المقامات وما يجرى بينهم فى عالم الأرواح والأشباح كما يؤخذ من بيانه لسيدى أحمد حينما أراد الرحلة إلى بلاد العراق، وأخوه محمد ولم يرو لنا المؤرخون شيئا نعرفه به إلا أنه مات بمكة ولم يعقب.

أما أخواته الخمسة الإناث فهن فاطمة وزينب ورقية وفضة وأم كلثوم عاش منهن بعد سيدى أحمد فاطمة وزينب ورقية وفضة، ورثينه بمرثيات ذكرها الخطابى فى تاريخه، كما عاش من بعد أخوه الحسن ويظهر أنه دفن بمكة. ويذكر بعضهم لعودتهم أسبابا منها اضطراب أحوال بلاد المغرب فى ذلك العهد ويظهر أن السبب المباشر لهذه العودة هو ما ذكره المؤرخون من أن سيدى على البدرى رأى فى المنام من يقول له ارتحل من هذا المكان إلى مكة فإن لنا فى ذلك شأنا، لاسيما وهو يعلم أن المتصوفة أجمعوا على أنه إذا أمر أحدهم بالانتقال من مكان إلى مكان فإنه تجب المبادرة بهذا الانتقال حتى ولو لم يكن لذلك الانتقال وجه ظاهر فى نظر العقل ـ وإذا خير فى الانتقال إلى مكانين فليختر أثقلهما على نفسه لأن الخير فى ذلك أكثر، وفى سبيل امتثال هذا الأمر ترك سيدى على البدرى بيته وضياعه وتجرد من كل ما يملك طالبا مع زوجته وأولاده مكة ـ وقد ظهرت عروبته الأصيلة فى بيتين أنشدهما يوم الرحيل حنينا منه إلى وطنه الأصلى وهما:

رحلنا إلى أرض يفوح شذاؤها ... إلى عرب مالى سواهن مدخر
رحلنا إليها نستظل بظلها ... يصير لنا فيها مقام ومصدر

والمصدر كالصدر أعلى مقدم كل شىء وقد صار له ولأبنائه بعد العودة الصدارة فى الولاية الكبرى، وكأنه فهم أنه سيصير لهم ذلك من قول الآمر له بالرحيل فإن لنا فى ذلك شأنا.

بدء العودة ونهايتها وسنه حينذاك

اتفقوا على أن بدء العودة كان سنة ٦٠٣ واختلفوا فى نهايتها فالأكثرون على أنهم وصلوا مكة سنة ٦٠٧ وغيرهم على أن سيدى أحمد حج مع أبيه سنة ٦٠٩ يكون وصولهم فى ذلك العام فتكون مدة الرحلة أربع سنوات أو ست سنوات على الخلاف المذكور. وقد اتفقوا على أن ميلاده سنة ٥٩٦ فتكون سنة حين بدء العودة سبع سنوات باتفاق وحين نهايتها أحد عشر عاما أو ثلاثة عشر عاما على الخلاف فى مدة الرحلة - والأظهر أن مدة الرحلة أربع سنوات كما روى عن الشريف حسن - ويقال إنهم مروا فى طريقهم بمصر وأقاموا فيها نصف هذه المدة.

ماذا بعد العودة إلى مكة؟

أقام سيدى أحمد بالحجاز إلى حين رحلته إلى العراق سبعا وعشرين سنة قضاها على النحو الآتى ـ أتم حفظ القرآن ثم تعلم علم القراءات وتفقه على مذهب الإمام الشافعى ـ ويظهر أنه لقوة بنيته وشجاعة قلبه مارس فن الرياضة أيضا وفى ذلك يقول أخوه الحسن لم يكن فى فرسان مكة والمدينة فارس أشجع من أخى أحمد. وبعد أن كملت فيه صفات الرجل العالم والمؤمن القوى تحول بكليته إلى ناحية العمل فأخذ يعالج نفسه بشتى أنواع العلاج فلازم الصيام ثم أدمن عليه حتى كان يطوى أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شرابا وداوم على السهر فى العبادة حتى كان لا ينام الليل كله وكان أحيانا يتعبد فى الكعبة وأحيانا فى جبل أبى قبيس وقال أبو السعود الواسطى فى تاريخه إنه فتح عليه فى جبل أبى قبيس ثم لازم الصمت واعتزل الناس جملة -ثم ظهر عليه "الوله" وهو حالة عرضية تعرض للمريد السالك حين استغراقه فى مشاهدة أنوار الذات العلية تتلاشى معها الأعراض البشرية من أكل وشرب ونوم وكلام ـ ثم يعقبها حالة أخرى تعرف فى لسان القوم بحالة "الصحو بعد المحو" وحال "البقاء بعد

الفناء" فتعود معها تلك الأعراض لكن بصورة مخففة وفى أثناء هذه المدة حج والده سنة ٦٢٧ هجرية ومات فى سنته.

ويظهر من متابعة عادة سكان مكة أن سيدى أحمد حج كثيرا وزار قبر جده كثيرا ولم يذكر المؤرخون كم مرة حج ولا كم مرة زار ويؤثر عنه بيت من أدبه الرقيق قاله عند انصرافه من إحدى زياراته لرسول الله ﷺ.

يقولون:

زرتم بما رجعتم　　　يا أكرم الرسل ما نقول

فسمع من يقول له بيتا أرق أدبا وأبعد مغزى وهو يدل على شدة اتصال سيدى أحمد بحضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو:

قولوا رجعنا بكل خير　　　واتحد الفرع والأصول

كما يدل على شدة هذا الاتصال قول سيدى أحمد.

ليس لى شيخ ولا لى قدوة　　　غير خير الرسل طه الاولا
قرشى الوقت حقا نسبتى　　　تنتهى للمصطفى من قد علا
كل ولى آخذ عهدى كما　　　كل قطب كان قبلى أولا
ما عطى قبلى ولا بعدى أحد　　　من علومى واتصالى خردلا

توضيح هام: ويوضح قوله "واتحد الفرع والأصول" ما خفى فى البيتين الأخيرين فإن كل ولى وكل قطب قبله يأخذ عهده عن شيخه بالضرورة وشيخه إنما يعطى ذلك العهد بالنيابة عن حضرة الرسول فإذا اشتد قرب أحد بحضرة الرسول ساغ أن يقول كل ولى وكل قطب آخذ عهدى وساغ أن يقول ما أعطى أحد من علومى واتصالى خردلا.

لماذا لم يتزوج السيد أحمد البدوى

كان انصرافه إلى العبادة على النحو الذى سلف أكبر صارف له عن الزواج فإن من أدمن على أن يقطع ليله قائما ونهاره صائما فقد أحيا فى نفسه عوامل الروح ودوافعها

وأمات فيها دوافع البشرية ونوازعها وتموت معها رغباته الطبيعية ويتجه بطبيعة الحال إلى ما تقتضيه دوافع الروح وهو طلب معرفة الله وينصرف عما تقتضيه دوافع البشرية وهو طلب النساء لانعدام تلك الدوافع فيه. وقد يكون من عوامل إعراضه عن الزواج ما رواه المؤرخون من أن أخاه الحسن تزوج سنة ٦١٧ وأن أخاه محمدا تزوج سنة ٦٢٦ ولكون سيدى أحمد يليهما فى السن كان زواجه تاليا لزواج أخيه محمد إلا أن الذى تلا زواج محمد هو وفاة والدهم سنة ٦٢٧، ثم وفاة محمد سنة ٦٣١ وبذلك تفككت الأسرة وكان لتفككها فى نفس سيدى أحمد أثره المعروف فعززت هذه العوامل عزوفه عن الزواج لما عرضه عليه أخوه الحسن.

رحلته إلى العراق وأسبابها

ترجع أسباب هذه الرحلة إلى أنه رأى وهو نائم بجوار الكعبة من يوقظه فاستيقظ وتوضأ وقرأ ورده الذى نام عنه، وفهم أن إيقاظه لهذا السبب ثم نام فجاءة وأمره بالرحلة إلى العراق فأخبر أخاه الحسن بذلك فحذره من السفر إلى العراق لأنه برزخ الأولياء والصالحين وبين له ما يقع أحيانا بين أرباب الأحوال وأصحاب المقامات العالية من المنازعات والمخاصمات فى الأمور التى تتعلق بآدابهم وعاداتهم وكأنه كان بصيرا بهذه الأمور ملما بها عالما حق العلم بها كما يبدو واضحا من كلامه بل الذى يظهر من كلامه أنه خاض تلك الأمور واصطلى بنارها - ولهذا كان شديد الخوف على أخيه من تلك الرحلة وحذره منها كل التحذير إلا أن السيد البدوى أصر على هذه الرحلة لما رآه أولا ولأنه رأى الجيلانى والرفاعى يستحثانه على السفر ويعرضان عليه الزعامة الدينية فى بلادهما فقال لهما "أنا منكما ولكن أنا لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح" ورافقه أخوه فى هذه الرحلة شفقة عليه فسافرا يوم الاثنين عاشر المحرم سنة ٦٣٤ ووصلا فى شهر ربيع الأول من تلك السنة، فزارا جدهما السيد موسى الكاظم ثم السيد عبد القادر الجيلانى والحلاج وأبا الوفا والزوالى والبزار وعدى بن مسافر وغيرهم، ويقول الحسن إنهما كان يلقيان فى كل منزل ينزلان فيه كل تقدير وأنه بنيت باسمهما

أروقة وزاوية للإقامة فيها، ولكنهما أبيا ذلك وواصلا سفرهما إلى قرية "أم عبيد" لزيارة السيد أحمد الرفاعى. وبعد تمام هذه الزيارة رأى السيد أحمد البدوى أن الرفاعى يأمره بالذهاب إلى بنت برى ليكفها عن سيرها المعوج فى طريق القوم ويردها إلى الصواب فيما يقع منها من تعرضها للرجال وسلبهم رأس مالهم فى طريق القوم. فبدا له أن يذهب إليها ليقوم بهذه المهمة الدينية، إلا أن أخاه الحسن غلبت عليه شفقته على أولاده فبدا له أن يعود إلى مكة ويترك سيدى أحمد بالعراق ليقوم بهذه المهمة، فودع كل منهما أخاه، فانصرف الحسن إلى مكة، وانصرف سيدى أحمد فى طلب بنت برى.

قصة بنت برى

كانت مفارقة سيدى أحمد لأخيه الحسن فى رحلتهما إلى العراق هذا إلى مكة وذاك إلى بنت برى ميقاتا أقت به المؤرخون مبدأ هذه القصة وكانت دليلا واقعيا على أن لها أصلا فى تاريخ رحلته إلى العراق وأنها جزء متمم لهذه الرحلة وقد اشتهرت هذه القصة بين الناس وتناقلوها جيلا بعد جيل كما تناقلها المؤرخون بصفة مفصلة تارة وبصفة مجملة تارة أخرى. ويظهر أن السبب فى هذا الإجمال هو غموض عناصر هذه القصة وكثرة المبالغات التى داخلتها من تحريف الناقلين أو المتحيزين فقد بالغوا فى عدد الجمال التى كان يرعاها سيدى أحمد لبنت برى حتى أوصلوها سبعة آلاف وقد لا تتجاوز السبعين، وبالغوا فى أن سيدى أحمد خسف ببنت برى الأرض فغاصت فيها هى وفرسها إلى حماليق العيون وبالغوا فى الموقعة التى خاضها سيدى أحمد وأعوانه من أرواح الصالحين مع بنت برى وأعوانها من الصالحين بمالا يتفق مع الحقيقة فى شىء وبالغوا فى كيفية تعرض بنت برى لأرباب الأحوال من الرجال حتى أظهروها بمظهر المستهترة المبتذل.

كل هذه المبالغات التى أدخلت على هذه القصة شوهت جمالها وسترت جلالها وأبرزتها فى صورة القصة المزدراة، فأجملها بعضهم إجمالا، ولكونها كما قدمنا لها أصل

فى تاريخ السيد البدوى وجزء هام من أجزاء رحلته إلى العراق آثرت أن أكتبها مجردة من تلك المبالغات موضحا ما يمكن إيضاحه بقدر ما يقتضيه المقام فأقول:

كانت فاطمة بنت برى سيدة غنية بالمال رائعة فى الجمال وعليها مسحة من الجلال لا تقع عليها العين حتى تقع هى فى القلب، ولها أيضا رأس مال من العمل الصالح أكسبها بعض منازل أهل القرب من أرباب الأحوال. ويذكرون من حالها أن لها فرسا معلمة كانت تركبها بغير لجام وإنما إذا أرادت أن تسير هى سارت فرسها تبعا لما تريد ـ وقد أحبها الناس واشتغلوا بها طلبا لتحصيل رضاها وقد يكون أيضا طمعا فى مالها وجزيل بذلها. ويظهر أنها لم تحسن التصرف فيما كسبته من حال ومنحته من جمال فاعتمدت فيهما على ثقتها بنفسها ولم تراع مع تلك الثقة قواعد الشرع وصريح الأحكام، فالعادة المتبعة عند أرباب الأحوال وذوى المقامات أن يمتحنوا من توسموا فيه صدق النية وسلامة القصد بأن يأمروه ببذل شىء من حطام الدنيا يعز على نفسه ويعظم عليها أن تخرج عنه للفقراء والمحتاجين، لينظروا منه عمليا صدق نيته وسلامة قصده، وهل خرج حب الدنيا من قلبه أو لم يخرج؟ وهذه سنة من سنن الله فى امتحان عباده كما هو واضح من مشروعية الزكاة.

أما فاطمة فقد جعلت مقياس صدق النية وسلامة القصد عندها هو أن تتعرض بوجهها الفاتن لمن تريد امتحانه فإذا تتابعت منه النظرات علمت أنه ليس من الصادقين وإذا لم تتابع منه النظرات أولته مكان القرب والتكريم، وقد يكون ذلك منها اعتمادا على ثقتها بنفسها كما تقدم، إلا أن الشرع لا يمكن أن يعفيها من ذلك مهما حسن القصد وقويت الثقة بالنفس، لا سيما وقد يترتب على ذلك سلب الرجال أحوالهم وضياع ثمرات أعمالهم من حيث لا يشعرون، ويظهر أنه تكرر منها إجراء هذا الامتحان، ويظهر أن كل الممتحنين سقطوا من أول نظرة فى صحيفة الامتحان، وقد يكون هذا التعرض من طغيان حالها الذى كسبته بعملها الصالح، فإن لكل حال عال ومقام سام طغيانا كطغيان العلم وطغيان المال، فقد يكون هذا الذى رسمته لنفسها من طغيان حالها الذى لم تتفطن له فاطمة فسلبت حالها وخسرت أرباحها ونعوذ بوجهه

الكريم من السلب بعد العطاء ويجوز أنها توسعت فى إجراء هذا الامتحان فأجرته مع الأقربين منها وغير الأقربين.

لم ترض هذه الطريقة أهل العلم والنظر من سكان العراق لاسيما الرفاعى والجيلانى حاملا لواء العلم والمعرفة فى هذه الأصقاع، ولم يجدا أحدا يملك زمام نفسه ويقدر بقوته الروحية على إزالة هذه الفتنة الدينية إلا سيدى أحمد البدوى فانتدبه الرفاعى مناما لهذه المهمة أثناء زيارته له فى رحلته إذ رآه يأمره بالذهاب إلى بنت برى ليؤدبها ويرجعها عن التعرض للرجال وسلبهم أحوالهم فصدق سيدى أحمد هذه الرؤية خير تصديق وقاسى فى سبيل تحقيقها ما تعجز عنه همم الرجال فانطلق هو وأخوه من قرية أم عبيدة مقر الرفاعى الأخير إلى بغداد وهنا فارقه أخوه كما قدمنا وذهب هو وحيدا بنفسه قويا بربه فى طلب بنت برى بناحية العشائر فى شمال العراق - ولما نزل بعشيرة بنت برى تظاهر بحيلة غريبة ليحفظ بها نفسه وليطمس بها ما قد يتسرب إلى علمها من خبر رحلته إليها لأنها من أرباب الأحوال كما قلنا فربما ينكشف فى علمها معرفة وجهة نظره قبل أن يصل إليها وقد نفعته هذه الحيلة أعظم نفع وأتمه - فتظاهر بأنه أصم لا يسمع وأبكم لا يتكلم - قال سيدى أحمد لما أقبلت على بنت برى جعلت نفسى أخرس أطرش ووجدتها تقول كل غريب يجيء إليكم "هاتوه هنا" وكأنها عرفت قصده قبل أن يصل إليها، فلما أقبل على فتياتها كلمنه فلم يجبهن، ولكزنه فلم يجبهن، فأخذنه إلى بنت برى، فلما وقف بين يدها نادته فلم يجبها. فقالت: سبحان الله، متعجبة من أن نظرها يخيب وفراستها لا تصيب، فقال لها من حولها إن الناس تتشابه وهذا أخرس وأطرش وأبله. فقالت: أخاف أن يكون الذى رأيته. وكانت قد رأت أن عاقبة أمرها صائرة لزوال ممثلة فى صورة رجل بدوى يقدم عليها ويقضى على طريقتها ويسلبها حالها، كما يرى أحدنا عاقبة أمره فى أحداثه وشئونه مناما، وقد تكون قد رأت ذلك بصورة واضحة لأنها كما يذكرون أعطيت عطاء جزيلا.

ولهذا كان عجبها شديدا حينما نادته فلم يجبها، وقالت الشخص شخص الذى رأيت فسبحان من ليس له شبيه، ثم أمرت بإخلاء سبيله، إلا أن النقيب أشار عليها بأن

يرعى جمالها، وكأن هذا منه من باب الشفقة والرفق برجل أبله أطرش أخرس لايعى ما يقول فناداه وقال له ترعى الجمال فلم يجبه. قال سيدى أحمد: فصرخ فى أذنـى صـرخة تزعزع الجبال، مبالغة فى شدتها فأشار برأسه إلى أسفل ـ أى نعم أرعى الجمال ـ فقالت بنت برى يا نقيب بالله شيِّعْهُ عنى فإن قلبى خـائف منـه ـ ولما وصـل مـع النقيـب إلى الجمال ألفته وكرفت رائحته ـ لأن بيت النبوة لهم رائحة خاصة يعرفون بهـا، وأعـرفهم أنا بها إذا شممتها منهم وأميزهم بمجرد استنشاقها من عرقهم أو ثيابهم أو أبدانهم ولو كانوا فى عرض الطريق. وقد رأيت فى كتـب المـؤرخين أن سـيدى أحمد كـان يعـرف الشريف من غيره إذا شم منه رائحته ـ فأشار إلى الجمـال كمـا هـى عـادة الأخـرس أن تسير إلى المرعى فسارت وانتشرت ترعى ليلا وتعود نهارا ـ قال سيدى أحمد وفى اليـوم السابع قلت فى نفسى أقضى أربى من بنت برى، فتمنى سيدى أحمد على الله أن تمـوت تلك الجمال لأنها سبب من أسباب غرورها، وعنصر من عناصر إعجابها بنفسـها فـإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى. فما يشعر إلا وقد رآها تساقطت بنفسـها وماتـت بـإذن ربها، عندئذ قويت ثقته بنصر الله فتمنى على الله ثانيا أن تحـضر بنـت بـرى إلى المرعـى ليرى فيها رأيه وليتمم أربه ولسبب من الأسباب رأت أن تذهب إلى المرعـى فلمـا رأت سيدى أحمد قالت لنقيبها ما أخوفنى أن يكون هذا هو الذى رأيته فى المنام ثـم التفتـت لنقيبها وقالت فقير حال أم محال بفتح الميم - أى هذا رجل من الأولياء أرباب الأحوال والمقامات العالية أو هو رجل محل والمحل هو الذى لا ينتفع به - فقال لهـا النقيـب ومـا هو فقير الحال يا سيدتى؟ فقالت يكون هكذا وغرفت بيدها غرفة من الهواء كما يغرف الحاوى فإذا بقدح مملوء ماء فى كفها.

قال سيدى أحمد فأشارت إلىَّ بالقدح قال فأخذته منها لـئلا أخزيهـا ودحوتـه فـى الهواء، وكأنها بذلك أرادت أن تظهر له قوتها الروحيـة علـى اعتبـار أنـه جـاء ليـسلبها حالها، فسأل الله فى نفسه أن يظهر فيهامن بطشه وجبروته ما يردعها عن غيهـا ويردهـا إلى صوابها، فلم تشعر إلا وقد نزل بها وهـى علـى فرسـها مـا أعجزهمـا عـن الحـراك والسير، وكأنها تصلبت هى وفرسها فى الأرض فلا يستطيعان سيرا ولا حراكا.

وبالضرورة لم يظهر سيدى أحمد نفسه بمظهر الخصومة والمحادة لها لاسيما وهو يعلم أنه وحيد فى أرضها وتحت متناول عشيرتها وأنه لا يسلم من بطشهم إذا ظهر لها بمظهر الخصومة والعداء، بل كانت هذه الحوادث من موت الجمال جميعها وتصلبها هى وفرسها فى الأرض تتوالى وهو ساكت أخرس أطرش أبله لا يعى ما يقول، وهم لا يجدون ما يوجهونه من لوم أو عتاب، ولما رأت بنت برى أنها أصيبت بهذا التصلب وأن فرسها المعلمة أصبحت غير قادرة على أداء مهمتها على أثر ما كانت تفخر به من أن الهواء ينقلب فى كفها ماء فى إناء، أدركت أن الأمر جد خطير، وأنه لابد أن يكون الرجل البدوى الذى رأته فى منامها يقدم إليها ويسلبها حالها ويقضى على طريقتها هو ذلك الرجل الأخرس العجيب.

عندئذ صرخت واستغاثت بمن يغيثها ونادت يا آل برى يا آل نعيم. تنادى أهل الفضل عليها وأصحاب النعمة التى منحتها على أيديهم وساداتها فيما وصلت إليه من فتوح.

فرآهم سيدى أحمد يقبلون عليها من كل الجهات. قال سيدى أحمد فأيقنت حينئذ بالهلاك - وماذا يعمل وحده فى هذه القوة المستترة فى أعوان بنت برى والبادية فى أتباعها من آل برى وآل نعيم - لم يسعه إلا أن يستغيث بربه ويستعين بأجداده من آل محمد وآل على فلحقه الغوث وجاءه العون من كل مكان، ولما رأى أعوان بنت برى أعوان سيدى أحمد واقتنعوا بأن الحق فى جانبهم لم يسعهم إلا التسليم لأعوان سيدى أحمد ولم تثبت لأعوانها قدم مع أعوانه، لأن النصر مقرون بالحق فحيثما كان الحق كان النصر، وفاطمة قد أخَلَّتْ بواجبها وتمادت فى غيها وخرجت عن حدودها فاستحقت ما ألم بها فلم يسعها إلا أن تعتذر عما فرط منها من سلب الرجال وتعرضها لأرباب الأحوال فطلبت العفو من سيدى أحمد وأخذت تذكر له قول على كرم الله وجهه عجبت لمن يشترى العبد بماله ولا يشترى الحر بإحسانه وعفوه وامتنانه؛ أى بالإحسان إليه والعفو عنه والمنة عليه ولم يسع أتباعها حين سمعوها تعتذر إليه وتطلب العفو من هذا الأخرس الأطرش الأصم لم يسعهم إلا أن يطلبوا منه العفو عنها وإذا بالأخرس

يتكلم وبالأصم يسمع ويملى عليهم شروط العفو ويقول بشرط أن لا تعود للتعرض للرجال من أرباب الأحوال وأن تعيش برأس مالها من الإيمان فرضيت بتلك الشروط وحرمت عطاءها وسلبت حالها وانفض الناس من حولها وعلمت أن الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير. قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(١).

وقد ذكر الشعرانى هذه القصة مختصرة جدا: فقال: كانت بنت برى امرأة لها حال عظيم وجمال بديع وكانت تسلب الرجال أحوالهم فسلبها سيدى أحمد البدوى حالها وتابت على يديه وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا حولها أعوانا لبنت برى وكان يوما مشهودا بين الأولياء رضى الله عنهم.

والذى يلفت النظر فى هذه القصة هو مسألة حضور أرواح الصالحين ليكونوا طرفا ثالثا فى الخصومة ـ وهل يقع تخاصم بين الأرواح كما يقع بين الناس تخاصم؟ والذى يظهر من قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾(٢) ومن المقاولة التى حصلت من الملائكة فى شأن استخلاف آدم وذريته فى الأرض، ومن مقاولة إبليس فى إغواء آدم وبنيه، ومن قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾(٣) إنه قد يقع بين الأرواح تخالف فى الرأى وقد يؤدى إلى التخاصم وإلى ما هو أبعد من التخاصم كما يقع بين الأرواح وبين غيرها من الأحياء تعاون وتناصر، لا سيما الأرواح الخيرة. ونقل العلماء أن روح السيد الصديق رضى الله عنه تهزم جيشا بمفردها، أما الأرواح غير الخيرة فقد قال ﴿ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾(٤). وذكر بعض المؤرخين لفاطمة أبياتا تنوف على خمسين بيتا تتضمن هذه القصة قالتها بعد

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٢) سورة "ص" :٦٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٥

(٤) سورة النمل: ٣٩.

توبتها وبعد أن عرضت نفسها للزواج من سيدى أحمد فأبى.

ومن هذه الأبيات قولها

يا قــارىء الخط فاقرأ ما كتبت وكن ... ذا فطنــة فهما حــاذقا حــذرا

وافهـم كــلاما رمزنـــاه ليعــرفه ... أهل الحقيقة أن هم أمعنوا النظـرا

كتبت للحــب فى قلبــى محبتــه ... هذا الذى غاص فى قلبى وما ظهرا

يا طـال ما كنت للفرســان أقتلهم ... فـأسلبهـم سرا كـذا جهـرا

قضيت دهـرى والأيــام تـخدمنى ... فى صفو عيش ولم أنظر له كـدرا

فتاهت النفس فى الأفعال واعتجبت ... وقالت الآن فقت البدو والحضـرا

رأيت فى النوم أن القــوم قـد بعثوا ... لى الملثــم ذا عــزم له اشتهـرا

فصــاد قلبى بســر منه صيرنى ... عصفــورة وهو لى كالسبع إذ كسرا

كتمت ســرى وأمرى لم أبح بهمـا ... للخــلق كلا ولم أظهـر له خبرا

عرفت وصفا له فى النــوم حليتــه ... ليست بخافيـــة عمــن له نظـرا

وقلت إن جاء غريب ليس نعرفــه ... ملثم بلثـام يشبــه العــذرا

هاتوه لى ســرعة أو عاجــلا بهتـا ... وأكرمــوه ولا تبـدو له ضـررا

لما أتـانـــا عرفنـــاه بـحليتــه ... حقـا يقينـا ولكن ذاك قد سـترا

ناديته باسمــه جهـرا وكنيتــه ... فلم يـجبنى ولم يبــد لنا خـبرا

فقال لى القـوم والجمهــور أجمعهم ... هذا أصم وأيضا فـاقــد البصـرا

فقلت إنى أخاف اليــوم صولته ... لابد يبـدى لنا من أمــره ضــررا

فقلنا له سيدى ترعى الجمــال لنا ... أجابنـــا بنعم ســرا ومـا جهــرا

لما توجـه تلقــاء الجمـــال أتت ... إليه تكرف منه النــد والعطــرا

جــاء النقيب وأخـبرنى بقصتــه ... فقـلت سيد قوم صــار مفتخـرا

ومد كفـــا بمتن الريح قد قبضت ... قلبى وروحى وكلى والحجـا نفـرا

ضاقت بى الأرض والدنيـا بأجمعـها ... وهـا فـؤادى من الأحشـاء قد ظهرا

لمــا ركبــت وجئنــا لننظــره ... رنى إلى ولى قد طــول النظــرا
أتى شجاعا وأنى كنت احــذره ... فما سلمت وعنه ساعـدى قصـرا
وطاوعتــه الأراضى فالتطمت بهـا ... لما رآنى وللارضــين قــد امــرا
فصحــت يا آل بـرى من أماكنــكم ... هيا سريعا فقلبى صــار منحصــرا
جاءت رجال على خيــل مضمــرة ... كما رعود تســوق الوابل المطــرا
لــمـا رآهــم تــحققهم وأهمــلـم ... وللقتــال أتــى بالعــزم وابتـدرا
شـال اللثــامين عن وجــه وبيبـه ... كــأن عينيه جمـرا يقـدح الشـررا
وقـال يا ربنا انصرنى وساعــدنى ... يا ناصرا الرســل يا مولى قد اقتـدرا
يارب عونا بـمولى المؤمنــين على ... فحل الرجــال ومردى كل من كفرا
فجاءت الخيل فى الميدان واعتركت ... وأظلـم الـجــو والأقطـار واعتكـرا
فصاح فى الخيل والفرسانَ جَنْـدَ لَهَا ... وابن الرفاعى وعبد القادر اشتهــرا
لما رأت آل برى وصــول خيــلهـم ... راموا الفرار وولوا منهم الـدبــرا
فقلنا لهـم سادتى أنتم ذخيـرتنــا ... بكم نصــول على الأعـدا لننتصـرا
ففــارس منكمــو فردا يُعَجِّزُنَـا ... فكيف تقوى جيوش خصمهم قهـرا
ياجاهلا عن كلام لســت تعرفــه ... فإنما يعــرف الأشيــا من اشْتَهَـرا
ختمت قولى بتقبيــلات نعــلكـم ... يا سيـدى وأمير النــاس والفقــرا

ما هو أثر رحلة العراق فى سلوك البدوى؟

كانت رحلة العراق نقطة تحول كبيرة فى حالة سيدى أحمد النفسية فقد أعقب تلـك الرحلة تغير ملحوظ فى سلوكه وعبادته لم يكن معهودا عليه قبل الرحلة فكـان صيامه وصالا، وقيامه انتصابا وكلامه إشارة وتحوّلَ بِوَجْهِهِ نحو السماء وقطع النظر عمـن فـى الأرض حتى قلقت عليه أخته الكبرى فاطمة فكانت تنبه أخاها الحسن مـن نومـه لـيلا وتشكو إليه من حالته وتبث له قلقها على أخيها أحمد، وتقول يا ابـن والـدى إن أخـى أحمد قائم طول الليل وهو شاخص ببصره إلى السماء ونهاره صائم وانقلب سواد عينـه

بجمرة تتوقد كالجمر وله مدة أربعين يوما ما أكل طعاما ولا شرابا ـ والذى يظهر لى أنه استفاد من رحلته إلى العراق كثيرا بسبب خلوص نيته فى زياراته لأجداده وأبناء عمومته والصالحين فى العراق كما يظهر أنه كوفئ على ما بذل من جهد وضحى من راحته فى سبيل مرضاة ربه بذهابه لبنت برى، فإنه ليس بِالْهَيِّنِ على نفسه أن يذهب من بغداد إلى العشائر شمال العراق وحيدا فريدا متحملا وعثاء السفر ووحشة الطريق ليزيل منكرا رآه منابذا لقداسة الدين الحنيف وقد يرى الواحد منا ألف منكر من هذا النوع أمام عينه جهارا ونهارا ولا تتحرك فيه شعرة واحدة من إيمان، ولا تَنْسَ مع ذلك أنه أُمْتُهِن ولُكِزَ واقْتِيدَ واستُخْدِمَ كما تستخدم العبيد، وعرّضَ نفسه للهلاك وأيقن به كل ذلك فى سبيل مرضاة ربه وإزالة هذا المنكر البغيض، وكأنه لما أزال فتنة بنت برى التى كانت سببا فى سلب الرجال ثمرات أعمالهم كافأه الله بأنه جعله سببا فى إمداد الرجال بما يقوى روح الإيمان والعمل فى نفوسهم جزاء وفاقا وإنما كان جزاء وفاقا لأنه أزال سبب السلب فوهبه الله سبب الإمداد.

أمره بالانتقال إلى طنطا

كان انتقاله بناء على أنه سمع من يأمره ثلاث مرات بالسير إلى طندتا ليقيم بها فإنه يُرَبِّى فيها أبطالا ورجالا وهذا الانتقال من نوع الانتقالات التى تحدث للربانيين الذين عناهم الله بعنايته وعهد إليهم أمر القيام بدعوته ليقوموا بنشرها فى الأمكنة التى يمكن أن تثمر فيها الدعوة وتلاقى فيها قبولا - وهو على نمط الهجرة التى كانت تحدث للمرسلين، وعلى غرار ما حدث لابن العربى والشاذلى والمرسى وغيرهم كثيرون رضوان الله عليهم أجمعين، وقد تكون لتلك الهجرة أسباب تقتضيها كظلم بعض الحكام وتوافق أعدائهم من شياطين المجرمين على ظلمهم واضطهادهم وإخراجهم من ديارهم بغير حق، وقد لا يكون لتلك الهجرة أسابا خارجية تقتضيها وقد يجتمع السبب الخارجى مع الأمر بالانتقال، ولم تدم إقامته بمكة طويلا بعد رحلته إلى العراق لأنه وصل إلى مكة سنة ٦٣٥ ودخل طنطا سنة ٦٣٧ - وقيل كان وصوله إلى مكة سنة ٦٣٤

أى فى نفس السنة التى أنشأ فيها رحلة العراق ودخل طنطا سنة ٦٣٥، وأيا ما كان فإن إقامته بمكة لم تدم طويلا، ولا يترتب على الاختلاف فى وقت دخوله طنطا إلا أن إقامته بطنطا كانت ٣٨ سنة أو كانت أربعين، وظاهر قول سيدى عبد العال: خدمت الشيخ أربعين سنة فما رأيته غفل عن ذكر الله، أن دخوله طنطا كان سنة ٦٣٥ لأنه توفى سنة ٦٧٥ وما بينهما هو أربعون سنة كما يقول سيدى عبد العال رضى الله تعالى عنه.

وكان نزوله بطنطا بشيرا بحلول الخير فيها وفتحا عمرانيا لها وسببا مباشرا لاشتهارها وإقبال الناس عليها من كل صوب بسبب اقترانها باسمه وانتسابها إليه حتى صارت ثانية المدن التى تلى العاصمة فى علو الشأن ووفرة السكان، وأول مدينة تلى العاصمة فى القوة الروحية والنهضة العلمية والحركة التجارية، وربما كانت أم المدن فى هدوء الحياة وطيب العيش وراحة الضمير، ولم يكن لها من قبل شىء من هذه الميزات التى لازمتها وتتزايد فيها على مر السنين وكانت تعرف قديما قبل الإسلام باسم "طنتثا" ثم عرفت بعد الإسلام، إلى زمن سيدى أحمد باسم "طنتدا"، وبعده عرفت ب"طنت" ثم عرفت ب"طنط"، ثم عرفت ب"طنطا"، ويظهر أنها كانت فى الأصل اسما مركبا من طن ومن ثا تركيبا يشبه فى لغة العرب التركيب المزجى كبعلبك فإنه اسم مركب من بعل ومن بك وقد يكون "ثثا" اسما لمن أنشأ قرية "طن" مثل "بشا" الذى أنشأ قرية "طن" الثانية و"بول" الذى أنشأ قرية "طن" الثالثة من أعمال الدقهلية ثم دخل التحريف والتبديل على "ثثا" أربع مرات ولم يدخل على "طن" فى جميع العهود.

ويظهر أيضا أن "طنتثا" أنشئت على ربوات عالية أو تلال متقاربة مرتفعة عن سطح الأرض قليلا بدليل تلك التدرجات والانحدارات التى تنتهى بها مسالكها وتتخلل بعض أجزائها، وكان من بين تلك التلال "التل الأحمر" المجاور لدار "شحيط" والذى بنى مكانه سيدى عبد العال زوايته الأحمدية بعد أن أزاله بأمر سيدى أحمد البدوى قبل وفاته، ولا يزال جزء من هذا التل الأحمر تقوم عليه أبنية مرتفعة بارتفاعه عن سطح الأرض فى الجهة المحاذية للباب الشرقى للجامع الأحمدى – ومن بينها أيضا

التل الذى أقيم عليه مسجد البوصة "البهى الآن" ولعل الحدادين اختصوا بتل من تلك التلال ونصب إليهم وعرف بتل الحدادين، واشتهر على ألسنة الناس أن سيدى أحمد قال: لا تقوم الساعة حتى تتصل أبنية طنطا بأبنية قحافة وكانت المسافة بينهما على عهده تقرب من كيلو مترين من الفضاء الفسيح والأرض المنزرعة وبعض المستنقعات، ويوشك الآن أن تندمج أبنيتهما فى صعيد واحد.

المنازل التى نزل بها (القطب البدوى) مدة إقامته بطنطا

أول دار سعدت بنزوله فيها دار الشيخ ركن الدين، وكان يدعى بالركن أيضا، واشتهر بركين، وكانت على مقربة من مسجد البوصة المعروف الآن بمسجد البهى ولعله أول مسجد نزل به وصلى فيه. وقد يكون مبدأ التعارف بالشيخ ركن الدين وقع فيه أيضا وأقام فى هذه الدار اثنى عشر عاما تتابعت فيها الخيرات الدينية والدنيوية على ركين.

(كرامة لسيدى أحمد البدوى مع الشيخ ركين)

وذكروا من هذه الخيرات أن سيدى أحمد أخبر ركينا بأن البلاد ستواجه غلاء شديدا ترتفع فيه الأسعار ارتفاعا فاحشا ويكثر فيها الطلب ويقل العرض وأشار عليه بأن يشترى قمحا ويختزنه عنده بقدر ما تتسع له قدرته لينتفع الناس به ولا يحتاجون فى طلبه إلى مشقة وعناء ثم قال له وإكراما لهم ولنبيهم أرخصه لهم إذا احتاجوه فامتثل ركين لمشورته وصار يشترى قمحا بكل شىء يملكه أو تملكه نساؤه من حلى أو متاع حتى اختزن عنده ما يستطيع اختزانه وبعد أن حصل الغلاء وارتفعت الأسعار عما كانت عليه خمسة أضعاف استأذنه فى البيع فأذن له وقال بع للناس وسامحهم وأرخص لهم فى الثمن وادخر ذلك عند الله فربح من بيعه ربحا عظيما قام على أثره بأداء فريضة الحج وتكاملت عليه نعمة الدنيا والآخرة، ويروى بعض المؤرخين أن هذا الغلاء وقع فى سنة ٦٣٩ أى بعد دخوله طنطا بسنتين أو بأربع سنوات على ما علمت.

(كرامة أخرى لسيدى أحمد البدوى مع الشيخ ركين)

وذكروا لسيدى أحمد مع ركين قصة وقعت له أثناء حجه تشبه فى موضوعها قصة آصف بن برخيا أحد كُتّاب سليمان عليه السلام وقد ذكرها القرآن وذكر أنه أحضر عرش بلقيس من سبأ باليمن إلى سليمان بالقدس فى مقدار ارتداد الطرف فلما رأى سليمان العرش بين يديه قال هذا من فضل ربى، ونحن نورد هنا هذه القصة كما ذكروها لأن فضل الله ليس حبسا على فريق دون فريق، قالوا لما أراد ركين الخروج للحج استأذن سيدى أحمد فأذن له وقال له سافر وتوكل على الله ويلاحظ أن إذنه له بالسفر قد شفعه بطلب التوكل على الله وهذا الإذن بعينه وصورته الإذن الذى رواه الشعرانى وقد سمعه بأذنه الظاهرة من سيدى أحمد وهو فى قبره وبعد وفاته بما يقرب من ثلاث مائة عام حينما استأذنه سيدى الشناوى فى السفر إلى القاهرة لقضاء بعض مصالحه، فقال له من القبر، سافر وتوكل على الله، وهذا مما يدل على شدة حرص سيدى أحمد حيا وميتا فى إخباراته الغيبية وأنه لا يسابق القضاء وممن لا يسبقونه بالقول ولما قال لركين سافر وتوكل على الله استأذن فى أخذ عباءة له مفروشة بين يديه فلم يأذن له فأخذها ركين خلسة من غير أذن على سبيل التبرك باستصحابها، وبينما هو راجع فى الطريق عند العقبة تفقد العباءة فلم يجدها ثم نظر فإذا هى تحت أقدام الجمال وقد أصابتها نجاستهم فأسف ركين ثم غسلها ونشرها ثم انشغل عنها ببعض مصالحه ثم جاء ليرفعها من مكانها فلم يجدها فأمعن فى البحث فلم يعثر عليها، ولما وصل من العقبة إلى مصر اشترى عباءة أرفع منها ثمنا ليقدمها إلى سيدى أحمد بدلا من عباءته المفقودة ولما دخل عنده وجد العباءة مفروشة بين يديه فى المكان الذى اختلسها منه قالوا فتعجب ركين حتى كاد يذهب عقله، فقال له سيدى أحمد لا تعجب يا ركين فإنك لما نشرتها خفت عليها فأخذتها ونشرتها فى مكانها والحمد لله على السلامة.

لماذا أخلص ركين فى خدمة (القطب) البدوى؟

(كرامة ثالثة)

إن ركينا ككل الناس وككل تاجر لا يمكن أن يخلص كل هذا الإخلاص ولا يمكن أن يتسع رحابه للفقراء كل هذا الاتساع ولا يمكن أن يتفانى اثنى عشر عاما فى خدمة رجل بدوى لا يعرفه إلا إذا كان عنده سند قوى ودليل واضح حمله على تقديم هذه الخدمات وبذل هذه التضحيات.

وكان هذا السند القوى وذلك الدليل الواضح هو تلك الكرامات التى ذكرها المؤرخون والتى خلص بها قلب ركين من الشك والقلق وعادت على تجارته بالربح الوفير فالشك فى هذه الكرامات شك فيما يقتضيه العقل وتشهد بصحته الوقائع وذكروا أيضا من هذه الكرامات أن بعض الحكام أراد الاستيلاء على تجارة ركين فى الشعير لعلف الخيل والدواب، وكان ركين يتجر فى العسل والزيت والعلف، ولم يكن يومئذ لدى التجار هذا النوع من العلف نظرا للغلاء الذى تقدم ذكره؛ فخاف ركين على تجارته واشتكى إلى سيدى أحمد أمره فقال له لا تخف ياركين وإذا سألوك عن الشعير فقل لهم الذى عندى ذريعة أى تقاوى من الشعير النقى الذى يصلح للزرع وليس علفا للدواب فإذا قلت لهم ذلك صرفهم الله عنك فلما طالبوه بالشعير قال لهم عندى ذريعة فنظروه فوجدوه شعيرا نقيا يصلح للزرع ولا يصلح للعلف فانصرفوا عنه، ولم تزل السعادة تلازم ركينا حتى لقى أجله فانتقل سيدى أحمد من داره إلى دار ابن شحيط شيخ البلد، واختتم فيها حياته ودفن فيها على عادة الصالحين فى زمانه بعد أن مكث فيها ستا وعشرين سنة أو ثمان وعشرين سنة ربى فيها رجالا وأبطالا.

كيف تعرف على سيدى عبد العال وهو طفل؟

لم يكن تعلق عبد العال الطفل بسيدى أحمد وهو فى بلده فيشا اعتباطا وبدون مقتض بل لابد أن يكون هذا الطفل قد شاهد بعينه ما حمله على أن يخلع نفسه من

أحضان أمه ويلزم خدمة هذا البدوى الغريب، وذكروا فى أسباب تعلقه بـه أن سيدى عبد العال كان يلعب مع الأطفال، ولما رأى سيدى أحمد ورأى بيده سعفة من سعف النخيل بادر بطلبها منه على عادة الأطفال فطلب منه نظير هـذه السعفة بيضة يضعها على عينه الرمداء يستشفى بها، ولم يتنزل سيدى أحمد بعمل معاقدة بيع وشراء مع هذا الطفل إلا لأنه يعرف أن هذا الطفل هو ضالته المنشودة وأمنيته التى وعد بتعهدها وتربيتها بل ربما كانت مغادرته طنطا وترك عادته فى العبادة وملازمة السطوح لهذا الغرض النبيل فرضى الطفل بهذه الصفقة الرابحة، فذهب إلى والدته السيدة زينب وذكر لها قصته فردت عليه بما اعتادته النساء من إنكار كل ما هو موجود إذا طلب منهن فلم يراجعها طفلها بل صدقها فيما قالته وذهب إلى البدوى وأخبره بما قالته فأراد سيدى أحمد أن يعرفه بنفسه ويغرس فى قلبه محبته بما يظهره له من صدق ويقين، فقال له اذهب أنت بنفسك إلى الصومعة تجد فيها بيضا فائتنى بواحدة منها فتعجب الطفل من أن أمه التى فى البيت تنفى وجود البيض والرجل البعيد عن البيت الغريب عنه يعلم أن فيه صومعة وأن فيها بيضا فذهب ليتأكد صدقه فوجد الأمر كما أخبره فأخذ له بيضة وأعطاه إياها، ومن هذا الدرس العملى تعلق سيدى عبد العال بسيدى أحمد ولازمه، ولم تقدر أمه على أن تحول بينه وبينه ولمرارة فراق ابنها لها كانت تذكر ولدها فى غيبته عنده وتقول يا بدوى الشؤم علينا فكان إذا بلغه قولها وهو بطنطا يقول لو قالت يا بدوى الخير علينا لكانت أصدق، ويظهر أن السيدة زينب أظهرت قلقا كثيرا على فراق ولدها وفهمت أن البدوى قد اغتصبه منها اغواء وإغراء فأرسل إليها وهو بطنطا يطمئنها على ولدها وقال فى رسالته هو ولدى من يوم قرن الثور.

(كرامة سيدى أحمد البدوى مع سيدى عبد العال وهو فى مهده)

وذكر لها أن له يدا عليهم من ذلك اليوم فتذكرت حادثة الثور التى حدثت لابنها وهو فى المهد أذ وضعته بالقرب من معلف الدواب أو على حافة المعلف كما هى العادة فطأطأ الثور رأسه ليأكل من المعلف فتعلق قماط سيدى عبد العال بقرن الثور

بسبب التحركات والاهتزازات التى تحصل من الدواب عادة عند بحثها فى معلفها عما تتخيره من علفها فرفع به فى الفضاء وهو مشدود بقرنه وفوق رأسه وأعجزهم تخليصه من رأس هذا الثور الثائر ولم ينج من هذا الحادث إلا بأعجوبة، وذكر لها سيدى أحمد أنه كان مصدر هذه الأعجوبة، ذكر لها سيدى أحمد هذه الحادثة وهى تعلم أنه لم يشهدها ليبعث فى قلبها الطمأنينة على ولدها وأنه فى رعاية صادقة وعناية ربانية تحوطه إلى الأبد وقد كان، فلم يكن بدوى شؤم عليهم بل كان بدوى خير على ولدها وعلى سائر أسرته وذريته أجمعين.

ألقابه وما ترمى إليه من دلالة

لسيدى أحمد ألقاب كثيرة اشتهر بها على ألسنة الناس انتزعوها مما شاهدوه من صفاته الجليلة واقتبسوها مما عرفوه من مساعيه الحميدة، وأطلقوها عليه بدون أن يكون له غرض فى وضعها له، وحاشاه أن ينصرف عن الجوهر ويلتفت للعرض، ولكونها ذات تأثير عظيم فى إيضاح درجته الروحية والعلمية آثرت أن أتعرض لها موضحا ما يمكن إيضاحه مبتدئًا بأحد ألقابه التى لم يشتهر بها بين الناس من قبل.

البدرى

لقب البدرى فيما نعرف هو لقب أبيه، ولم يجل بخاطرى أنه لقب لسيدى أحمد وربما لم يجل ذلك بخاطر كثير من الناس إلا أنى سمعت له هذا اللقب وقد ألقى إلى كما يلقى بعض الكلام على الناس فى أثناء نومهم سمعت من يكلمنى ويقول "إن وقوفك مع البدرى كان سليما. وسبب ذلك أنى كنت رجوته فى مسألة أقصد منه معاونتى على قضائها فبدا لى منه أنه على أهبة المعاونة إلا أن الذى حدث بعد ذلك هو أنى كظمت نفسى، وتراجعت فى رجائى حسبة لوجه الله أو خشية من الله، فسمعت من كل الجهات من يقول لى "إن وقوفك من البدرى كان سليما" فقلت لعل لقب البدرى عرفت به الأسرة كما عرف به والده فذكرت ذلك فى أشرف ألقابه تأسيا.

البـدوى

هذه النسبة لأنه يشبه أهل البادية فى ملازمته اللثام ولم يثبت إطلاقا أن أحدا من إخوته لقب بالبدوى غيره حتى يكون سبب هذه النسبة سكناهم للبادية، كما لم يثبت أن أحدا منهم التزم اللثام مثله حتى تكون عادة له موروثة عن أهل البادية، على أنه لم يثبت فى التاريخ إطلاقا أن أحدا منهم أقام فى البادية كما قدمنا ولو كانت نسبة البدوى لأنه كان يسكن البادية لكان حسنا وجميلا لأن سكنى البادية هى عادة العرب وفيها سعادتهم وهناءتهم، وقديما قال يوسف عليه السلام لأبيه وإخوته ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾[1]. ولكننا نقرر الحقيقة كما قرأناها فى تاريخه، فنسبة البدوى لأنه كان يشبه أهل البادية فى ملازمته اللثام.

الملثـم

اللثام غطاء يثبت فوق الرأس لتتدلى جوانبه على الوجه فتستر جميع أجزائه ما عـدا العينين، والتزامه رضى الله عنه لبس لثامين متطابقين بعضهما فوق بعض صيفا وشتاء يدل دلالة واضحة على أنه لم يكـن غرضـه مجرد لـبس اللثـام كمـا هـى عـادة بعض الأعراب وإلا لتأدى هذا الفرض بلبس لثام واحد وأيضا لما كان هناك ما يـدعو النـاس لامتداحه بالملثم مادامت هذه عادة لبعض الأعراب، وإنما كان غرضه من التلثم هو ستر أحواله التى تظهر على وجهه، والتى تنشأ عن مشاهدته التى كانت تتـوالى عليـه قبـضا وبسطا فتتغير أعراض وجهه تغيرا ملحوظـا تبعـا لتلـك المـشاهدات فعلـى أثـر تلـك المشاهدات يبدو الوجه أبيض شديد البيـاض مـن غـير سـوء بحيـث يـسترعيك بياضـه وأحيانا يبدو الوجه أحمر شديد الحمرة يشبه أطباق الورد بحيث تسترعيك حمرتـه وتلـك فى حالات البسط والرضى، أما فى حالة الخوف والقبض فيبـدو الوجـه أصـفر شـديد الصفرة بحيث يستنزف الدمع صفرته لشبهه حينئذ بالأموات – فلتوالى تلـك الأعـراض

---

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

على وجهه كان يستتر باللثام ولشدة وضوحها من علوه فى المشاهدة كان يبالغ فى سترها بلثامين اثنين، وقد شاهدت شيئا من تلك الأعراض كانت تبدو على وجه سيد شريف مقعد يناهز التسعين عاما كنت أعرفه من عهد بعيد، وكان متمكنا فى طريق القوم فضل تمكن، وكان رضى الله عنه صريحا إذ يقول لى إن هذه التعبيرات والأعراض التى تظهر على وجهه من أوضح العلامات التى يتميز بها الولى من الدعى لكنى لم أصعق من مشاهدتها فى وجهه كما صعق سيدى عبد المجيد أخو سيدى عبد العال لما شاهدها فى وجه سيدى أحمد البدوى حين كشف له اللثام ليعرف وجهه، ولعل سيدى أحمد قد خص بمزية موسوية تبدو على وجهه من كثرة مشاهداته واتخذ من أجلها اللثام كما خص سيدنا موسى ببياض يده معجزة إذا أخرجها من جيبه، وخر سيدى عبد المجيد من أجلها صعقا حينما فاجأته تلك الظاهرة العجيبة، ولذلك نصحه وحذره سيدى أحمد فلم يسمع النصح ولم يقبل التحذير.

أبو الفتيان

الفتوة درجة من درجات الصديقين، والمتصف بها يسمى فتى وأهل الفتوة يسمون بالفتيان، وقد وصفهم ابن العربى بأنهم أهل علم وافر لا تصدر عنهم حركة واحدة عبثا، سواء كانت حركة قلبية أو حركة بدنية فإذا صدرت عنهم حركة من هذا النوع عوقبوا عليها عقابا صارما مقارنا لصدورها منهم، يدركون ألم العقاب ويحسون أثره ولا يرون وقعه، ومن آبائهم الروحانيين أبو الفتيان سيدى أحمد البدوى الذى كنى بحق بهذه الكنية واشتهر بها حتى غلبت عليه فى عرف الناس، وله فى تربيتهم باع طويل يصعب فهمه كما يصعب وصفه، وأقل وصف له هو دوام إشرافه بنفسه على مراقبة جميع حركات فتيانه سواء كانت حركات بدنية أو حركات قلبية وإنزال عقابه الصارم بهم عند الإخلال بأى حركة من الحركات أو خطرة من الخطرات غير المشروعة أو المشروعة التى انصرف القلب معها عن توجهه إلى الله كأنه يراه.

والفتى فى اللغة هو الشاب وهى حالة بلـوغ الأشـد إلى حالـة الكهولـة، وللملازمـة القوة لحالة الشباب أخذوا الفتوة الروحية من مادة الفتى لأنها تنبىء عن القوة الروحية التى لاتضارعها قوة، كما أخذوا الفتوة البدنية التى لا تضارعها شجاعة من هذه المادة أيضا وقد قيل عن سيدى أحمد إنه لم يكن فى سكان مكة والمدينة أشجع منه، وقيل عنـه ليس فى أولياء مصر من هو أكبر فتوة منه كما اشتهر بين العلماء وغير العلماء الذين لا يتسرب الشك إلى صدقهم فى أخبارهم بتربيته الروحية لأهل الـصدق فـى الـدين مـن المؤمنين العاملين كما شوهد فى حياته أنه ربى أبطالا ورجالا لا يحصون وكـل مـا قيـل عنه واشتهر به وشوهد منه له من أعماله الصالحة ما يدعمه ومـن أحوالـه الـصادقة مـا يصدقه فكان جديرا بكل معنى الجدارة بأن يلقب بـالفتى وأن يكنـى بـأبى الفتيـان وأن ينادى بها فى كل زمان ومكان.

السيد والسيد "بكسر السين"

السيد هو أجل القوم قدرا، وسائد القوم دون السيد فـى الـشرف، والـسِّيدُ بكـسر السين السبع وفى كل من السيد والسيد معنى الرياسة والزعامة المنبثتين عـن الـشرف، واشتهر بالسيد كل من ينتمى إلى رسول الله ﷺ بالنسب لشرفهم المكتسب مـن بـضعته الطاهرة، ولجلالة قدره عليه الصلاة والسلام وظهور فضله على العـالمين أطلقـوا عليـه سيد المرسلين، وسوغوا عرفا بعد إلغاء الألقاب فـى الدولـة إطـلاق الـسيد علـى كـل مواطن حر كريم ولاجتماع أسباب السيادة فى سيدى أحمد وتوافر صفاتها فيـه أطلقـوا السيد عليه حتى صار لا يعرف من السيد عند الإطلاق إلا البدوى وحده، وكان رسول الله ﷺ يلقب أصحابه ألقابا لمعان نفسية امتازوا بها، وظهـرت فـيهم واضـحة مـن بـين صفاتهم التى اتصفوا بها فيقول فلان أسد من أُسْد الله أو سيف من سيوف الله.

ولو راعينا المعانى الحقيقية التى أشربتها روحانية البدوى ولاحظنا مـشربه مـن بـين المشارب المعروفة عند القوم لم نتخط الحقيقة قيد أنملة إذا قلنا عنه فى صراحة يقينية أنـه أسد من أسد الله تبارك وتعالى فلم يكن تعرضنا فى أول الكلام لبيان معنى السيد بكسر

السين استطرادا بل لنلفت النظر إلى أن ما اتسمت به روحه القوية من هذا المعنى الذى تتمثل به كلما عن لها ذلك لما يجوز أن يكون هذا اللقب عند المعنيين بالحقيقة هو السيد بكسر السين ولكنه اشتهر بالسيد لأنه الظاهر المعروف عند الناس، ولما كان حقيقا بهذا الظاهر المعروف كما قدمنا لقبوه به أيضا.

وما أنذر به البدوى الأستاذ الشعرانى حينما تخلف عن الحضور فى مولده من تركه سبعين أسودين عظيمين يشبهان الفيلة لا يفارقانه حتى يحضر مولده فيه تعزيز قوى لهذا اللقب الفريد لأنه لا يتحكم فى الأسود إلا سيدهم.

(كرامة عظيمة للسيد أحمد البدوى مع المؤلف)

وقد وقعت لى فى مقامه الطاهر قصة تعزز ذلك أيضا، وهى تتلخص فى أنى كنت جالسا فى المقام فإذا أنا برجال يقومون بعملية كنس للمقام غير من أعرفهم من الكناسين كأنى أنظر إليهم عيانا وأنا جالس فاستغربت ذلك فى نفسى وقلت هل هناك من يقوم بعملية كنس المقام غير الكناسين المعروفين فجمعوا الكناسة أمامى وبعد أن جمعوهم إذا بسبع عظيم زيتى اللون يميل إلى الخضرة لا أنسى ملاحته جاء من أعلى الضريح ومد يده إلى الكناسة التى جمعوها أمامى فالتقط ببراثينه حصاة دقيقة ثم عاد إلى مكانه فى الضريح ولم أفهم ما يعنيه هذا الأسد، ولكنى بعد أيام حصل عندى حصر تام فى البول هدد حياتى بالخطر فذهبت إلى ثلاثة من الأطباء فى ساعات معدودات أمكن لآخرهم أن يخرج البول بآلة خاصة بذلك ثم عاد البول فاحتبس فأعدت عملية إخراج البول المتقدمة ومكثت على تلك الحالة سبعة أيام تغير بعدها لون البول كأنه إنذار بتسممه فدخلت إحدى المستشفيات الكبيرة لإجراء عملية جراحية مهما كانت نتيجتها، وبعد مكثى يوما ثامنا على النظام المتقدم أحضروا أدوات العملية وألبسونى لباسها فقمت لقضاء حاجتى فى بعض المرافق وبعد خروجى من قضائها مباشرة – وقع بصرى على حمام متسع مرصوف بالرخام الأبيض النقى فدخلت الحمام لا لسبب وجلست القرفصاء فى متسعه الفسيح ثم عن لى أن أنظر ثانيا هل ينزل منى البول قبل

إجراء العملية فلم ينزل ولم أر أمامى إلا قطعة سوداء تشبه "شوك الغنم" وقدر نواة الزيتون الصغيرة، فقلت عجيب أن تكون هذه القطعة السوداء متروكة وحدها فى هذه الأرضية البيضاء ولما تأملتها قلت هذه لا شك هى الحصاة، فسألت نفسى كيف خرجت ولم أشعر بها مع أنها ذات أشواك ومع أنه لم ينزل معها شىء من البول فأخذتها وأطلعت عليها رجال العملية الذين كانوا فى انتظارى فهللوا وكانت دهشتهم عظيمة وقالوا جميعا هذه كرامة من السيد البدوى أكرمك الله بها فتذكرت سريعا عملية كنس المقام ودور الأسد فيها والتقاطه الحصاة من بين الكناسة ببراثينه وتحققت أن هذه العملية العجيبة هى عملية ذلك الأسد العظيم.

القطب النبوى

قطب الرحى هو العمود المثبت فى قاعدتها القائم فى مركز القاعدة، وعليه يدور جزؤها الأعلى إذا تطابق مع القاعدة بواسطة هذا العمود. والنجمة القطبية هى النجمة السابعة فى طرف الدب الأكبر الذى يظهر فى السماء بعد العشاء فى كل ليلة إذا جعلتها خلف الأذن اتجهت بواسطة هذه النجمة إلى قبلة الصلاة، ولكون الرحى لا ينتظم دورانها إلا بواسطة قطبها، ولكون التوجه إلى قبلة الصلاة لا يتم إلا بواسطة النجمة القطبية السابعة، أطلق علماء التصوف لفظ القطب على كل من ينتظم أمر العباد به وترحم الأمة بواسطته وكل من يوجهك إلى الله ويعرفك به، وقطب رحى الوجود وقطب الهداية إلى الله هو رسول الله ﷺ لأنه هو الذى انتظم أمر العباد به ورحمت الدنيا بواسطته وهو الذى وجهنا إلى الله وعرفنا به وقطب زمانه هو كل من سار سيرة الرسول فى العمل وقام مقامه بطريق النيابة فى هداية الناس إلى ربهم وتعريفهم به.

والقطب النبوى والشريف العلوى هو سيدى أحمد البدوى وإنما سمى بذلك لأن المعانى التى من أجلها سمى القطب قطبا والصفات التى لوحظت حينما وضعوا هذا الاسم للدلالة على مسماه كل هذه المعانى اجتمعت له وتحققت فيه، يعرف ذلك كل من درس بعناية تاريخ حياته وتفقد بنفسه خلاله وأعماله وأدرك بنور عقله ما جرى على يديه

ويجرى من هداية الناس وتعريفهم بالله تعالى ولا يعلم إلا الله كم قدم من أعمال وكم هدى إلى الله من رجال وكم عرف بالله من أبطال، وإنما سمى نبويا لأن كل قطب ينال هذه المنزلة عن شيخه الذى رباه وشيخه ينالها عن شيخه إلى رسول الله ﷺ ويظهر أن سيدى أحمد لم ينل هذه المنزلة عن طريق أحد من الشيوخ بدليل مقالته الشائعة فى تاريخه: أنا لا آخذ المفتاح إلا من يد الفتاح. فلم يأخذه من الجيلانى ولا من الرفاعى، وإنما مفتاح من يد رسول الله ﷺ، فلذلك اشتهر بأنه القطب النبوى منسوبا إلى شيخه الذى رباه.

جيَّاب الأسير

قال السيوطى والشعرانى وغيرهما أُثِرَ عن البدوى كرامات وخوارق أشهرها قصة المرأة التى أخذ الفرنج ولدها فلاذت به فأحضره إليها فى قيوده، وقد انتشرت هذه القصة بين أفراد الشعب وتناقلها المداحون على أبواب البيوت عدة قرون فكان هذا دليلا واضحا على ثبوت هذا اللقب له، ولهم فى ذلك عبارة عامية بحتة كثيرا ما طرقت الأسماع ببساطة مبناها ولكن معناها يتضمن معنى ذا مغزى عميق الأثروهو قولهم "الله الله يابدوى جاب اليسرى" فهذه الكلمة على بساطتها إحقاق للحق أنطق الله بها ألسنة الخلق وأقلهم شأنا ليكون عظة واعتبارًا لقوم يعقلون، إذ معناها الله الله يا بدوى هو الذى جاء بالأسرى لا أنت، فهو تذكير للخلق بقدرة الحق ليوحدوه فيجدوه عند حاجتهم إليه فهو على غرار قوله تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[1] وجياب الأسير كلمة منحوتة من جياء بالأسير وهى تدل على المبالغة فى كثرة مجيئه الأسارى، كما تقول فلان خراج من البيت وولاج فيه إذا دخل فيه كثيرا وخرج منه كثيرا وهذا اللقب بما فيه من المبالغات يدل على كثرة مجيئه بالأسارى من بلاد النصارى على حد تعبيرهم -ولعله أحضر من الأسارى أكثر من واحد- لأنهم ذكروا أن حراس الأسارى من الصليبيين كانوا يوقعون عقابهم الصارم على من ينطق باسم البدوى من الأسارى

(١) سورة الأنفال: ١٧.

فى معتقلاتهم - وما ذاك إلا لتكرر مسئولياتهم أمام رؤسائهم عما يختفى من الأسارى من معتقلاتهم ولأن الصليبيين اختطفوا ظلما واقتنصوا غدرا عددا كثيرا من طبقات الشعب المصرى والشعب لا يمكن أن يصبر ويقتنع من سيدى أحمد بمجىء أسير واحد لامرأة واحدة من بين تلك الطبقات، وقد أظهر استعداده لمثل هذه العملية عفريت من الجن على عهد سليمان. وباشر مثلها آصف بن برخيا كاتب سليمان، وما كانت روح البدوى أقل استعدادا من روح شيطان، وما كان الله ليكرم كاتب سليمان ولا يكرم خادم القرآن وتلميذ سيد ولد عدنان - وليس الاحتفاظ إلى الآن بالقيود والأغلال التى كانوا بها وبقائها فى أيدى أبناء الاسارى وذرياتهم إلى الآن يظهرون بها فى موالد البدوى السنوية فى العهود الأخيرة إلا من أقوى الشواهد على صحة هذا اللقب وإثباته للبدوى.

بحر العلوم ومعنى قوله سواقى تدور على المحيط

بحر العلوم لقب من ألقابه يناديه الناس به ولقبه به الدرينى بعد أن تناقش معه فى بعض المسائل العلمية فكان إذا سئل عنه يقول (هو بحر لا يدرك له قرار)، والحقيقة أن من يمارس سيدى أحمد البدوى يدرك أن علومه ومعارفه الربانية من طراز فوق متناول العرف ومنتهى العقل ولا يسع من يسمعها إلا أن يعترف بما اعترف به الدرينى ويعجب كيف تصدر هذه المعارف من عقل إنسان.

وقد وصف لنا علومه وأسراره ومعارفه فى عبارته المشهورة التى نقلها عنه كثير من المؤرخين وهى قوله "وعزة ربى سواقى تدور على المحيط لو نفد ماء سواقى الدنيا ما نفد ماء سواقى" فليس البحر المحيط الذى يعنيه فى هذا التمثيل إلا سيد المرسلين وليست هذه المياه إلا العلوم والمعارف والأسرار النبوية التى يستقى منها علومه ومعارفه وأسراره كما قال المفسرون فى قوله تعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾[1] فأرادوا من الماء المعارف والعلوم ومن الأودية القلوب التى سالت

([1]) سورة الرعد: ١٧

بهذه العلوم والمعارف - ولا يتضح معنى هذه العبارة تمام الاتضاح إلا إذ بينا ما هو المراد بالسواقى - قال فى القاموس: السواقى جمع ساقية والساقية النهر فالسواقى الأنهار الكثيرة يقول سيدى أحمد إنه له سواق كثيرة أى أنهارًا كثيرة يستقى من هذه الأنهار علومه ومعارفه وأسراره المتنوعة بتنوع تلك الأنهار، ويعنى بهذه الأنهار السادة العُمَرآنِ رضى الله عنهما والسيدة الفاضلة الزهراء وكريمتها السيدة الطاهرة وأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين فإن مدده متصل بهؤلاء جميعهم إلى رسول الله ﷺ مباشرة - فالسيدة الزهراء تغترف من جانب وكريمتها من جانب آخر والسادة العمرين وأمير المؤمنين يغترفون من معين آخر، كل على حساب ما ألهم من مشروب وقُدر له من شراب، والبدوى رضى الله عنه قد اغترف من هذه المشارب كلها فاجتمعت له هذه السواقى كلها يغترف منها حيث شاء وكما يشاء وليست لفظة الدوران إلا ترشيح لهذا التمثيل ذكرها لما ذكر لفظة السواقى لو نفدت مياه أنهار الدنيا ما نفدت مياه أنهاره لأن مياه أنهاره كما علمت مستمدة من ذلك المحيط الأعظم ﷺ ولو نفدت علوم الأولين والآخرين ما نفدت علومه ومعارفه، كيف والأنبياء جميعهم يستقون من ماء معينه.

والمعنى الحقيقى لهذه العبارة بجملتها أن معارفه وأسراره وعلومه متنوعة تنوعا كثيرا ومستمدة من حضرة الرسول، مقتبسة منه بطريق مباشر ويصف تنوعها وتكثرها بأن معارف أهل الدنيا لو نفدت ما نفدت معارفه كأنه يقسم بعزة ربه أنه بحر العلوم الذى لا ساحل له ولهذا لقب بهذا اللقب.

الزاهد

لقب بهذا اللقب وهو لم يتجاوز السابعة من عمره بفاس وعاش تِسْعًا وسبعين سنة ولم يترك شيئا يورث عنه إلا عباءته وقميصه وعمامته ومهراشه ومسبحته - ويكفى فى معرفة زهده فى الدنيا بيانه للزهد بأنه مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية إطلاقا وأن يترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام.

أبو فراج

فرج الله الغم بالتخفيف، وفرجه بالتشديد: كشفه. وفراج مبالغة فى كشف الغموم، وأبو فراج الكشاف للغموم، وهى كيفية اشتهر بها سيدى أحمد وانفرد بهـا وحـده تـدل على اختصاصه بمزية اقتضت هذا الانفراد، ولعل نوعا من العطاء الذى اختـصه الله بـه يختص بتفريج الأزمات وتيسير الحاجات وتسهيل الكربات.

وهذا النوع من العطاء يجعل بـاب الرجـاء أمامـه فـى الله متيـسرا واحتمـال قبولـه متحققا، لا سيما فى الأزمات الخطيرة والأقضية المذهلـة التـى تنـوء باحتمالهـا القُـدَر، والتى استحقها العبد بما كسب وعفى الله فيها عن كثير.

وقد يمكن استخراج هذا النوع من العطاء من كلام سيدى أحـمـد نفـسه ومـن قولـه "إن الفقراء كالزيتون وفيهم الصغير والكبير ومن لم يكن له زيت فأنا زيته أساعده فـى جميع أموره وقضاء حوائجه لا بحولى ولا بقوتى ولكن ببركة النبى ﷺ". فببركة النبى ﷺ وبقوة اتصال سيدى أحمد بهذه الحضرة تتوالى تفريج الأزمات وتتكاثر تيـسير الحاجـات وتترادف تنفيس الكربات حتى عرف عند الناس بأبى فـراج. هـذا وإن كـل المحـاولات التى تقدمت والتى أحاول فيها أن أوضح فيها معنى هذه الكنية لم تقنعنى بـأن أوقفـت القارئ على معنى هذه الكنية والحقيقة أن معنـى هـذه الكنيـة سـر مـن أسـرار طريقـة البدوى الخاصة به وحده ولهذا اختص هو وحده بهذه الكنية دون غيره مـن الأوليـاء - وخلاصة ما يمكن ذكره فى هذا المقام أنه رضى الله عنه اختص بباب من أبواب الفرج اختصه به رسول الله ﷺ وعرف بسببه بأبى فراج وما وراء ذلك ندع سره إلى الله والله أعلم.

أبو العباس

فى القاموس العابس والعَبُوس والعبَّاس هو الأسد - وكأن معنى عبس وجهه تغير وجهه من الغضب حتى بدت عليه ملامح الأسد - ولكون سيدى أحمد أسدا من أُسْـدِ الله كما قدمنا بيانه فى لقب السيد والسِّيد بكسر السين وضعوا لـه هـذه الكنيـة فكنـوه بهذه الكنية كما كنوا بها كل من تسمى باسم أحمد وكان على هذا القدم، وتوسعوا عرفا

فى إطلاقها على كل من اسمه أحمد ولو لم يكن على هذا القدم كما توسعوا فى إطلاق أبى خليل على كل إبراهيم ولو لم يكن خليل الرحمن وكما توسعوا فى إطلاق أبى عوف على كل عبد الرحمن ولو لم يكن عبد الرحمن بن عوف.

القدسى

القدوس اسم من أسماء الله تعالى معناها الطاهر وقُدْسُ الله وطُهْرُهُ معناه تنزُّهه عن كل وصف يدرك بالحس أو يتصور بالخيال أو يقضى به التفكير وكذا تنزهه عن كل ما يُعده الناس عيبا أو نقصا – وقُدْسُ العبد وطُهْرُهُ معناه تنزهه عن أن تحوم نفسه حول الخطوط البشرية التى ترجع إلى لذة الشهوة ومتعة المطعم والملبس والمشرب والملمس وسائر الملذات الدنيوية، وقَصْرُ هِمَّتِهِ على التوجه إلى الله بحيث لا يبقى له حظ إلا فى الله ولا يكون له شوق إلا إلى اللقاء به ولا فرح إلا بالقرب منه ولا أنس إلا بمشاهدته وهذه الصفات التى ذكرناها فى بيان معنى قدس العبد هى بعينها التى نقرؤها فى تاريخ سيدى أحمد من أول فصل فى تاريخه إلى آخر فصل فيه وهى التى من أجلها سمى قدسيا.

الصامت

كان البدوى يَعُدُّ الذكر باللسان شقشقة – ويعوِّل على الذكر بالقلب لأن الذكر بالقلب أعمق أثرا وأكثر عددا وأعظم نفعا لأنه كلما دار الاسم على اللسان مرة دار فى القلب أضعاف هذه المرة لسرعة جريانه فى القلب على سرعة جريانه فى مخارج الحروف وشتان بين جريانه فى القلب وجريانه فى مخارج الحروف، ومن ضرورة الذكر بهذه الصفة ظهور الصمت فى اللسان وظهور السكون على أعضاء البدن، ولغلبة أوقات الذكر عليه غلب عليه الصمت حتى عرف بالصامت، وهذا علاوة على أن الصمت ركن من أركان الطريق المشهورة ومن هنا فضل بعضهم العزلة على غيرها.

ولى الله

فى القاموس: الولى المحب والنصير ثم قال وهو أى الولى اسم مأخوذ من الولى بسكون اللام ومعناه القرب. فولى الله تعالى بمقتضى الإطلاق اللغوى يعتبر فيه أن يكون محبا لله نصيرا لدينه قريبا منه قربا يدنيه من حضرته فمن لم تجتمع فيه هذه الصفات لا يكون وليا لله فى اللغة - ويرحم الله من أدخل فى عداد الأولياء من لا ينطبق عليهم معنى الولى حتى فى اللغة.

وقبل أن نبين للقارئ معنى ولى الله نبين له أولا معنى ولى الناس الذى ذكره القرآن فى كثير من آياته ليتميز الفرق بين الوليين، وقد قلنا فى مناسبة إن بعض الناس يشتبه عليهم الوليان فيخلطون بين ولى الله وولى الناس فيجعلون هذا فى موضع ذاك وبالعكس فيذكرون مثلا فى تعريف ولى الله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ﴾[1] وقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾[2] مع أن قوله إنما وليكم الله وقوله إن وليى الله ونحوها نحو فالله هو الولى كلها فى بيان ولى الناس لا فى بيان ولى الله وهو خلط واضح نشأ عن جهل هذا الفرق، وكيف يعرف ولى الله بولى الناس.. هذا جهل.

وذكرت أن المعترض على سيدى أحمد هو الذى عرف هذا التعريف فى كتابه السنيد البدوى، أما ولى الله أو أولياء الله فقد أوضح القرآن أوصافهم بقوله ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[3] فبينت الآية أن من أخص صفاتهم الإيمان والتقوى وقد وصف الله المؤمنين بقوله ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾[4] واضطربت من مجرد ذكره هيبة وجلالا

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) سورة يونس: ٦٢-٦٤.

(٤) سورة الأنفال: ٢.

ولا يضطربون عند مجرد ذكره إلا إذا عرفوا هيبته وجلاله كما يضطرب قلب المحب بمجرد ذكر حبيبه وهذا أحد أوصافٍ خمسة للمؤمنين ذُكرت كلها فى هذه الآية ويطول بنا الحديث إذا نحن تتبعناها ويكفى هذا الوصف فى التعريف بإيمان أولياء الله تعالى.

الوصف الثانى من أوصاف الأولياء ذكره بقوله: ﴿ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ أى يخشون ربهم ويخافون سطوته فتجنبوا كل ما يوقع فى الإثم من فعل معصية ولو صغيرة وترك طاعة ولو مندوبة وأقبلوا على ربهم بكلهم فإذا استقاموا على الإيمان كما وصفنا وعلى التقوى كما بينا استقامة مثل الاستقامة التى طلبها الله من رسوله فى قوله: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾[1] فقد تحققت فيهم أوصاف الأولياء وكانوا أحقاء بأن يطلق عليهم اسم أولياء الله سواء أكانوا تجارا أم صناعا أم حكاما أم علماء أم فلاحين. أما إذا لم تتحقق فيهم هذه الأوصاف فيجب بمفهوم القرآن أن تنفى عنهم الولاية حتى يكون ما لله لله وما لقيصر لقيصر. فولى الله عبد بلغ من تفانيه فى حضرته وتهالكه فى خدمته أن قربه الله منه وأدناه من ساحته، حتى أنه سبحانه شرفه أعظم تشريف وكرمه أبلغ تكريم. انظر كيف أضاف ولايته إلى الله نفسه فسماه ولى الله وفى هذا أكبر تشريف لا يخفى على الفطن الأريب لأنه تولى الله بتفانيه فى طاعته فألبسه لباس ولايته فكان لله وليا - والمعترض على سيدى أحمد البدوى يطلق كلمة ولى الله علي من اتقى الشرك بالله وقال لا إله إلا الله هذا هو ولى الله عند حضرته. ومعلوم أن هذا الاطلاق لا تساعد عليه اللغة لأن الولى كما قلنا معناه المحب والنصير. ومأخوذ كما قلنا من مادة القرب والدنو فكلمة الولى من حيث اللغة ينتظم فيها بحسب معناها أن يكون العبد محبا لله ونصيرا له وينتظم فيها بحسب مأخذها أن يكون العبد قريبا من الله قربا يدنيه من حضرته، وهذا قد لا يتحقق فى خواص الناس فضلا عمن اتقى الشرك بالله وقال لا إله إلا الله.

---

(١) سورة هود: ١١٢.

وكما لا تساعد عليه اللغة يكذبه القرآن نفسه لأنه تعالى وصف عباده المقربين بأنهم قليلون فى قوله ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[1] فكيف نطلق أولياء الله المقربين على كل من هب ودب حتى من نبتت قرونه وطالت آذانه، إنما ولى الله هو عبد أحب الله حبًا صادقا ونصر دينه نصرا حقيقيا وقرب منه قربا حقيقيا، ولا تتحقق المحبة الصادقة بين اثنين إلا عن تعارف بينهما فهو عبد عرف ربه فأحبه، ولا تتحقق نصرته لدينه إلا إذا حافظ على كل ما يقتضيه الدين ثم قام بدعوة الناس إلى هديه المستقيم، ولا يتحقق قربه منه قربا حقيقيا إلا إذا شاهده فأدناه من حضرته فإذا أحب الله كذلك ونصر دينه على هذا النحو وقرب منه هذا القرب فهو الولى حقا وتاريخ سيدى أحمد كله يدور فى هذا الفلك فكان جديرا بأن يلقب بولى الله.

العطاب

ذكروا أنه اشتهر بالعطاب لكثرة ما كان يقع من الضرر لكل من آذاه وفى اشتهاره بهذا إمارة قوية على أن الله يغضب لغضبه ويحارب من حاربه وأنه كان من الصادقين فى معاملتهم لربهم ومن المتوكلين عليه حق التوكل. وكثرة الضرر لمن آذاه لا تعنى اضطراد الضرر كلما أوذى فقد يكون الضرر الأنكى فى التأخير لا فى التعجيل، والعطب من ضروريات الفتوة التى لقب بها وأوضحناه فيما سبق فمن ضروريات الفتوة البدينة إصابة من باراه وغالبه بالضرر والعطب، ولذا سماه أخوه بالعطاب لفتوته البدنية وهو أيضا من ضروريات الفتوة الروحية، لأن الفتى الروحى أقدر فى الانتصار وإصابة الغرض من الفتى الشجاع.

العارف بالله

المعرفة بالله هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله ولا يصح أن يطلق الولى على أحد من الناس إلا إذا حصل على هذه المنزلة، ولذا جعل سيدى أحمد

---

(١) سورة الواقعة: ١٣-١٤.

المعرفة أولى علامات الولى وجعلها علماء التوحيد أول كلمة فى تعريف الولى بأنه العارف بالله تعالى المواظب على طاعته إلى آخره، وإنما رددناه هذا الترديد وقلنا إن المعرفة هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله لأن الأولياء فى معرفتهم لله على صنفين صنف يمن الله عليه بمعرفته فى بداية أمره فيشهد أول مايشهد فى سلوكه ذات الله تبارك وتعالى وبعد أن يفيض الله عليه ما شاء من أسراره يرده إلى التعرف بصفاته ثم بأسمائه ثم إلى مشاهدة الآثار، وصنف يشهد فى سلوكه الآثار أولا ثم ينتقل منها إلى معرفة الأسماء ثم الصفات ثم الذات فلهذا قلنا إن المعرفة هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله، ومن هنا قال بعض كبار المتصوفة كلمته المشهورة إن بدايتنا نهاية غيرنا لأنه كان من الصنف الذى من الله عليه بمعرفته أولا فى بداية أمره.

وليس المراد بمعرفة الله تعالى العلم به عن طريق الأدلة العقلية التى لا تحتمل شكا أو عن طريق الخبر الصادق أو عن طريق الحواس الظاهرة بل معرفته عن طريق الشهود بالبصائر فتكون المعرفة غير العلم.

وتمييز العارف عن غير العارف عسير وشاق لأن معرفة الله سر من أسراره ولا يمكن أن يدعيها عارف مهما سمت درجته اللهم إلا أن يكون بطريق تلميحى فقط وفى كلام المتصوفة كثير من هذه التلميحات وفى كلام الرسول ﷺ بعض من هذه التلميحات، فقد سأله أصحابه هل نرى ربنا يوم القيامة فأجابها عليه الصلاة والسلام بقوله وهل تمارون فى القمر ليس دونه سحاب فقالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك، فقوله عليه الصلاة والسلام فإنكم ترونه كذلك تلميح منه بأنه عارف بربه حق المعرفة وإن كان ظاهر كلامه أن رؤية الله تكون فى القيامة من الوضوح بحيث لا تخفى على أحد كما أجابهم أيضا فى مناسبة أخرى بقوله: "نور أنى أراه"، ولم يترك الله تبارك وتعالى عباده فى جهالة من معرفته كيف وهو لم يخلقهم إلا ليعرفوه قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١)، فهو سبحانه ذكر العلة الباعثة على المعرفة

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

وهى العبادة وإلا فالغاية الوحيدة من الخلق هى المعرفة ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما العلة بغايتها فقال ليعبدون معناها ليعرفون، وقد وضح لهم طريق معرفته سبحانه وتعالى بالأمثلة الواضحة التى لا تحتمل لبسا ولا خفاء ولا لفا ولا دورانا ليعرفوه فقال لهم ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾(1) فمن حقق عبادته لابد أن يعرفه من كلامه الذى وضحه لهم إن كانوا يعقلون، ولما كانت المعجزات هى التى ميزت لنا الصادق من غير الصادق كانت الكرامات هى التى يمكن أن نميز بها العارف من غير العارف فمتى ظهرت الكرامات على يد أحد علمنا أنه من العارفين بالله هذا هو ما يمكن أن نعرف به العارف من غير العارف وظهور الكرامات على يد سيدى أحمد شىء لا يمكن إحصاؤه فكان جديرا بأن يسمى سيد العارفين.

فرائد بدوية

حث الله على التفكر، والذكر، والتوبة، والمحبة لله، والصبر، والزهد، والإيمان، فى أكثر من موضع من القرآن وقد بينها العلماء بيانات متفاوتة، فسأل سيدى عبد العال أستاذه عن بيان حقيقة هذه الأشياء، ليخرج من بيانه على نتيجة سليمة، ينتهجها فى سيره، ويتوخاها فى سلوكه، فيعرف كيف يفكر، ويذكر، ويحب، ويصبر، ويزهد، ويتحقق بالإيمان، لأن هذه أبواب الوصول ومفاتيح المعرفة، فأجابه رضى الله عنه بهذه الفرائد التى تراها مفصلة بين يديك.

الفريدة الأولى فى التفكير

أخبر رضى الله عنه بأن يتفكر فى مصنوعات الله وفى خلق الله، ولا يتفكر فى ذات الله فإن الله لا تحيط به فكرة، فجعل رضى الله عنه مجال التفكير قاصرا على مصنوعات الله ومخلوقاته، لا يتعداه إلى التفكير فى ذاته أو صفاته، ولقد أحسن رضى الله عنه فى

---

(1) سورة النور: ٣٥.

تعليل النهى عن التفكير فى ذات الله بقوله "فإن الله لا تحيط به فكرة".

وذلك لأن الشأن فيمن يفكر فى أى شىء لابد أن يخرج من تفكيره بنتيجة مرتبة على مقدمات أدركها بتفكيره "وأحاط بها علما، وقد يظن من يفكر فى ذات الله أنه حصل بتفكيره فيها على نتيجة صحيحة ولكن هذا الظن خطأ لأن النتيجة مبنية على مقدمات هى فى الواقع خطأ، وإنما كانت تلك المقدمات خطأ لأن النتيجة مبنية على مقدمات هى فى الواقع خطأ، وإنما كانت تلك المقدمات خطأ لأن الله لا يحيط به تفكير أحد. فمهما فكر فلا يكون من وراء التفكير فى ذاته نتيجة صحيحة، بل قد تجر صاحبها إلى الكفر كما وقع لبعض رؤساء الفرق الإسلامية فإنهم بحثوا فى الذات وفكروا فيما عرفوه عنها، فأثبتوا لها ما يجب تنزه الذات عنه، فالسبب الوحيد فى منع التفكير فى ذات الله وصفاته، هو أن الله لا يحيط به تفكير أحد من خلقه، فإنه مهما فكر حتى فيما يشاهده منها فإنه لا يخرج فى تفكيره عن قياس وجوده أو قدرته أو علمه أو استوائه على ما يعرف من هذه الصفات فى المخلوقات، فيثبت لذاته وجودا أو قدرة أو علما أو استواء شبيها بما يعرفه ثم يتطرق به الأمر إلى أن يثبت لذلك الوجود جهة، وهكذا لايمكن أن يفكر فيها إلا مقيسة على غيرها فيقع فى الضلال المبين. ولا يسع من يشاهد شيئا من ذلك وأراد السلامة إلا أن يعرفها ثم لا يفكر فيها: ولهذا أحجم عقلاء العارفين بالله وهم فى الأمة المحمدية كثيرون عن التفكير فى ذات الله ونعوتها حتى أن من سئل منهم عن الاستواء لم يشأ أن يتكلم فيه بما يعلم من مشاهدته، فقال "الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة"، ولو قال والجواب عنه ضلالة لأحسن، فتراه فى جوابه قال الاستواء معلوم. ولكن لم يشأ أن يتكلم فيه بتفكيره ليبينه للسائل، لأن بيانه يكون بوصفه للسائل، وإذا وصفه شبهه لا محالة – فيهلك من حيث أراد البيان.

الفريدة الثانية فى حقيقة التوبة

بين رضى الله عنه حقيقة التوبة بقوله – التوبة حقيقتها الندامة على مامضى من الذنب، والإقلاع عن المعصية، والاستغفار باللسان، والعزم على أن لا يعود إلى

المعصية، والصفـــاء بالقلب فهذه هى التوبة النصـــوح التى أمر الله بها فى كتابه العزيز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾(١) فهو يرى أن التائب لا تتم توبته إلا إذا راعى فى توبته خمس حقائق وتحقق بها.

الحقيقة الأولى: الندامة على ما مضى من الذنب، والندم - الأسف. والأسف، أشد الحزن فلابد أن يستحضر الذنب الذى وقع منه. وأن يراجع نفسه فيه باستعظام وقوعـه منه. وكيف أقدم عليه على مرأى من الله ومسمع؟! وكيف تجاسر على مخالفـة القـرآن، وخرج على تعاليم الرسول عليـه الـصلاة والـسلام؟! وكيـف هتـك حرمـة أخيـه فـى الإسلام. وتعرض لأعراض الناس ظلمـا وعـدوانا؟! وبـأى وجـه يلقـى رب؟! وبـأى جسد يتحمل عذاب النار؟! فإذا راجعها على هذا النحو حمله إيمانـه علـى النـدم، وإذا ندم تحققت الحقيقة الأولى وهى الندامة على ما مضى من الذنب.

الحقيقة الثانية: الإقلاع عن المعصية، والإقلاع عن المعصية قلعها من أساسـها كمـا تقلع الشجرة من جذورها. فلا تصلح بعد ذلك إلا للإحراق. وكما لا يمكـن أن تعـود الشجرة بعد قلعها إلى مكانها على ما كانت عليـه. لا يمكـن أن يعـود إلى المعـصية بعـد الإقلاع عنها كما حصلت منه، فإذا أقلع بهذه الصفة تحققت الحقيقة الثانية.

الحقيقة الثالثة: ملازمة الاستغفار باللسان. يرجو باستغفاره غفر هذا الذنب. وستره عن الناس، فلا يفضح به على رؤوس الخلائق يوم القيامة. وستره عن نفسه فلا يعرف به ولا يؤاخذ عليه، ولا تشهد عليه جوارحه ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢) وبملازمة الاستغفار بهذه الصفة تتحقق الحقيقة الثالثة.

وأينما حل فإن خالفها بغض الطرف عنها ظهرت له من وراء ذلك بشهوة راسـخا على ألا يعود إلى هذه المعصية أبدا، حتى إذا حانت له فرصة وقوعه فيها ثانية ارتطمت بعزيمته وتصميمه فأعرض عن انتهازها وبقى صامدا على تـصميمه متـذرعا بعزيمتـه لا

(١) سورة التحريم: ٨.

(٢) سورة النور: ٢٤.

يهين ولا يلين، أما إذا حانت له فرصة وقوعه فيها فأسرع فى انتهازها، وخطف خطفته ثم عاد إلى عزمه فهذا فى حكم المقيم على ذنبه، والمتراخى فى عزمه. وبملازمة هذه العزيمة تتحقق الحقيقة الرابعة.

الحقيقة الخامسة: الصفاء بالقلب لأن الغرض من الحقائق الأربعة المتقدمة وهى الندم والإقلاع والاستغفار والعزم والتصميم على عدم العود هو تطهير القلب وتنقيته وتخليصه مما يغضب الله ويحول بينه وبينه. فإذا لم يكن القلب فى حالة صفاء لله ولعباده عند التوبة، فلا يتحقق تطهير القلب ولا تنقيته ولا تخليصه، فإذن لا تتحقق التوبة بدون صفاء. ثم قال فهذه هى التوبة النصوح التى أمر الله بها فى كتابه العزيز، أى التوبة الصادقة الخالصة التى تقوم مقام الواعظ فى نصح الناس كأنها تنصحهم إلى أن يتوبوا توبة مثلها بسبب ظهور أثرها واضحا على صاحبها حتى تغيرت أحواله من قبيح إلى حسن، وحكم التوبة الوجوب على الفور، وتأخيرها إثم يضاف إلى إثم المعصية؛ وورد مرفوعا: "التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب، كما أن اللبن لا يعود إلى الضرع"(١)، وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود إليه.

الفريدة الثالثة فى حقيقة الذكر

أجابه رضى الله عنه عن حقيقة الذكر بقوله: الذكر هو أن يكون بالقلب لا باللسان فقط فإن الذكر باللسان دون القلب شقشقة، وأن تذكر الله بقلب حاضر، وإياك والغفلة عن الله فإنها تورث القسوة فى القلب، فهو يريد أن الذكر لا تتحقق حقيقته، ولا تثمر ثمرته إلا إذا كان على صفات ثلاث.

الصفة الأولى: أن يكون أساسه عمل القلب لا حركة اللسان فقط، فلا يزال يردد اسم الله بقلبه، سواء تحرك اللسان تبعا له أو لا، ومن كثرة الترديد يتحرك الباطن بحركات سريعة لا تلبث أن يكون لها صدى بمثل الله الله.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بلفظ (التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه) انظر راموز الأحاديث لسيدى أحمد ضياء الدين الكمشخانوى ص ١٩٨.

الصفة الثانية: أن يكون القلب حاضرا وقت الذكر فلا يكون فى قلبه وقت الذكر شواغل معيشية أو نحوها تسيطر على عقله بالتفكير فيها فيكون القلب فى واد والعقل يفكر فى واد آخر، ويستعان على إحضار القلب وحصره بالتوجه بالوجه لقبلة الدعاء وهى السماء واستحضار مقام الإحسان، وهو أن الذى تذكره كأنك تراه. فإن رفع بصره نحو السماء ودام على هذا الاستحضار كان هذا أعون على حضور القلب وحصره وحصول المقصود من الذكر وهو مشاهدة الذات.

الصفة الثالثة: أن يحذر عن طروء الغفلة عن الله بنوم أو غيره إلا لضرورة قاهرة فإنها بمثابة الإعراض عن جليسه، وتتلخص هذه الصفات الثلاث فى أن الذكر يكون بالقلب، وأن يكون القلب فى حالة حضور مع الله، وأن يحذر من الغفلة فإن الغفلة عنه تورث قسوة القلب.

الفريدة الرابعة فى حقيقة الوجد

وأجاب رضى الله عنه عن حقيقة الوجد بقوله – الوجد أن يكثر ذكر الحق لا إله إلا هو، فيقذف نور فى القلب من قبل الله تعالى فيقشعر منه جلده. فيشتاق إلى المحبوب لا إله إلا هو، فيلحق المريد الوجد، ويتعلق بالله كله، وعندما يزيد الوجد يصير ولها، وعندئذ يبلغ المريد الدرجة العليا فى التسامى الروحى. يقال وجد عليه وجدا غضب عليه، ويقال وجد به وجدا أحبه حبا جما، فالوجد نوع من المحبة الصادقة إذا لحقت العبد تعلق بالله كله، ويرشده رضى الله عنه إلى أن السبب فى هذا الوجد هو الإكثار من الذكر فينشأ عنه نور محسوس من قبل الله تعالى يقذفه فى قلب العبد يشتعل منه تجويف الرأس كما تشتعل الشمعة من أعلاها؛ فيقشعر منه جلده ويشتاق إلى معرفة محبوبه ليراه بنوره فإنه لا يدركه نور البصر، فإذا شاهده لحق المريد الوجد فينتقل من درجة الشوق إلى هذا النوع من المحبة الصادقة وفيها يتعلق العبد كله بالله وينصرف كل عضو فيه عن أداء وظائفه العادية ويتوجه إلى الله بكله، وعندما يزيد هذا الوجد عن حده ينتقل إلى درجة فى المحبة أعلى من مرتبة الوجد وهى الوله، والوله نوع من المحبة

ينسى معه العبد نفسه، ويسلب عنه حسه، وفى هذه المرتبة يبلغ المريد أعلى مرتبة فى التسامى الروحى، فيفيض الله عليه من كمالاته وإنعاماته ما يقتضيه كرمه، ثم يمن عليه بمقام التمكين وهو مقام البقاء بعد الفناء فيرده إلى نفسه ويصحو بعد محوه ليؤدى رسالته التى اقتضاها ذلك الكرم.

الفريدة الخامسة فى حقيقة الصبر

أجاب رضى الله عنه عن حقيقة الصبر بأنه - هو الرضى بحكم الله، والتسليم لأمره وأن يفرح الإنسان بالمصيبة كما يفرح بالنعمة قال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾(١) فأرشد إلى أن الصبر لايتحقق إلا بثلاثة أشياء: الرضا بحكم الله، والتسليم لأمره، والفرح ببلائه، لأن الله قال فى وصف الصابرين ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ ﴾(٢) فقولهم "إنا لله" إقرار منهم واعتراف بأنه سبحانه مالك لهم وهم مملكون له، ولا يتحقق هذا إلا برضاهم عن تصرفه فى ملكه وهذه هى الخصلة الأولى، وهى الرضا بحكمه. وقولهم "وإنا إليه راجعون" إقرار واعتراف بأنهم هالكون لا محالة، ولا يتحقق هذا الاعتراف إلا بتسليم أمرهم وأنفسهم له، وهذه هى الخصلة الثانية، وهى التسليم لأمر الله. وقول الله بعد ذلك "أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة" بشرى عظيمة تقتضى أكبر الفرح والسرور، وهذه هى الخصلة الثالثة، وهى الفرح ببلائه. فكان جميلا من سيدى أحمد أن يعرف الصبر بأنه الرضى بحكم الله، والتسليم لأمر الله، وأن يفرح بالمصيبة كما يفرح بالنعمة، لأن هذا التعريف هو الذى تنطق به الآية.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦.

(٢)سورة البقرة: ١٥٦-١٥٧.

الفريدة السادسة فى حقيقة الزهد

بينه رضى الله عنه بقوله هو مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية وأن يترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام، فأرشد إلى أن الزهد لا يتحقق إلا بشيئين بترك الشهوات الدنيوية، وبترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام، ولا يتصور العقل وجود إنسان يتصف بالزهد على هذا النحو فإن حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وسائر الشهوات الأخرى قد فاضت بها قلوب البشر، والسعى لطلب الحرام فضلا عن طلب الحلال قد تضافرت عليها القوى والقدر، فلا تجد فى الناس إلا عبدا لشهوة، ولا تبصر فيهم إلا قائما على حرام، فأما ترك الشهوات الدنيوية وترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى حرام، فهذا أمر يعلم علما ويفهم فهما ولا يمكن تحقيقه ويستحيل تطبيقه إلا على أمثال من عرفنا الزهد بهذا التعريف.

فمن ذا الذى يقف مع نفسه موقف المخالف لها فى جميع شهواتها الدنيوية وهى تعرض عليه فى اليوم الواحد ألف لون من ألوان هذه الشهوات حسية كانت تلك الشهوات أو معنوية، فإنه إن نازعها فى شهوات المأكل وما أكثرها، وردها إلى الاكتفاء بما يقيم الصلب ويدفع الحاجة إلى الطعام، لأن هذا أنشط للبدن وأعون على القيام بواجبه الدينى والدنيوى. ظهرت له من ورائها بشهوة المشرب، فأخذت تزين له من أصنافها. وتروى له روايات عن فوائدها. فهذا شراب منعش، وهذا مقو، وهذا مهيج، وهذا ملطف، وهذا مهضم، وهلم جرا. فإن لم يجمع بين الروايات وردها إلى الاكتفاء بالماء. لقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[1] ظهرت له من وراء ذلك بشهوة النساء تعج بعجيجها. وتسابقه بخيلها ورجلها، .وتلاحقه أينما سار وأينما حل فإن خالفها بغض الطرف عنها ظهرت له من وراء ذلك بشهوة القراطيس المالية، ثم من ورائها بشهوة "الموديلات" الحديثة. ثم من ورائها بشهوة الوظائف، ثم الجاه والسلطان

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

واللباس وهلم جرا. ولا يمكن أن يتخلص من هذه الشهوات التى لا حصر لها، إلا بأن يضيق صلته بمن فى الأرض إلا بربه. ويكف نفسه عن كل ما أخرجت الأرض إلا عن رغيف يأكله. وشربة ماء ترويه. وثوب يستر بدنه والأرض بعد ذلك فراشه والسماء لحافه. والكعبة قبلته. والله ممده ومعينه، هذا هو الزهد الذى يعنيه سيدى أحمد البدوى. وهنا يتحرك شيطان من شياطين الإنس ويقول هذا هو الذى جعلنا فى مؤخرة الأمم. وسوقة شعوب العالم. وعاقنا عن اللحاق بهم. والسير فى ركابهم، وينسى أو يتجاهل أن المسلمين لم يبلغوا مجدهم ولم يملكوا غيرهم فى أول أمرهم. إلا بزهدهم فى تلك الشهوات. واحتقارهم لهذه الملذات وتجافيهم عن تلك المهلكات. فكان عملهم كله لله، وجهادهم كله لله، وسعيهم فى مصالح المسلمين لله، وخدمتهم لأبناء وطنهم لله، لا يبغون من وراء ذلك شهوات دينوية ولا حظوظا نفسية، ولا مالا ولا جاها ولا سلطانا، لأنهم زهدوا فى كل ذلك. فأمدهم الله بمعونته. وأقبلت عليهم الدنيا وهم لها كارهون. ودانت لهم بكل ما فيها وهم عنها معرضون. ومن يوم أن فتح المسلمون قلوبهم لتلك الشهوات، وتهافتوا عليها كما يتهافت الفراش على النار. فضحوا فى سبيلها بالدين كله والوطن كله قطع الله معونته عنهم ووكلهم لأنفسهم. فخسروا الدارين وذاقوا الأمرين. وأصبحوا مأكلة الأمم. وملعبة الاستعمار.

الفريدة السابعة فى بيان حقيقة الإيمان الناقص والكامل والأكمل

اختلف العلماء فى أن الإيمان هل هو حقيقة لا تقبل الزيادة ولا النقص. فإيمان آحاد الناس لا يفترق عن إيمان أبى بكر رضى الله عنه، وإيمان أبى بكر لا يختلف عن إيمان رسول الله ﷺ. أو أن الإيمان تتفاوت درجاته فى قلوب المؤمنين. فمنهم من إيمانه قوى ومنهم من إيمانه أقوى. ومنهم من إيمانه ضعيف. ومنهم من إيمانه أضعف. إلى الأول ذهبت طائفة من العلماء، وإلى الثانى ذهب جمهورهم. ويؤخذ من إجابة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه أن الإيمان يزيد وينقص فى الناس. ويتفاوت على قدر تفاوتهم فى تقوى الله فهو يقول أكثر الناس إيمانا أتقاهم لله تعالى فعلى قدر درجتهم فى

التقوى تكون درجتهم فى الإيمان. فمن اتقى ربه بتوحيده وتبريه من الشرك والكفر فقد وقى نفسه من العذاب المخلد فى النار. وهذه أقل درجة من درجات الإيمان لأنه حصل على أقل درجة من درجات التقوى. ومن اتقى ربه بالتجنب عن كل ما يوقع فى الإثم من فعل معصية ولو صغيرة، وترك طاعة ولو مندوبة فقد وقى نفسه من دخول النار ودخل الجنة فى عداد المتشرعين. وهذه درجة كاملة من درجات الإيمان لأنه حصل على درجة كاملة من درجات التقوى ومن اتقى ربه بإقباله بكله عليه، وتنزيهه نفسه عن كل ما يشغله عن الله تعالى حتى يكون الله سمعه الذى يسمع به إلى آخره فقد وقى نفسه عن كل الأغيار، حتى الجنة والنار، وهذه أعلى درجة من درجات الإيمان لأنه حصل على أعلى درجة من درجات التقوى، فلما كانت التقوى على درجات كان إيمان الناس على درجات تبعا لتقواهم – ولما كان رسول الله ﷺ أتقى الناس لأنه قال: "أخشاكم لله وأتقاكم أنا"، كان إيمانه أقوى إيمان، فمن هنا يعلم كما يقول سيدى أحمد أن الإيمان يزيد وينقص تبعا لزيادة التقوى ونقصها وأن أقوى الناس إيمانا أتقاهم ثم قال رضى الله عنه كلما حسنت أخلاق المريد كلما حسن إيمانه، وأحسنكم أخلاقا أكثركم إيمانا هذه عناية من سيدى أحمد يحث بها تلميذه على وجوب حصوله على ثمرات التقوى وهى الأخلاق الحسنة، إذ لا معنى لأن يعمل عملا ثم لا يتخلق بما يعمله، فلابد من الحصول على ثمرة الأعمال، وهو حسن الخلق، ولذلك جعل رضى الله عنه حسن الأخلاق صنوا للتقوى فى تقوية الإيمان فقال كلما حسنت أخلاق المريد كلما قوى إيمانه، فإذا اجتمعت فيك التقوى الكاملة والأخلاق الفاضلة فقد اجتمع فيك كمال الإيمان، وإذ اجتمع فيك أكمل التقوى وأحسن الأخلاق اجتمع فيك أكمل الإيمان وإذا حصلت على أكمل الإيمان، حصلت على أثمن شىء يحصل عليه المريد الصادق وهو المعرفة بالله، والتهيؤ لمقام النيابة عن رسول الله، أو المقام الذى يسميه المتصوفة بالإمامة العظمى أو القطبانية الكبرى.

الفريدة الثامنة

ونختتم هذه الفرائد بوصيته العطرة التى تعتبر من جوامع الكلم، وتعد بحق فصل الخطاب فى أغراضها ومراميها، قال البدوى فى بعض وصاياه لتلاميذه التى رواها عن الحسن البصرى "من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة فى الدنيا ولا فى الآخرة، ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم، ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب، ومن لم تكن عنده شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله، ومن لم يكن له صبر لم تكن له فى الأمور سلامة، ومن لم يكن عنده تقوى لم تكن له منزلة عند الله، ومن حرم هذه الخصال الست فليس له منـزلة فى الجنة، فهو رضى الله عنه يحث تلاميذه ومريديه على تعلم العلم ويبين لهم فضله وثمرته فيقول من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة فى الدنيا ولا فى الآخرة فعلى قدر علمك بذات الله وأسمائه وصفاته تكون قيمتك فى الآخرة، وعلى قدر علمك فى الدنيا تكن قيمتك بين الناس، ولما كان العالم الأحمق لا يفيده علمه شيئا اتبع ذلك بقوله ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم فإن العلم بدون الحلم كالتاج من الذهب على رأس حيوان شرس يعجبك منظره، ويسيئك مخبره، فلابد للعلم من حلم يزينه وإلا ضاعت ثمرته وانحطت قيمته، ثم حثهم على السخاء بقوله ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب، لأن الحريص على المال إنما يجمعه لغيره فإذا لم ينتفع به انتقل عنه إلى وارثه لا محالة ولم يكن نصيبه منه إلا جمعه وعده، ثم مناقشته عليه وعذابه به ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[1] ثم يبين لهم أن أصحاب الشفاعة عند الله هم أهل الشفقة على خلق الله فقال ومن لم تكن له شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله، فالشفقة على الفقراء، والعطف على البؤساء، والرحمة بالضعفاء عنوان صادق على أنك ستكون عند الله فى الآخرة من الشفعاء، والشح على الفقراء، والغلظة على البؤساء والشدة والتجبر على الضعفاء عنوان صادق

(١) سورة التوبة: ٣٥.

على أنك ستكون هناك من أهل البعد والجفاء، ثم أرشدهم إلى أن السلامة فى الأمور لا توهب إلا للصابرين. وأن المنزلة عند الله لا تنال إلا بالتقوى فقال ومن لم يكن له صبر فليس له فى الأمور سلامة، ومن لم تكن عنده تقوى فليس له منزلة عند الله. فالصبر لا يدخل فى شىء إلا زانه. والجزع لا يدخل فى شىء إلا شانه وأخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾(١) ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾(٢) ومن يتق الله يجعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، فاحرص على هذه الخصال الست فإن من حرم هذه الخصال الست فليس له منزلة فى الجنة - احرص على العلم وزينه بالحلم، وتوجه بالكرم والسخاء، وباركه بالشفقة على الفقراء وجمله بالصبر على البلاء مع الخوف من الله تنل أبعد الغايات وأسمى الدرجات فى دنياك وأخراك.

عادات البدوى

مما يوضح لنا بعض النواحى الغامضة فى حياة السيد البدوى معرفة عاداته لأنه إذا لم تعلم عاداته لم تعرف أحواله وما كان عليه فى سيره وسلوكه - فمن عادته- ملازمة الصيام؛ فكان يطوى أربعين يوما لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا، ومن عاداته، ملازمة العبادة من قيام، وكان يقول "ركعتان بالليل خير من ألف ركعة بالنهار". وذكروا من عاداته حب التوسل -أى أنه يحب أن يسأله الناس، وهذه سنة من سنن الله تعالى- فالله يحب أن يسأله الناس ويغضب إذا تركوا سؤاله - وكل متخلق بأخلاق الله تعالى يحب لكرم طبعه وخلوص نفسه وعلو همته أن يسأله الناس، ويحب أن يسعى لهم فى قضاء مصالحهم - ونشاهد مثل هذه العادة فى بعض الناس الذين صفت أرواحهم، وخلصت نياتهم يحبون من الناس أن يسألوهم قضاء مصلحة أو تقديم خدمة عن خلوص قلب وسلامة ضمير.

---

(١) سورة السجدة: ٢٤.

(٢) سورة الطلاق: ٥.

وهو رضى الله عنه من هذا الصنف الذى يحب أن يسأل وأن يعمل لغيره؛ ذكروا له من عاداته هذه العادة، وذكروا أن تخلقه بها ناشئ عن اعتزازه بنفسه، وبشخصيته، لأنه من عرب البادية الذين يعتزون بشخصيتهم.

ونحن لا نوافقهم علىٰ هذا التعليل لأن الأصل فى محبته للتوسل يرجع إلى سلامة نيته، وخلوص فطرته التى فطره الله عليها، ونشاهد مثلها فى كثير من الناس الذين لم يكونوا من عرب البادية. ولم يعاشروا فى حياتهم أحدا من الأعراب، فحب التوسل هبة من الله تعالى لبعض عباده المصطفين الأخيار، الذين اختارهم الله لإجراء الخير على أيديهم للعباد، فيشعرون بلذة روحية تشتعل فى جوانحهم عندما يجرى الله على أيديهم خدمة أو قضاء مصلحة للمسلمين، والبدوى من هذا الصنف، فإن أعماله كلها إنسانية بحتة تدور حول العطف على الضعفاء، والرحمة بهم والتطوع لخدمتهم،وشمولهم بكرمه السابغ وحماه المنيع.

صفات البدوى البدنية والروحية

كان البدوى بدينا ضخما طويل القامة طولا غير بائن، عظيم الوجه وكبيره. خفيف العارضين كث اللحية من أسفلها سهل الخدين، قمحى اللون يضرب لونه إلى البياض أكحل العينين، أقنى الأنف. طويل الذراعين غليظ الساقين وبوجهه ثلاث حبات من أثر جدرى، فى خده الأيمن واحدة وفى الأيسر اثنتان، على أنفه شامتان فى كل ناحية شامة سوداء وندبة بين عينيه من طعنة بموسى، يعلو وجهه الكبير مسحة من الهيبة والجلال، ولصوته غير الجهير نبرات حادة حاسمة، مرحا إذا شاء المرح، جادا إذا شاء الجد، لا يثنيه عن عزمه إلا القضاء المبرم، ولا تأخذه فى الحق لومة لائم، ضنينا فى إخباراته حريصا فى عباراته. يعمل فى الخفاء، وقل أن يعمل فى الظهور، ويغلب فى لسانه المزاح من نوع رفيع ولكن لا يمكن أن يكون كلامه إلا حقا. وإلا مقصودا به الحق، ويستعمل اللغة العامية البحتة، وحدِّثْ عن قوته الروحية ولا حرج، قلت له مرة إن فلانا ربما كان غاضبا منى من أجل مسألة كذا فأجابنى بقوله "يتفلق" بالقاف التى

تشبه الجيم كلغة الشراقوة.

تقبيل الآثار والمزارات والتمسح بها (وبيان الصفة الشرعية لزيارة الأولياء)

هذه القبلات التى تسمع رنينها، ونرى انطباعها على المزارات، وهذه الأيدى التى تمتد على الحواجز النحاسية والخشبية ثم تعاد للتمسح بها بقصد التبرك بمن أقيمت عليه من نبى أو ولى، أو بقصد إظهار الصدق والإخلاص والمحبة. ليست مندوبة ولا مطلوبة شرعا. وليست مما تجلب لفاعلها الرضى والمحبة وإن كانت عنوانا على الرضى والمحبة وإنما الذى يجلب لفاعله الرضى والمحبة هو أن يقف الزائر خارج الباب فيستغفر ربه إحدى عشرة مرة من خطيئاته وفرطات لسانه التى ارتكبها قبل قدومه للزيارة فإذا تطهر من خطيئاته دخل فى أدب واحترام وقال لا إله إلا الله إحدى عشرة مرة أيضا ويختم الحادية عشرة بقوله محمد رسول الله فإنه إذا كانت روح الولى غائبة أو مشغولة بأمر حضرت عند ذكر لا إله إلا الله. لأنه لا شىء أشهى للولى من ذكر الله، فإذا ذكر عندها حضرت على عجل. وبعد ذلك يبدأ بالسلام فإذا سلم. رد عليه السلام. ورده للسلام منحة للزائر لا يستهان بها، ثم يقرأ سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة، ثم يقول اللهم تقبل منى هذه القراءة واجعل ثوابها فى صحيفة سيد المرسلين ﷺ. وثواب مثل ذلك لأرواح أبينا سيدنا آدم وأمنا سيدتنا حواء ومن ولدا من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وثواب مثل ذلك لآل بيت النبى وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته ﷺ. ورضى الله عنهم وعنا ونفعنا الله بهم فى الدنيا والآخرة وألحقنا بهم فى الدارين آمين وثواب مثل ذلك فى صحيفة هذا الولى ثم من تحب بعد ذلك. فإذا قدم لهم هذه الهدية طالبه بهدية مماثلة فقال "شىء لله من المدد يا سيدى فلان، إحدى عشرة مرة، وبعد ذلك يبسط يديه إلى السماء ويطلب من الله حاجاته الدنيوية ثم الأخروية وعندئذ يؤمن الولى على دعائه الدنيوى ثم الأخروى. وتأمينه قد يكون سببا فى قبول ما هو منه مصلحة للداعى، فهذه هى صفة الزيارة التى تجلب لفاعلها الرضا والمحبة من سيدى أحمد البدوى.

وقد تلقنت هذه الزيارة من ولى كبير، وأنا طالب علم صغير. وكنت أتردد على زيارته. ولم يمكث ترددى إلا سنوات معدودات. فارق بعدها الحياة. وعندما قرب رحيله إلى الدار الآخرة كان يغشى عليه فيمكث اليوم بطوله لا يأكل ولا يشرب، ولا يكلم أحدا، ولا يكلمه أحد. وكنت فى تلك الأيام الأخيرة إذا ذهبت لزيارته أجده فى حالة غيبوبة تامة. فأجلس وأقرأ فى سرى هذه الزيارة فإذا قلت فى سرى لا إله إلا الله ثلاثا أو أربع مرات فما أشعر إلا وقد انتفض بدنه. وانفتحت عيناه. وانبعث فيه الضوء كما ينبعث الضوء فى المصباح الكهربائى إذا تحرك مفتاحه. فأسلم عليه فيقول من أنت فأجيبه. فيقول ماذا كنت تقول، فأقول كنت أقرأ الزيارة التى لقنتها لى، ثم يغيب وكأن لم يكن له وجود ثم إذا قدمت لزيارته فى يوم آخر شرعت فى الزيارة على النحو المتقدم فتحضر روحه عند ذكر لا إله إلا الله فأسلم عليه ثم يغيب. وهكذا لقى ربه، فكان هذا دليلا على أن الزيارة بالصفة المتقدمة سليمة ومقبولة كما أنه دليل واضح على أن روح الولى إذا كانت غائبة أو مشغولة تحضر عند الذكر كما أن ذلك أوضح دليل على أن هذا الولى كان من الأقطاب الكبار، والله أعلم، ورضى الله عنه.

الحجر الأسود الموجود بركن المقام الأحمدى

مشى رسول الله ﷺ على الرمل الكثيب المهيل. فقص أعداؤه أثره فلم يجدوا لقدميه الشريفتين أثرا على الرمل الكثيب المهيل. ومشى على الصخر الأسود الجلمود فأثرت قدماه الشريفتان فى الصخر الأسود الجلمود. ليريهم بهذا وذاك أنواعا من معجزاته عليه الصلاة والسلام.

وهذا الحجر الأسود الموجود بركن المقام قيل هو من ذلك الصخر الأسود الذى مشى عليه رسول الله ﷺ فأثرت فيه قدماه الشريفتان. احْتُفِظَ به لأنه أثر من آثاره، وتخليد لمعجزة من معجزاته، وقد تناوبه بالحفظ المعنيون بالمحافظة على آثاره. حتى استقر فى هذا المكان المناسب لحفظه فيه ليبقى فى الناس على مر الدهور علما من أعلام نبوته، وشاهدا ناطقا يشهد بصحة رسالته، ودليلا واضحًا يدل الناس على بعض معجزاته. وعظيم آياته عليه الصلاة والسلام.

وقيل إنه حجر منحوت على صورة قدميه الشريفتين ليكون بمثابة ذكرى بمعجزاته عليه الصلاة والسلام.

(أدلة تحقيق أثر قدمى النبى ﷺ بالمقام الأحمدى)

وقد ذكر القائلون بأن هذا هو قدمه عليه الصلاة والسلام أدلة كثيرة تثبت ذلك.

- منها الشهرة والإجماع فإن شهرة نسبته إليه عليه الصلاة والسلام بلغت حد الحديث المشهور وأن اتفاق المسلمين على هذه النسبة بلغ حد الإجماع، وإهدار هذه الشهرة وإهدار هذا الإجماع بمثابة إهدار الحديث المشهور الذى يجب العمل به وبمثابة إهدار الإجماع الذى يجب الاعتداد به فكانت هذه النسبة صحيحة.
- ومنها أنه لا يوجد هناك أى داع يدعو الناس ويدعو النحاتين إلى أن يقوموا بعملية مفتراة على رسول الله ﷺ يضلون بها الناس من غير أن يعارضهم فى هذه العملية المفتراة رئيس دينى أو حاكم شرعى يأخذ على أيديهم، فلما لم يثبت شىء من ذلك فى التاريخ دل ذلك على صحة نسبته إلى الرسول ﷺ.
- ومنها أن دار الآثار ملأى بآثار قدماء المصريين، ونسمع القائمين على حفظ هذه الآثار يقولون هذا أثر فلان، وهذا أثر فلان، فنسمع منهم ونصدق روايتهم. ولا يمكن أن نطالبهم بدليل واحد على أن هذا الأثر بعينه هو أثر "توت عنخ آمون" أو غيره فإذن لا معنى لأن نتوقف فى نسبة القدم إلى رسول الله ﷺ ولم يمض عليه إلا أربعة عشر قرنا، ثم لا نتوقف فى نسبة هذه الآثار إلى أصحابها وقد مشى عليها عشرات القرون فكانت هذه النسبة صحيحة كغيرها مع تعزيزها بالشهرة وبالإجماع.
- ومنها أن بعض المماليك البرجية أراد فى عهده رفعه من مكانه للتبرك به فأرسل عماله ليرفعوه. ولما عملوا معاولهم فى رفعه صادفهم صعوبات شديدة أعجزتهم عن رفعه من مكانه، ولما لم يستطيعوا ذلك تركوه على حاله، فكان ذلك منهم بمثابة الاعتراف بصحة هذه النسبة.
- ومنها أنه إذا كان هذا الحجر من صناعة المثالين أو النحاتين، فإنه لا يمكن أن

يقتصر هؤلاء النحاتون على عمل حجر واحد يقيمونه فى مقام واحد من بين مقامات الأولياء. بل إن المنطق والعقل يقضيان عليهم بتعدد هذه الصناعة الفريدة. ويقضيان عليهم بنشر هذه الصناعة فى مقامات الأولياء، فلما لم تتعدد هذه الصناعة رأسا ولما لم يوجد منها فى مقام آخر حجر مثله، دل ذلك دلالة قاطعة على انفراد هذا الحجر بهذه المعجزة العظمى.

- ومنها أن هذا النوع من الحجارة السود لا يوجد إلا فى الجبال السود. وهى منتشرة بكثرة تلفت النظر فى بلاد الحجاز. وليس فى أنحاء مصر جبل أسود واحد فدل ذلك قطعا على أن هذا الحجر هو حجر المعجزة الكبرى لرسول الله ﷺ.

- أما المعارضون فإنهم يقرون بالمعجزة فى ذاتها، ويطالبون بالدليل على أن هذا الحجر بعينه هو حجر هذه المعجزة وقد ذكرنا أدلة المثبتين مفصلة. وهى فى مجموعها تصلح أساسًا للاعتماد عليها فى إثبات ذلك والله أعلم وقد يكون من أوضح الأدلة على أن معارضة هؤلاء المعارضين لهذا الحجر غير سليمة.

- أنه يوجد بالمقام الحسينى عصا من آثاره ﷺ. ويوجد بمقام سيدى عبد العال شعرة من شعراته عليه الصلاة والسلام ويقول القائمون على حفظها إنها آثاره ﷺ فيسمع الناس كلامهم ويصدقون روايتهم، فيقرءون الفاتحة له عليه الصلاة والسلام وينصرفون. فلماذا يعارضون فى الحجر. ولا يعارضون فى العصا والشعرات – يعارضون فى القدم لأنه معجزته عليه الصلاة والسلام ولا يعارضون فى العصا والشعرات لأنها ليست معجزات. فليس لإنكارها عندهم إشباع لغرائزهم فى إنكار معجزاته عليه الصلاة والسلام.

وقد وضع هذا الأثر العظيم فى هذا المكان بالذات ليكون رمزا بما انطبع عليه لأن سيدى أحمد كانت قدمه على قدم الرسول ﷺ وكانت سيرته وطريقته على سيرة وطريقة الرسول. وقد أشرنا فى مفتتح هذا الكتاب إلى ما يوضح ذلك.

ولزيادة الإيضاح نقول إن مواهب رسول الله ﷺ لأمته كثيرة لا تنحصر فى عدد، ومن أفضل المواهب موهبة قدمه الشريف، وموهبة يده الشريفة. فموهبة القدم يهبها

للعاملين بكتاب الله والعاملين بسنته، وموهبة يـده الـشريفة يهبهـا للـذاكرين الله كـثيرا والمشتغلين بأسماء حضرته وقد اختص البدوى بموهبة القدم لأنه سار على قدمه، ونهج منهجه، ومنهج خلفائه الراشدين، واختص عليه الصلاة والسلام أجداد البـدوى ومـن شرب من منهل أجداده بموهبة اليد الشريفة لأن سلوكهم بواسطة ذكر الأسماء. فكـان وضع القدمين الشريفتين عند رأس سيدى أحمد رمزا لهذا المقام العظيم والله أعلم.

الموالد التى تقام باسم الأولياء

هى فى الأصل احتفالات شعبية يقوم بها الـشعب لإحيـاء ذكـرى بعـض الأوليـاء الذين سمت نفوسهم وصفت أرواحهم، وتخلصت من نـوازع الهـوى وعمـى البـصائر والقلوب. بسبب عكوفهم على الطاعة وانقطاعهم إلى الله وإعراضهم عن زخرف الدنيا وزينتها وزهدهم فيما يتهافت عليه الناس من لذة ومال وجاه.

ويظهر من سلوك هذه الطائفة أن أرواحهم إذا صفت وبلغت فى التسامى الروحى حدا خارجا عـن العـادة تغلبـت عنـدهم عوامـل الـروح علـى عوامـل البـدن. فكـان لأرواحهم تأثير خاص يرى أثره ولا يعلم سببه. كالعائن يتوجه بنفسه الحادة إلى ما يبدو عجيبا من إنسان أو حيوان فيخر لوقته صريعا من غير أن يعلـم لهـذا التـأثير العجيـب. وحينما تظهر هذه التأثيرات الروحية على أيدى هؤلاء لاتـسأل عمـا يقـع فـى قلـوب الجمهور مـن تلقـيهم لهـا بـالقبول ولا تـسأل عـن إقبـالهم علـى تقبيـل أيـدى هـؤلاء وأقدامهم.. لأنهم ينظرون إليها نظـرهم للمعجزات التـى تظهـر علـى أيـدى الرسـل فيقبلون عليهم بكليتهم ويبالغون فى احترامهم والحظوة بمشاهدتهم، حتـى إذا ووريـت أجسامهم فى التراب أقاموا لهم هذا الاحتفالات الشعبية كذكريات لهم، وإحياء لمآثرهم التى لمسوها وعاينوها، فيتندرون بما لمسوا، ويتحدثون بما عاينوا، ملتمسين من وراء ذلك الحصول على دعوة صالحة أو بركة شاملة من روح ذلك الولى معتقدين بحق أن الـروح لم يلحقها الفناء وأنها بتجردها عن بشريتها بالموت، أصفى فى نفسها وأقرب إلى رضا ربها، وأرجى فى نفعها مما كانت عليه فى زمن الحياة، وتبنى إقامة هذه الحفلات على سرد هـذه المآثر منظومة فى أبيات من الشعر فى حلقات الذكر والندوات التى يجتمع فيها المحتفلون.

هذا هو الأصل فى إقامة هذه الموالد الشعبية التى تقام باسم الأولياء، وهى باعتبار هذا الأصل لا غبار عليها؛ لأن إقامة الاحتفالات الشعبية أمر شائع فى كل شعوب العالم يقيمونها لتقديس قائد أو تكريم عظيم، والدين يحث على التسابق والتنافس فيقول ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾(١).

والموالد بقدر ما هى ذكريات هى أيضا تستنهض الهمم الغافلة والقلوب الضالة وتستنفر الناس ليعملوا عملا صالحا يخلد لهم ذكرى حسنة ويبقى لهم لسان صدق فى الآخرين.

موالد البدوى

لما توفى سيدى أحمد رضى الله عنه سنة ٦٧٥ هجرية، وأذيع نعيه بين طبقات الشعب هرع إلى طنطا آلاف مؤلفة من أبنائه الذين رباهم ونشرهم فى طول البلاد وعرضها ليبثوا دعوته بين الناس، حضر أبناؤه وتلاميذ أبنائه، وكل من يعرف قدر السيد البدوى وكرامته على مولاه وكانوا جموعا لا يحصون، فنزلوا خارج طنطا فى الموضع الذى يقام فيه مولده بين مدينة طنطا وقرية "سيجر" لأنه لا يوجد مكان فى المدينة يتسع لنزولهم، ولما قاموا بعملية الدفن وأدوا لخليفته واجب العزاء، مكثوا بعد ذلك ثلاثة أيام فى الموضع الذى نزلوا به، يعزى بعضهم بعضا كما هى العادة، ولما أرادوا الانصراف إلى مواطنهم، قالوا لسيدى عبد العال لابد أن نحضر كل عام فى اليوم الذى توفى فيه، ونحيى هذه الذكرى مادمنا على قيد الحياة، وكانت الوفاة يوم ١٢ ربيع الأول أى يوم الليلة الختامية لمولد الرسول، فمن أجل ذلك سمى يوم وفاته يوم مولده وبدلا من أن يسموا يوم وفاته يوم الاحتفال بذكرى وفاته سموه يوم الاحتفال بذكرى مولده لحدوث الوفاة كما قلنا يوم الاحتفال بالليلة الختامية لمولد الرسول ﷺ، وظل أتباعه يحضرون كل عام إلى طنطا ثلاثة أيام تبتدئ يوم ١٢ ربيع الأول وتنتهى فى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر، ثم توسعوا فى المدة حتى كانت ثمانية بدلا من ثلاثة أيام -

---

(١) سورة الصافات: ٦١.

ومن هنا نشأ مولده الكبير فى كل عام – وفى اليوم الثامن يركب الخليفة ركوبته ويطوف فى شوارع طنطا الكبيرة إيذانا بانتهاء مدة المولد، وتقليدا لما كان يفعله سيدى عبد العال من خروجه بنفسه فى اليوم الأخير لتوديع أتباع سيدى أحمد عند انصرافهم لبلادهم بعد تمام مدة الاحتفال. هذا هو الأصل فى إقامة مولد سيدى أحمد الكبير.

أما مولده الصغير فيظهر أنه كان يقام تخليدا لذكرى وفاة سيدى عبد العال وسمى يوم وفاته مولدا تشبيها بتسمية يوم وفاة أستاذه مولدا لما قدمنا، وقد ظل المولد الصغير يقام إلى جانب المولد الكبير قرونا طويلة حتى اكتفى الناس فى العهود القريبة بالمولد الكبير عن المولد الصغير ظنا منهم أن المولدين الكبير والصغير يقامان لسيدى أحمد نفسه والواقع أن الصغير كان يقام لذكرى وفاة سيدى عبد العال، فترك الناس الاحتفال بهذه الذكرى، والأصل أن يقام الاحتفال بالمولد الكبير فى يوم ١٢ ربيع الأول وهو يوم الوفاة لكنه قد دخل التغيير فى زمن إقامته لأسباب اقتصادية.

أما المولد الرجبى نسبة إلى شهر رجب أو إلى رجل يسمى رجب العسيلى – فيظهر أن الأصل فى إقامته أنه لما توفى سيدى أحمد يوم ١٢ ربيع الأول، وهو يوم الاحتفال بمولد سيد الوجود ﷺ، ومن أجل ذلك سمى يوم الاحتفال بوفاة البدوى مولدا كما قدمنا – عمدوا إلى تشبيه احتفالات البدوى بالاحتفالات التى تقام لسيد الوجود، فجعلوا له مولدا رجبيا مثل الاحتفال بالرجبية التى تقام فى شهر رجب لسيد الوجود ويقصدها الناس من سائر الأقطار لزيارته ﷺ.

وقد يكون الأصل فى الاحتفال بالمولد الرجبى عند سيدى أحمد البدوى – هو قصد الاحتفال بالرجبية التى تقام عند سيد الوجود فى شهر رجب – شارك فيها الفقراء الذين قصرت بهم النفقة عن الذهاب إلى المدينة المنورة، وأقاموها عند سيدى أحمد البدوى باعتبار أنه باب الرسول ﷺ، وأن الاحتفال بها هنا فى نظرهم كالاحتفال بها هناك – وقال بعض المؤرخين هو نسبة إلى رجل يسمى رجب العسيلى كان من كبراء المحلة الكبرى فى الأيام التى كانت فيها عاصمة للغربية قبل طنطا، حيث أحضر كسوة وعمامة للبدوى، وحضر بها فى موكب عظيم وجعل من ذلك موعدا لزيارة

البدوى كل عام. ووقف من أمواله على هذه الزيارة ثم اتخذت عادة بعد ذلك وهذا لا ينافى ما قدمنا.

وهذا المولد الرجبى مظهره دينى بحت يحضر فيه الفقراء والأتباع لإقامة الأذكار، ولقراءة القرآن، والأوراد، والصلوات، ويحضرون معهم كميات وفيرة من الخبز والأطعمة الأخرى لتوزيعها على الفقراء والمساكين على مدد البدوى ويمكثون فى المسجد ثمانية أيام على هذا النحو ثم ينصرفون إلى بلادهم.

(نقد سلبيات الموالد)

وليس فيه شىء يؤخذ على الزوار إلا شربهم للدخان فى المسجد، وعدم اجتماعهم على إمام واحد لإقامة الشعائر، ولو أن القائمين بالأمر أخرجوا كل من يشرب الدخان من المسجد، ومنعوا الفقراء من إنشاء جماعات صغيرة. وحملوهم على جمعهم على إمام واحد للصلاة لأدى ذلك المولد الغرض الذى أقيم من أجله، ويلاحظ أن الزوار لا يلقون بالا لنصائح الوعاظ وإرشاداتهم التى يؤدونها من وراء حجاب، فلو أنهم يواجهونهم بالموعظة، ويجابهونهم بالإرشاد والأخذ والرد لكان الشعب أسمع لهم، وأكثر قبولا لقولهم، وإقبالا على سماع نصائحهم، أما مسألة الأكل والشرب فى المسجد وما يحدث منهما من قذارة فيمكن غفرها ما دام القصد من وجودهم هو إطعام القفراء والمساكين.

(رد على اعتراض أبى رية وأمثاله على المولد الأحمدى)

وإذا علمت مما تقدم أن المولد الكبير هو احتفال بذكرى وفاة سيدى أحمد، وأن المولد الصغير هو احتفال بذكرى وفاة سيدى عبد العال وأن المولد الرجبى هو احتفال بمثل احتفال الرجبية التى تقام لسيد الوجود مقصودا به سيد الوجود نفسه أو سيدى أحمد -فاعلم أن قول المعترض- وإذا كانوا قد جعلوا لكل صاحب قبة مولدا واحدا حتى (مولد) النبى ﷺ فإنهم قد جعلوا لأحمد البدوى ثلاث موالد فى كل عام - ثم

قوله بعد ذلك كأنه قد ولد على غير سنن البشر ثلاث مرات قوله هذا جهل وغباء، لأن هذه الموالد ليست احتفالات بمولد أحد كما يفهم المعترض، وليست كلها للبدوى كما يظن.

محاسن الموالد عيد سعيد للفقراء

إن من يتأمل ما يجرى فى الموالد بصفة عامة يدرك أنها تخفى من وراء مظاهرها عيدا سعيدا للفقراء حيث يتسابق الناس حتى البخلاء منهم بالعطف على الفقراء، والتصدق عليهم بالقليل والكثير من الأطعمة، واللحوم والأموال وكل ما يمكن بذله، وترى الفقراء بين غاد ورائح يصافحون هذا ويأخذون من هذا فيملأون جعبتهم ويسدون جوعتهم وترى حقائبهم كأنها موائد جمعت فيها أنواع الأطعمة من خبز إلى قطع من اللحم إلى فول معبأ فى أكياس من الخبز إلى أنواع من الخضر وقطع من الجبن، وملفات من "الدقة" المخصوصة التى تغلب برائحتها على الهواء فيتطلف عليها الزائرون هذا إلى جانب القروش التى تفيض بها جيوبهم، وتمتلىء منها حقائبهم.

سوق رائجة للتجارة

وكما أن الموالد عيد سعيد للفقراء هى أيضا تخفى من وراء مظاهرها سوقا رائجا للتجارة؛ فإن جميع التجار يقدرون الموالد كأنها معرض من المعارض العامة التى تقيمها الأمم لتعرض فيها مقدار تقدمها فى الصناعة، وارتقائها فى الحضارة، وأسبقيتها فى العمران. فيقبلون عليها بتجارتهم، ويتخيرون من ألوان الأقمشة، وأنواع اللعب وأصناف الأطعمة ما يلفت إليهم الأنظار فترى الأطفال عاكفين على تاجر، والشبان مزدحمين على آخر، والشيوخ على ثالث، والنساء على رابع – كل على حسب حاجته يبيعون ويشترون – جادين مجتهدين بصورة تلفت النظر، وكأن التجار يبيعون لينصرفوا إلى حاجة تدعوهم إلى الانصراف، وكأن الزوار يشترون إلى حاجة تدعوهم للاختزان، فلا يلبث أن تنصرف بضاعتهم وتروج تجارتهم وينصرفون جميعا راضين مطمئنين.

فترات رياضية بدنية وروحية تطهر النفوس الضالة

تهيىء وزراة التربية والتعليم للمدرسين والتلاميذ فترات فى أثناء الدارسة، يقومون فيها برحلات استكشافية يزورون فيها معالم البلاد وآثارها ترويضا لأبدانهم وترويحًا لنفوسهم، وتوسيعا لأفقهم، وتدريبا لهم على تحمل الأسفار وتشجيعا لهم على السير فى الأرض للفتح والتعمير، وليست الموالد إلا رحلة شعبية رياضية يتنفس فيها الشعب، ويستريح من جهد الحياة، وعناء العمل، والملل من استمراره، ومداومة ملازمته، وهى فى الوقت نفسه رحلة روحية تتيقظ فيها الروح الدينية وتتمثل فى إطعام الطعام وقراءة القرآن، وتلاوة الأوراد وحلقات الذكر، فى البيوت والمساجد أثناء الليل وأطراف النهار وليست زيارة الولى وما يكتنفها من عظات وعبر بأقل أثر من زيارة المعالم الأثرية، والآثار الفرعونية.

مثالب الموالد

بالإضافة إلى تلك المحاسن التى أوضحناها - يشاهد فى الموالد أمور ينهى عنها الشرع، وتمقتها الشرائع السماوية، تعج بها دور الملاهى ومسارح السينما وغيرها.

ويشاهد حول المزار هرج ومرج لا يليق بأدب الزيارة ويتنافى مع ما ينبغى لها من أدب وخشوع وقد تنطلق من أفواه إحدى الزائرات الزغاريد المزعجة فيتعاقبنها واحدة تلو الأخرى حتى تعم جنبات المزار تلك الصيحات المزعجات، هذه هى كل المثالب التى يمكن أن تؤخذ على إقامة الموالد.

الحكم لها وعليها

أخذْتُ أقارن بين محاسن الموالد ومثالبها وبعد إعمال فى النظر وترو فى الحكم وتقليب للموضوع على كل وجه رأيت أن هذه المحاسن منبعثة من طبيعة الموالد ومنبثقة من روحها؛ فلولا إقامة الموالد ما تهيأت هذه الفرص التى يتطلع إليها التجار كمصادر لتنمية ثروتهم وموارد لاستجلاب أرزاقهم ويتلهف عليها الفقراء، كمواسم لسد حاجاتهم ومعالجة بؤسهم، ويتنفس فيها المتأزمون من مضايق الحياة ومتاعب العمل.

أما تلك المثالب المنبعثة من دور السينما والملاهى وغيرها فلا يمكن عقلا أن نعدها منبعثة من طبيعة الموالد ولا منبثقة من روحها: فسواء أقيمت الموالد أم لم تقم فهى منتشرة بين طبقات الشعب، ومتغلغلة فى أنحاء البلاد، وليس للموالد تأثير فيها إلا أنها تجتمع لها إذا أقيمت وتتفرق عنها إذا ما انتهت فالمحاسن ناشئة من طبيعة الموالد فتؤخذ لها وتحسب من حسناتها والمفاسد ليست ناشئة من طبيعتها ولا تحسب من سيئاتها – وإنما تدفع عنها إذا أريد تطهيرها منها – أما المثالب التى تدخل فى نطاق المزارات فأمرها يسير وعلاجها يكون بتثقيف هؤلاء الجهلة بآداب الزيارة وتوجيههم بواسطة القائمين بأمر هذه المزارات توجيها دينيا يتمشى مع تعاليم الدين وما تقضيه حكمته هذا هو الحكم لها وعليها وما توفيقى إلا بالله.

ما كتبه الفقهاء فى النذور للأولياء

قال فقهاء الشافعية لو نذر زيتا أو شمعا لإسراج مسجد أو غيره صح النذر إن كان يدخل المسجد أو غيره من ينتفع به من مصل أو نائم وإلا لم يصح لأنه إضاعة للمال فهو باق على ملك مالكه يدفع له أو لوارثه وإلا صار لمصالح المسلمين.

ومحصل هذا أن ما ينذر لإسراج المساجد أو غيرها كالأضرحة والمقامات من زيت أو شمع يصح نذره إن كان يدخل المسجد أو الأضرحة والمقامات من ينتفع بالزيت أو الشمع من مصل أو نائم أو زائر. وإن لم يدخلها أحد للصلاة أو النوم أو الزيارة أو نحوها لم يصح النذر لأنه إضاعة مال فيبقى على ملك مالكه يرد إليه إن كان حيا أو لوارثه إن كان ميتا، وإلا صار لمصالح المسلمين.

وقال فقهاء الشافعية ومما يقع من العوام قولهم جعلت هذا للنبى ﷺ والأقرب فيه الصحة لاشتهاره فى النذر فى عرفهم ويصرف ذلك لمصالح الحجرة الشريفة.

وقال الرملى من كبار فقهاء الشافعية – ولا يصح النذر لميت إلا لقبر الشيخ الفلانى فيصح حيث أراد به قربة كإسراج ينتفع به، أو اطّراد عرف بحمل النذر للميت على أن يراد به قربة.

فهذه النصوص تصحح أن النذور للأموات صحيحة حيث أريد بها قربة كإسراج القبر وإضاءته للمصلين أو الزائرين وكصرف النقود المنذورة للأموات على الفقراء والمساكين والخدم ونحوهم.

وقول العلامة الرملى: ولا يصح النذر للميت إلا إذا اطرد العرف بحمل النذر للميت على أن يراد به قربة، صريح فى أن جميع النذور التى تنذر لسيدى أحمد البدوى صحيحة لأن المعروف عرفا عند كل من يقدم نذرا لسيدى أحمد البدوى أن هذا النذر يصرف على الفقراء والخدم وأتباعه الملتفين حوله من خلفاء وغيرهم فهو نذر لميت اطرد العرف بحمله على أن يراد به قربة، وكل نذر لميت اطرد العرف على أن يراد به قربة نذر صحيح فجميع النذور التى تنذر للسيد البدوى نذور صحيحة؛ لأنها نذور يراد بها قربة وهى صرفها على الفقراء حتى ولو كانت فى أصلها منذورة لميت لاطراد العرف بحمل النذر للميت على إرادة القربة فما تسمع به من بطلان هذه النذور فاضرب به عرض الحائط – أما توزيعها على مستحقيها فأمر لا اختصاص لنا به وإنما هو من اختصاص أولى الشأن والقائمين بالأمر.

التوسل بالبدوى وطلب الشفاعة منه

الله تعالى يقول وتعاونوا والمعترض يقول لا تتعاونوا فإن التعاون إشراك – قال الإمام الشافعى رضى الله عنه ما ناظرت جاهلا إلا غلبنى، وما ناظرت عالما إلا غلبته والمعترض من هذه الفئة التى حكم عليها الإمام الشافعى بأن جهلها هو أمضى سيف تشهره حينما تريد التغلب على العلماء، فهو يزعم أن طلب التعاون من السيد البدوى إشراك بالله فإذا طلبنا منه العون فقد أشركناه بالله!! كيف والله نفسه يقول للناس ويعلمهم الدين الصحيح والتوحيد الصحيح يقول لهم فى كتابه ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[1] يقول لهم تعاونوا وهو يقول لهم لا تتعاونوا فتشركوا، الله أعلم منه بما

---

(١) سورة المائدة: ٢.

ينافى توحيده وأعرف منه بأحكامه وتعاليمه؛ فامتثالا لأمر الله تعالى. وتلبية لنداء القرآن سنذهب إلى البدوى ونقول له حسبة لوجه الله تعالى. وامتثالا لأمر الله عاونا فى قضاء حوائجنا وساعدنا على قضاء مصالحنا، واسأل الله تعالى أن يكشف عنا السوء، واطلب منه أن يمنحنا رضاه، واسأله أن يكشف عن المسلمين ما هم فيه من جهد وعناء، وأن يزيل عنهم ما هم فيه من فاقة وبلاء. سنقول له ذلك وأكثر من ذلك، ونقول له أنت أعرف منا بربك وأدرى بما يجب له من أدب وخضوع، والله يقول ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ونحن عبيد قد أعمتنا الدنيا عن معرفة الله. وشغلتنا عن حضرته، وحالت بيننا وبينه، فأصبحنا نستحق الابتعاد. ونستوجب الطرد والإعراض من حضرته، وليس لنا موئل ولا سند ولا معين إلا أن نطلب منك المعاونة والمساعدة عنده فإن لم تعاونا وتساعدنا لنكونن من الخاسرين، نعم سنقول له ذلك اعترافا لله بعجزنا واعترافا بخطيئاتنا، وإقرارا بتقصيرنا وقصورنا عن طلب السؤال منه، لأنا أغضبناه وخرجنا عن حدود الأدب فى معاملته وانصعنا لشهواتنا، وانقدنا لأهوائنا، وما بقى لنا وجه نسأله به، ولسان نذكره به، وما بقى لنا إلا الشفاعة عنده وبأخص أحبابه، وأخلص المقربين له، هذا هو تقديرنا لتعاليم القرآن، وتقديرنا لمقام ربنا، وتقديرنا لمقام أحبابه وتقديرنا لأنفسنا، فمن يسمع يسمع، ومن يجانب الدين والقرآن، فليس لنا معه كلام.

صناديق النذور فكرة اجتماعية مهذبة وسليمة

كلما جد الجد بالمسلمين. ونزلت بهم ضائقة اقتصادية أفرغت جيوبهم. وأخلت أيديهم من الدراهم والدنانير هرعوا إلى الشعب ولاذوا برحابه الفسيح فوجدوا فى يديه مفتاح الفرج، وباب الخلاص من هذه الضائقة؛ لأن القرش الواحد من كل فرد من أفراد الشعب يعدل ربع مليون من الجنيهات، قد يضيق بدفعها مصرف من مصارف الدولة، فإذا تبرع كل فرد من أفراد الشعب بعشرة قروش أمكننا الحصول على ما يقرب من ثلاثة ملايين من الجنيهات. ندفع بها ضائقتنا بيسر وسهولة. وبدون أن يكون فى ذلك أقل تأثير فى اقتصاد الفرد مهما قل دخله. وبهذه العملية البسيطة يمكن

التخلص من الأزمات الاقتصادية التى تطرأ بين آن وآن، وما معونة الشتاء إلا واحدة من هذه الأزمات التى نهرع فيها إلى الشعب ونجد منه العون الكثير.

وقد يلجأ المصلحون إلى صنع صناديق صغيرة عند طروء الأزمات يحملها الأفراد على أيديهم. ويطوفون بها على المتبرعين، يجمعون فيها ما يدفعون به أى ضائقة طارئة، وقد يبذل حاملو الصناديق الكثير من ماء وجوههم، وقد يسمعون ممن صغرت نفوسهم الكثير من الكلام اللاذع القبيح، أما صناديق النذور فهى صناديق قائمة بنفسها، ثابتة فى أماكنها لا تسأل أحدا ولا تستجدى من أحد عطاء تؤدى وظيفتها التى أقيمت لها فى صمت وخشوع وهى جمع ما يمكن جمعه من الشعب عن طيب خاطر وإقبال تام، لصرفه فى تفريج الأزمات الفردية والضائقات الاقتصادية التى تحيط بالعائلات الفقيرة المنتفعة بهذه الصناديق، وهذه العائلات تعد بالمئات، وقد تبلغ الآلاف ويظن بعض الناس أن هذه الصناديق لا تؤدى غرضا اجتماعيا، وإنما هى فى نظرهم متعة اقتصادية للحصول على المال بأى وجه من الوجوه ويخطئ كل الخطأ من يظن ذلك الظن. ويرمى نفسه بقصر النظر من يقول إن الصناديق أقيمت للترف والتمتع بالمال لحساب طائفة معينة، لا تستحق عونا ولا مساعدة ولا تنفى عنهم بؤسا، ولا تدفع عنهم شقاء.

هل يصل إليهم منه ما يسدون به رمقهم، ويملأون به فراغ بطونهم الخاوية من كسرة العيش وفتات الرغيف، إن العطف والشفقة لا يعرفان طريقا لهذه القلوب المتحجرة التى لا تعترف بفائدة هذه الصناديق، والتى تسعى جاهدة فى الحط من نفعها والتقليل من فائدتها، وتعمل على عدم بقائها فى خدمة الفقراء والمساكين، مع أنها تؤدى أيضا غرضا اجتماعيا خطيرا فى المصالح العامة للدولة وإقامة الشعائر فى أنحاء البلاد، حق على المتبرمين من صناديق النذور أن يعلموا أن صناديق النذور فكرة اجتماعية مهذبة وسليمة، لا يعارض فيها إلا كل شارد عن طريق الحق سائر وراء نفسه ومتبع هواه فمن يطعن فيها ويتجاهل فائدتها لا يعرف مصالح الشعب الفردية والاجتماعية، ولا يدرى ما هى المنفعة الإنسانية والاجتماعية التى تقدم لأفراد الشعب المحتاجين.

ويضغط على أسنانه المعترض على سيدى أحمد ويقول فى لهفة المحترق قبله، إن النذور التى تلقى فى الصناديق فيها ضرران دينيان وضرر اجتماعى. أما الضرر الدينى فى نظره فبينه بقوله "إن ترك المسلمين يضعون النذور فى الصناديق يؤدى بهم إلى الوثنية التى تخرجهم عن دين الإسلام إلى ساحات الشرك، بهذا التعبير ينطق المعترض فيخرج المسلمين من دين الإسلام إلى ساحات الشرك بقرش يضعونه فى الصندوق – بئس هذا التعبير – وبئس هذا العلم – أما الضرر الدينى الثانى فيقول فيه حضرته ما نصه – إن أموالا كثيرة تبلغ عشرات الآلاف من الجنيهات إنما تذهب عبثا كل عام فى هذه الصناديق وبحسبك أن تعلم أن صندوق قبة السيد البدوى يدر كل عام خمسة آلاف من الجنيهات غير المصوغات والحلى هذا فى الأيام العادية ولكن فى الموالد تزيد النذور. وقد علم المعترض مما نشرته المصرى أن النذور بلغت فى مولده الكبير ثمانية آلاف من الجنيهات، ثم يقول حضرته وبلغت فى بعض السنين مائة وخمسين ألف جنيه، وعلى كل فلا أدرى هل هذا مدح أو ذم، وما هو الضرر الدينى فى هذا؟

يقول حضرته إن عشرات الألوف من الجنيهات التى توضع فى صندوق البدوى إنما تذهب عبثا فى كل عام.

لا أفهم ماذا يعنى بقوله تذهب عبثا.. هل يعنى حضرته أن الصندوق البدوى يفتح ويعده العادون ثم ترمى نقوده فى الشوارع تحت أقدام المارة والسابلة، أو هى تجمع ثم تحرق ويطرح ترابها فى الهواء، مع أنه يعلم أن نصفه يصرف فى المصالح العامة للدولة ونصفه الآخر لطلبة العلم، والخلفاء والموظفين.

أما الضرر الثالث الاجتماعى فيقول فيه، إن وضع النذور فى الصناديق يدعو الناس إلى الكسل والاستنامة وترك العمل، لأنه لم يضع نذره إلا وهو يعتقد أن الولى سينهض له بهذا العمل، ويضع عنه تكاليف أثقاله – لا أدرى ما هو العمل الذى سيتركه وينام عنه صاحب النذر؟. هل يترك الصلاة والزكاة والصوم والحج لأنه وضع قرشا فى صندوق البدوى، ويقول يقوم عنى البدوى، بحمل تكاليف الصلاة والزكاة والصوم والحج لأنى وضعت نذرا فى صندوقه، هل هذا كلام عقلاء أو مراده بالعمل

الذى سينهض به الولى هو عمل الناس فى متاجرهم ومصانعم وحقولهم، وهل يعقل هذا المعترض أن من يدفع نذرا فى الصندوق سيذهب إلى البيت وينام فيه ويترك متجره أو مصنعه أو حقله للسيد البدوى ليقوم عنه بالعمل فى متجره أو فى مصنعه أو يسرح للفلاح ببقرته أو جاموسته. لا أفهم كيف يتكلم هذا المعترض. وخير لى أن أسكت عن مناقشته وخير له أن يشطب من كتابه هذا الكلام.

كرامة البدوى

أقرب كرامة شاهدتها منه بنفسى ووقعت لى معه شخصيا وهى تدل دلالة واضحة على كرم نفسه، وحدبه على الضعفاء وتطوعه لخدمة المسلمين حسبة لوجه الله تعالى هى أنى قد أمرت ممن لا يمكننى مخالفة أمره، ومن جهة رئيسية عليا أيضا، بأن أقدم على فعل أمر من الأمور المشروعة وأن أحقق هذا الأمر على الفور وفى أقرب فرصة ممكنة لأن هذا الأمر تتوقف عليه مصلحة دينية تتعلق بى، ولكون هذا الأمر صادرا ممن لا تمكننى مخالفته، ومن جهة رئيسية عليا، ولكون مصلحتى الدينية تتوقف عليه توقفا مباشرا، شرعت فى العمل على امتثال هذا الأمر ولكنى لم أوفق للحصول عليه، فحدث بعد ذلك أن هددت بأنواع التهديد، فبذلت ما يمكننى بذله للحصول عليه، ولكن لم أوفق أيضا فوقعت بسبب تخلفى فى كرب عظيم أعجزنى وأقعدنى حتى يئست من حياتى وإذ البدوى ينبرى للدفاع عنى فأسمع الأوامر توجه إلى بأنه لابد من الامتثال، فيقف البدوى معارضا لهذه الأوامر ويقول بنبراته القوية الحاسمة "لا يمكن" كانت هذه الكلمة هى حكمه الحاسم فى هذه المسألة، فتمسك الآمرون بأمرهم، وتمسك البدوى بمعارضتهم، وفى هذه المشادة العنيفة استعمل كل طرف منهم قوته الروحية، وقدرته الربانية، فى سبيل وصوله إلى غايته، فلم يمكن أن تخرج المسألة من قبضة البدوى ووقف فيها كالطود الثاقب الراسخ لا تزحزحه قوة ولا يمكن أن يلويه أحد عن غرضه مهما حاول، وكانت النتيجة ما حكم به رضى الله عنه فكان ذلك منه كرامة تدل على تعمقه فى المعارف الربانية حتى فى الأوساط العليا من خواص الأمة

المحمدية ولما رفعت المسألة إلى رسول الله ﷺ وقف البدوى بين يديه الشريفتين يدلى بحجته فى قوة وتماسك ولم يكن الحكم من رسول الله ﷺ إلا أن أقره على رأيه، والأمر لله من قبل ومن بعد ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] حقا.إنه "ندهة المنضام" "وحجة الحيران" فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير، أما كراماته الأخرى المدونة فى الكتب فأمر يطول شرحه. وقد مر بك كثير من هذه الكرامات والبدوى ليس فى حاجة لسرد كرامات.

وفاته رضى الله عنه

أجمع المؤرخون على أن وفاته كانت يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٦٧٥ هجرية بمدينة طنطا بمنزل الشيخ شحيط حيث كان يتعبد وحيث دفن وبنى له فيه قبر: ثم بنى حوله مسجد ثم بنيت عليه قبة فريدة فى نوعها فى عهد على بك الكبير.

وكانت مدة حياته تسعة وسبعين سنة على عدد مجموع الأرقام التى تدل عليها حروف كلمة "المدد" بحساب الجمل المعروف، فالألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والدالان بثمانية، فالمجموع تسعة وسبعون سنة، وهى تعادل المدة من سنة مولده وهى سنة ٥٩٦هـ إلى سنة ٦٧٥هـ سنة وفاته. وفى هذا رمز إلى أن حياته كانت مددا عظيما أمد الله به الناس ليبعث فيهم روح الحياة والعمل الصالح فى القرن السابع بعد وفاة رسول الله ﷺ.

يدور الأسبوع على أيام سبعة فهل يستدير الزمان كل سبعة قرون

كانت مفاجأة كبرى ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، فكان هذا بحق أعظم حدث تاريخى هام من أحداث العالم التى شغلته كله بوقائعها التى لاتزال تلوكها الألسن وتتحدث بغرابتها الأجيال وفى القرن السابع من ميلاد عيسى عليه السلام فوجئ العالم بأعظم مفاجأة انفتحت لها الأسماع وانطلقت بها الألسنة، فقالوا بعث

(١) سورة النحل: ٨.

محمد ﷺ رسولا للبشرية، وداعيا لعبادة رب واحد. وإله واحد وجاء بكتاب من عند الله يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

ويظهر كل قرن سابع بعد وفاة رسول الله ﷺ قد خص بأحداث هامة فى الدولة الإسلامية خاصة وفى العالم عامة، فكان القرن السابع الذى اختتمت فيه حياة البدوى - خاتمة عهد الصليبيين؛ حيث قضى عليهم فيه قضاء مبرما، وطردوا من بلاد الإسلام إلى ما وراء البحار.

وكان القرن السابع الثانى بعد القرن السابع الأول هو القرن الرابع عشر الهجرى الذى قامت فيه قائمة المستعمرين على المسلمين والذى قضى عليهم فيه قضاءا مبرما على يد رجال الثورة العاملين، ولا يدرى إلا الله ما هى الأحداث التى يخبئها القدر للعالم بعد ٢٠٠٠ سنة من هجرة خاتم المرسلين، هذه أحداث هامة تتوالى على العالم كل سبعة قرون على نظام خاص تبتدئ مقدماتها فى السادس وتنتهى فى السابع تدل على أن الزمان يستدير عليها كلما تستدير أيامه على سبعة أيام ويأتى لنا بعجائبه على رأس كل سبعة من هذه القرون.

ولم يبق من هذه العجائب إلا عجيبة واحدة هى ذَنب هؤلاء المستعمرين المنغمس فى رمال فلسطين، وهذا الذنب هو "إسرائيل" العدوة اللدودة للعرب خاصة وللمسلمين عامة، ونرجو الله رجاء حارا أن يقطع هذا الذنب ويبتره من أساسه، ويلقى به فى أعماق البحار. ويريحنا من سمومه التى يحملها فى طياته الخبيثة التى أعدها للفتك بالعرب والاستيلاء على ديارهم ومواردهم بغير حق مشروع: إلا أننا وسعناهم وأكرمناهم بسبب عطف الإسلام ورعايته لحقوق أهل الكتاب الذين لا يعرفون جميلا ولا يعترفون بمعروف.

مخلفات البدوى

لم يترك البدوى بعد وفاته شيئا يورث عنه إلا مسبحة وعمامة وبردة وقميصا ومشطا، وكلها محفوظة فى حجرة خاصة بها بالمسجد الأحمدى بطنطا، ولا يزال خلفاؤه

يلبسون عمامته وعباءته فى مولده الكبير والعمامة هى عمامه سيدى أحمد بيده ولا تزال على حالها إلى الآن.

خليفته الأول

كان حظ سيدى عبد العال الأنصارى سعيدا، وكان فضل الله عليه عظيما، إذ هيأ له هذه المنحة التى لا يحلم بها الإنسان، فساقها إليه من بلاد الحجاز إلى طنطا نحلة اختصه الله بها من بين الناس لأنه أهل لها، وأحق بها فاختاره سيدى أحمد من بين أبنائه الذين يعدون بالألوف لطهارة نفسه وخلوص قلبه، وكان يقول له يا عبد العال لابد أن أبنى لك زاوية وحدد له موضعها فوق الكوم الأحمر بجوار بيت الشيخ شحيط، فقال له يا سيدى هذا الكوم عال علينا فقال له سيدى أحمد إنى آمر من يعاونك على إزالته، فقال سيدى عبد العال فلما لقى أستاذى ربه سألت من كلفه سيدى أحمد بهذه المعاونة فقلت له أرحنى من هذا الكوم أراحك الله، فأمر أعوانه فرفعوا الكوم وبددوه فى أقرب وقت ثم بنى الزاوية فى مكانها وعمرها ورتب فيها الفقراء والمريدين كما أشار عليه أستاذه، قال: وصرت خليفته من بعده بإذنه لى صريحا، وحسبك به من ثقة عارف بالله ضابط لوقائع أستاذه وله كرامات كثيرة ذكرها المؤرخون.

ومن كرامته الباقية أن كل حاجة عرضت عليه أولا قضيت عند أستاذه لكونه الواسطة بينه وبين أتباعه حيا وميتا، ولهذا ينبغى زيارته أولا قبل زيارة أستاذه. وقد اشتهر بأنه صاحب الشورى، وأظهر صفاته هدوء أخلاقه وإجارته لمن يستجير بحماه كأستاذه، وعطفه على الفقراء والعواجز حتى اشتهر بأبى العواجز.

أما مركزه الصوفى فقد بلغ درجة الأقطاب الكبار وفاقها، لأن الخليفة لا يكون خليفة إلا إذا كان على قدم أستاذه وشرب من مشربة، ولما كانت درجة سيدى أحمد فوق درجة الأقطاب كانت درجة خليفته تبلغ درجة الأقطاب أو تزيد، وقد عمّر رضى الله عنه عمرا طويلا ينوف عن المائة فقد خدم أستاذه أربعين سنة وكان سنه وقت أن

باشر خدمته لا تقل عن عشر سنين وعاش بعده خليفة ثمانيا وخمسين سنة وتوفى رضى الله عنه يوم السبت الموافق عشرين من ذى الحجة سنة ٧٣٣ هجرية.

وقد أدرك تسعة من سلاطين المماليك البحرية أولهم الظاهر بيبرس وآخرهم الناصر محمد بن قلاوون، كما أدرك أستاذه عشرة من سلاطين الدولة الأيوبية وسلاطين المماليك البحرية، أو أحد عشر أولهم الكامل بن العادل الأيوبى إذا كان حضور سيدى أحمد إلى طنطا سنة ٦٣٥هـ أو العادل بن الكامل إن كان حضوره سنة ٦٣٧ هجرية وآخرهم الظاهر بيبرس البندقدارى من المماليك البحرية.

خليفته الثانى

هو عبد الرحمن أخو سيدى عبد العال وكان يلقب بزين العابدين، تولى الخلافة بعد أخيه وسار سيرته فى مراعاة شئون الخلافة، وكان على قدم عظيم فى الولاية فعمَّر الزاوية وقصده الناس للتبرك، والاستشفاع به لدى الحكام، ومكث فى الخلافة عشرين سنة إلى أن توفى سنة ٧٥٤هـ ودفن بجوار أخيه، ثم خلفه من بعد أخوه على وكان يلقب بنور الدين، ومكث فى الخلافة خمسا وثلاثين سنة، وتوفى سنة ٧٨٩هـ وأعقب نور الدين هذا ولده شمس الدين ومكث فى الخلافة ثلاث وخمسين سنة وتوفى سنة ٨٤٢هـ، وأعقب شمس الدين ولده أحمد وكان يلقب بشهاب الدين ومكث فى الخلافة أربع سنوات وثلث سنةوتوفى سنة ٨٤٦، ومن بعد أحمد تولى الخلافة عبد الكريم ابن أخى أحمد ومكث فيها عبد الكريم إلى أن قتل سنة ٨٦٢هـ وكانت خلافته ست عشرة سنة وشهرين، ومن بعد عبد الكريم تولى سالم الملقب بجمال الدين، ومن بعد سالم تولى إبراهيم الشهير بالأسمر، ومن بعد إبراهيم تولى محمد الشهير بالأبيض وتوفى سنة ٩٢٢ ثم عبد الكريم وتوفى سنة ٩٦١ ثم عبد المجيد وتوفى سنة ٩٦٥ ثم أحمد الأحمدى ثم كريم الدين، ولم تزل الخلافة تنتقل فى أقارب سيدى عبد العال حتى انقرضوا فانتقلت إلى أقاربه من جهة الرحم إلى أن وصلت إلى الخلفاء الحاليين، وعدد الخلفاء فى هذه السبعة قرون ستة وعشرون خليفة من عهد سيدى عبد العال إلى الآن، كما أن أجداد

سيدى أحمد فى السبعة قرون الأولى من سيدنا على كرم الله وجهه إلى سيدى أحمد كـان سبعة وعشرين جدا فنسبة الخلفاء فى السبعة قرون الثانيـة كنسبة أجداده فـى السـبعة قرون الأولى وهذا من الاتفاقات النادرة.

الله جل جلاله

روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال "إن لله تسعة وتسعين اسمـا مائـة إلا واحـدا من أحصاها دخل الجنة"[1]، ثم قال أبوهريرة هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام إلى آخر الأسماء التسعة والتسعين، واسـم "الله" هـو أعظـم الأسمـاء التسعة والتسعين وإنما كان أعظمها لوجـوه "الوجـه الأول" أنـه يـدل علـى الـذات المتصفة بالثمانية والتسعين اسما أما غيره من الأسماء فلا يدل إلا على ذات متصلة بمعناه فقط، كالقادر والعليم والحكيم، فإنه لا يدل إلا على ذات متصفة بالقدرة أو العلم، وأمـا الله فيدل على الذات المتصفة بالصفات كلها.

"الوجه الثانى" اختصاص الحق به سبحانه وتعالى وإنه لا يسمى به أحد غيره فلم يسم أحد باسم "الله" رأسا أما غيره مـن الأسمـاء فقـد يطلـق علـى غـير الله كمـا إذا سميت حليما أو حكيما أو برا أو غير ذلك.

"الوجه الثالث" أن سائر أسماء الله توصف بأنها من أسماء الله فيقال الحكيم مثلا من أسماء الله ولا يقال الله من أسماء الحكيم.

"الوجه الرابع" أن اسم الله هو أصل الذكر، وفى الحديث "أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله"[2]. والذكر به أعظم ثوابا من الذكر باسم الحكيم مثلا. وهو أيضا أقرب إجابة من غيره فلهذه الوجوه كان هو الاسم الأعظم أو الاسم الجامع لسائر الصفات، ولهذا كان العلم الخاص على الذات الواجب الوجود المستحق

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات من صحيحه ٨/ ١٠٩ ومسلم فى كتاب الذكر من صحيحه ٦٢/٨ والتخريج فى تفسير ابن كثير ٣/ ٥١٥ طـ / الشعب.

(٢) أخرجه الضياء الكمشخانوى فى راموز الاحاديث ص ٧٧ عن الإمام مالك والبيهقى.

لصفات الألوهية المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقى الذى يفيد غيره الوجود ولا يستفيد وجوده من غيره، ولكونه أعظم الأسماء أو الاسم الأعظم كان ذكره كثيرا هو مفتاح الوصول إلى حضرة الحق تبارك وتعالى كما أشار إلى ذلك قوله والذاكرين الله كثيرا. كلما أكثر العبد من ذكر الله كلما استضاءت بصيرته واستنارت سريرته وانمحت عن قلبه ظلمات الأغيار، وانمحقت عنها غياهب الأستار، وانكشف سرائر الأسرار عن نور الأنوار جل شأنه، وعن جلال عظمة ذات الله الواحد القهار ممدا للعالم كله علويه وسفليه بأنواره التى بينها سبحانه بقوله ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١).

وقربها للأذهان بأوضح تمثيل بقوله ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ وأن من يتصور فى نفسه زجاجة مستديره كقرص الشمس كأنها فى صفائها وبهائها كوكب درى تضىء بذاتها إضاءة الكواكب الدرية ككوكب الزهرة والمشترى ونحوهما، ثم يتصور مع ذلك أن بداخل تلك الزجاجة الدرية الوضاءة مصباحًا يزيدها بأنواره الذاتية المشتعلة فيه إضاءة على إضاءتها الدرية، ويتصور أيضا أن هذا المصباح يوقد بزيت يكاد هذا الزيت أن يضىء بنفسه ولو لم تمسسه النار هذه الأنوار الثلاثة من يتصورها فى نفسه ثم يتصورها بعد ذلك منحصرة فى كوة أى طاقة غير نافذة مستديرة دورانا تاما مستويا انحصر فى تلك الكوة نور الزجاجة ونور المصباح ونور الزيت يدرك ما يعينه الله بقوله ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾(٢) يدرك نورا مضاعفا تناصرت فيه الأنوار الثلاثة، نور الزجاجة الدرية ونور المصباح الوضاء بنفسه، ونور الزيت الذى يكاد يضىء بنفسه ولو لم تمسسه النار، هذا النور المضاعف هو مثل

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) سورة النور: ٣٥.

لنور الحق الذى لا يشبهه شىء وليس كمثله شىء يهدى الله بهذا النور من يشاء من عباده الأطهار، فهو نور ظهر به الوجود كله واستمد منه كل موجود، لا يحجبك عن رؤيته إلا ماران على قلبك من آثار خطيئاتك فأوجد عليه طبقة حالت بينك وبين رؤية هذ النور كما يحول الغمام الأسود بينك وبين قرص الشمس نهارا لايمنعك من مشاهدتها إلا كثافة هذا الغمام، نعم لا يحجبك عن رؤية هذا النور إلا ماران على قلبك، كالغطاء المائى الذى يجتمع فوق باصر العين فيحجبه عن رؤية المبصرات حوله ولولا هذا الماء المتراكم على باصر العين لشاهدت الناس أمامك عيانا بيانا، ولولا ماران على قلبك من كسبك الخسيس وعملك الخبيث لشاهدت هذا النور جهارا نهارا ولشهدت بصدق ما نادى به القرآن فى كل مكان وزمان وشاهدت مواصفاته حقيقة مرئية ماثلة أمام عينك بدون تأمل ولا تجوز فتعلم أن الله معك أينما كنت، وتعلم أنه جل شأنه رابع لكل ثلاثة يتناجون، وخامس لكل أربعة يتحدثون، وسادس لكل خمسة يتآمرون، ومتمم لأى عدد أقل من ذلك أو أكثر كيفما يكون، فما كان القرآن يقول ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[1] إلا وهو يعنى ما يقول، وما كان القرآن يقول ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[2] إلا وهو يعنى ما يقول.. يعنى حقا أنك أينما وليت فلا ترى ببصيرتك أمام وجهك إلا وجه الله كما ترى الشمس أمام عينيك أينما وليت وجهك فى رابعة النهار، ويعنى حقا أنك أينما كنت فالله معك كما أنك أيضا كنت ترى الشمس لا تفارقك أبدا إلا إذا غابت عنك والله حاضر لا يغيب، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[3] فاللهم ارزقنا الأدب فى معيتك والمراقبة الدائمة لحضرتك ولا تكتبنا فى عداد الغائبين عن مشاهدتك الغافلين عن مراقبتك، ولو عملت على إزالة هذا الران عن قلبك وإزالة الحجاب الحاجز لنفوذ بصيرتك بما وصف الله لك من أدوائه

---

(١) سورة البقرة: ١١٥.

(٢) سورة الحديد: ٤.

(٣) سورة البقرة:

وأرشدك إليه من ذكر الله ودعائه لشاهدت فعلا أن ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ولعاينت حقا أن مثل نوره كمثل المشكاة المشتملة على هذه الأنوار المتناصرة بذواتها الساطعة بنفسها اللامعة بأنوارها.

يقول أبو هريرة فى بقية الحديث المتقدم من أحصاها وفى رواية البخارى من حفظها أى التسعة والتسعين اسما دخل الجنة والإحصاء يحتمل وجوها أربعة.

"أحدها" أن يحصيها عدا وسردا فلا يقتصر على بعض الأسماء بل يدعو الله بجميعها، ويثنى عليه بها كلها فيستحق الثواب المترتب عليها وهو دخول الجنة إن كان من المؤمنين.

"وثانيها" أن يحصيها علما وإحاطة فيحيط علما بتفاصيلها ومعانيها التى تدل عليها. فيعلم أن المتكبر مثلا هو الذى يرى الكل حقيرا بالإضافة إليه. ولا يرى العظمة والكبرياء مستحقة وجوبا إلا إليه سبحانه وتعالى، ويعلم أن الخالق هو الموجد للمخلوقات على وفق تقدير سابق وأن معنى خلق الإنسان مثلا معناه أوجده بعد أن قدر ما منه وجوده وهو الماء والتراب معا لا الماء وحده لأنه رطب لا ينتصب ولا يتماسك ولا التراب وحده لأن يابس محض لا ينثنى ولا ينعطف فى الحركات، ولا هما معا من غير مزج لأنه ينفصل ولا يتماسك أيضا بل لابد من أنه تعالى يقدر له حرارة طابخة حتى يستحكم مزاج الماء بالتراب ويكون صلصالا كالفخار، وهو الطين المحرق ولابد أيضا من تقدير أن الماء والطين يكونان بمقدار خاص مناسب لأنه إن صغر جدا تسفيه الرياح، وإن عظم جدا ضاقت به السبل وهكذا القول فى سائر أسمائه لابد أن يحصيها علما وإحاطة فيحيط بمعانيها التى تدل عليها كما قدمنا.

"وثالثها" أن يحصيها عملا واعتبارا فيعتبر بمعانيها ويعمل بمقتضاها ويلزم نفسه بواجبها، فإذا قال الرازق مثلا وثق بأن الله سيرزقه لا محالة، وإذا قال الحكيم مثلا سلم جميع أموره إليه سبحانه وتعالى لأن جميعها جارية على مقتضى الحكمة البالغة.

"ورابعها" أن يحصيها تخلقا وتحققا فيتخلق بأسمائه تبارك وتعالى ويتحقق بصفاته كما ورد "تخلقوا بأخلاق الله" ومن ضرورة المتخلق بأسمائه والمتحقق بصفاته أن يعرف خواصها وأسرارها فى الكون فلا يمر على موجود إلا يظهر له فيه معنى تلك الأسماء ويعرف فيه خواصها، ومظهر كل صفة من صفاته تبارك وتعالى. وإحصاؤها على هذا الوجه الأخير هو مرتبة الأنبياء والصديقين - إما إحصاؤها عملا واعتبارا فهو مرتبة العاملين وإحصاؤها علما وإحاطة فهو مرتبة العالمين - بكسر اللام - والإحصاء على الوجه الأول هو مرتبة عامة المؤمنين، والمرجو من كرم الله وفضله أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب الأربعة المتقدمة مع الإيمان وصدق النية أن يدخله الجنة فى السابقين الأولين أو فى زمرة العلماء أو العاملين أو فى زمرة أصحاب اليمين.

محمد رسول الله

قلنا إن مفتاح الوصول إلى حضرة الحق هو ذكر اسم الله الأعظم كثيرا وبصفة مستديمة، أما مفتاح الوصول إلى رسوله ﷺ فتجده فى التمسك بكتاب الله تعالى، وبالتمسك بسنن الرسول ﷺ. فبالعمل بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله وبالتخلق بأخلاقهما تتصل برسول الله ﷺ اتصالا مباشرا "لا يمنعك عن مشاهدته حجاب: ولا يسترك عن رؤيته أى باب، وكلما تخلقت بآداب القرآن وتمكنت فى العمل بأحكامه فضل تمكن كلما دنيت من حضرته وفزت بمشاهدته وشربت من منهله، لأن هذه هى الطريقة التى كان عليها النبى ﷺ وكان عليها أصحابه وخلفاؤه من بعده طريقة العمل بكتاب الله وبسنة رسوله وإذا اتصلت بحضرة الرسول سلكت مسلكه فى معرفة ربه تبارك وتعالى سلوكا منطبقا على أحكام القرآن وتعاليمه بعيدا عن نزعات القول بوحدة الوجود، أو القول بما يشبه الحلول أو يشبه الاتحاد أو نحو ذلك مما تسمعه فى كلام العارفين بربهم عن طريق ذكر أسمائه تبارك وتعالى وربما كان الوصول إلى معرفة الله عن طريق الذكر بالأسماء أبعد أثرا، وأعمق غورا، وأقوى نورا، وأوضح كشفا وربما

كان الوصول إلى معرفة الله عن طريق العمل بالكتاب والسنة أقعد وأثبت وأبعد عن الزلل والوقوع فى تلك النزعات.

وليست هاتان الطريقتان الموصلتان إلى الله ورسوله- أعنى طريقة الذكر، وطريقة العمل بالكتاب والسنة – منفصلتين عن بعضهما انفصالا تاما من كل وجه كما قد يبدو فى بادئ الرأى، بل هما متلازمتان ولا ينفكان عن بعضهما، فلابد للسالك عن طريق ذكر الله من العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ولابد للسالك عن طريق العمل بكتاب الله وسنة رسوله من ذكر الله أيضا. وإنما عدتا طريقتين باعتبار غلبة إحدى الطريقتين على الأخرى. فإذا تغلب جانب الذكر على جانب العمل كان الحكم للذكر وإذا تغلب جانب العمل على جانب الذكر كان الحكم للعمل، فالطريقتان متلازمتان ويعرض الانفكاك لهما بالغلبة المتقدمة، ومزية الأولى الاتصال بالله مباشرة "ومزية الثانية الاتصال برسول الله ثم بالله عن طريقه ﷺ، وإذ قد وصفنا لك الطريقتين فاختر لنفسك ما يحلو، جعلنا الله من المتحققين بما وصفوا لاممن وصفوا ولم يتحققوا".

عبادة الله

العبادة فى اللغة الذلة والخضوع، يقال طريق معبد أى مذلل وناقة معبدة أى مذللة ونفس معبدة أى مذللة وخاضعة. وفى الشرع طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه مع أقصى غاية الخضوع والتذلل، فكل ذلة عبادة لغوية، كذلة المحكوم للحاكم وذلة الولد لأبيه وذلة الزوجة لزوجها، وذلة العبد العاصى للولى الطائع.

كل هذه الأمثلة تسمى عبادة لغوية ولا يعاقب فاعلها عليها وإن أوقعها لغير الله تعالى لأنها ليست عبادة شرعية، وإنما العبادة التى يعاقب فاعلها عليها إذا أوقعها لغير الله هى العبادة الشرعية، وقد علمت أن العبادة فى الشرع هى طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه مع أقصى غاية الخضوع والتذلل – فإذا أوقعت طاعة الله فيما أمرك به صلاة وصوم وحج بأن صليت لغير الله أو صمت لغير الله أو حججت لغيره أو نذرت لغير الله بأن أردت القربة لغير الله بنذرك، فقد عبدت ذلك الغير واستوجبت عقاب الله على

إيقاع هذه العبادة لغير الله.

هذان أصلان يجب على كل مسلم أن يحفظهما ويعلمهما: الأصل الأول أن كل ذلة لغير الله ليست عبادة يعاقب عليها، والأصل الثانى أن عبادة غير الله لا تتحقق إلا إذا أوقعت طاعته فيما أمرك به من سجود أو ركوع أوقعته إلى غيره كالسجود والركوع للأصنام أو لأى أحد من مخلوقاته تبارك وتعالى.

ومعنى ذلك بطريق أقصر هو أن عبادة غير الله لا تتحقق إلا إذا أوقعت المعنى الشرعى للعبادة أوقعته لغير الله إذا علمت ذلك فاعلم أن قول بعض المعترضين على السيد البدوى إن وقوفك بين يديه بذلة وانكسار عبادة له كذب وافتراء، وقولهم إن طلب معاونته لك عبادة له كذب وافتراء، وقولهم إن نداءك له وطلبك لأى مصلحة منه عبادة له كذب وافتراء، وقولهم إن النذر له عبادة كذب وافتراء وقد قدمنا فيما كتبه الفقهاء فى النذور للأموات أن النذورلهم صحيحة حيث أريد بها قربة لله كصرف النقود المنذورة أو إطعام الذبيحة المنذورة للفقراء والمساكين والخدم ونحوهم - وإنما كان هذا ونحوه كذبا وافتراء لأنك قد علمت أن عبادة غير الله هى إيقاع طاعة الله فيما أمرك به ونهاك عنه لغير الله وليس فى شىء مما تقدم ذكره إيقاع طاعته فيما أمرك به ونهاك عنه لغير الله فكانت ادعاءاتهم كلها كذبا وافتراء، وكأن هؤلاء المعترضين أصيبوا بنوبة اسمها عبادة فكل كلمة يتكلم بها الزائر للولى يسمونها عبادة لغير الله وكل معنى للعبادة يسمونها عبادة لغير الله وجهلوا أن عبادة غير الله هى إيقاع الطاعة المأمور بها لغير الله فوقعوا فى هذا الجهل المبين.

زيارة قبر الرسول - وقبور الأولياء والقبور العادية

زيارة القبور العادية سنة لحديث صحيح رواه أحمد عن على بن أبى طالب أن رسول الله ﷺ قال "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة" فشرع الرسول زيارة القبور العادية لما فيها من تذكر الآخرة، فإن الزائر إذا تذكر أن أصحاب هذه القبور كانوا مثله يملأون العيون والمجالس بهجة وسرورا ثم انقلبوا إلى

هذه الحالة الذليلة يفترشون الأرض، ويتوسدون التراب، وأنهم أصبحوا رهناء أعمالهم التى قدموها فى الدنيا إن خيرا فخير وإن شرا فشر، حمله ذلك التذكر على الزهد فى الدنيا والاستقلال منها. وعدم الاغترار بها، وأقبل على طاعة الله وطلب الآخرة ما دام مآله لا محالة إن عاجلا وإن آجلا مآل هؤلاء المزورين.

أما زيارة قبر الرسول فقد ورد فيها أحاديث كثيرة، منها: "من حج ولم يزرنى فقد جفانى"، ومنها: "من وجد سعة ولم يزرنى فقد جفانى"، ومنها: "من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى"[١]، ومنها: "من زار قبرى وجبت له شفاعتى".

فالحكمة فى زيارة قبر الرسول ليست هى الحكمة فى زيارة القبور العادية لأن الحكمة فى زيارة القبور العادية أنها تذكر الآخرة. وأما حكمة زيارة قبر الرسول فقد بينها الرسول نفسه بقوله من زار قبرى وجبت له شفاعتى.

إذن يكون الغرض من زيارة قبر الرسول هو حصول الزائر على فضل من الله يناله من هذه الزيارة فزيارة الرسول لتحصيل منفعة تعود على العبد من زيارته ﷺ كحصول شفاعته لزائره كما أخبر عليه الصلاة والسلام، وكحصول رضاه عنه ومنحه شيئًا من بركاته ودعائه عليه الصلاة والسلام لزائره واستغفاره له ونحو ذلك - وليس الغرض من زيارة الرسول أن ندعو له وأن نستغفر له كما يفهم هؤلاء المعترضون قياسا منهم لزيارته على زيارة القبور العادية فإنه عليه الصلاة والسلام لم يدْعُونا لزيارته لندعو له بل ليمنحنا عطاياه وإنعاماته التى أنعم الله بها عليه وأفاضها عليه من كل ما تجود به نفسه وتقتضيه سجاياه الكريمة.

هذه هى الحكمة التى من أجلها حثنا رسول الله على زيارة قبره الشريف، وهذه الحكمة بعينها تجرى فى زيارة الأولياء والصالحين، فإن الأولياء والصالحين ليسوا فى حاجة إلى دعاء هؤلاء الجهلة واستغفارهم لهم كيف وقد قربهم الله من حضرته، وأدناهم من رحمته وأفاض عليهم من بركاته وألحقهم بالأنبياء والمرسلين وجعلهم فى

---

(١) أخرجه الضياء الكمشخانوى نحوه عن البيهقى فى شعب الإيمان انظر راموز الأحاديث ص ٤٣٣.

معيتهم بنص القرآن الكريم - إذن يكون الغرض من زيارة قبور الأنبياء والصالحين هو حصول الزائرين على فضل من الله تعالى ينالهم من زيارتهم لهم كحصول رضاهم ومعاونتهم لهم، ومنحهم شيئا من بركاتهم، ودعائهم لهم بقضاء حوائجهم، والحصول على مصالحهم ونحو ذلك، وبهذا تعلم الفرق بين زيارة القبور العادية وزيارة قبر الرسول وزيارة قبور الأولياء والصالحين.

الرحلة لزيارة الرسول وزيارة الأولياء الصالحين

اختلف العلماء في أنه هل تندب الرحلة لزيارة القبور كما اعتيدت الرحلة لزيارة خليل الرحمن وأولاده.

وزيارة السيد البدوى وغيره من أكابر الأولياء والصالحين، منعها بعض أئمة الشافعية إلا لزيارة الرسول ﷺ قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة، ورد ذلك الغزالى بوضوح الفرق فإن ما عدا المساجد الثلاثة مستوية فى الفضل فلا فائدة فى الرحلة إليها. وأما الأولياء فهم متفاوتون فى القرب من الله تعالى وفى نفع الزائرين بمعارفهم وأسرارهم.

وقال ابن حجر: ولا تترك الزيارة لما يحصل عندها من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء لأن القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع بل وإزالتها إن أمكن - ويؤيده الاتفاق على عدم ترك إتباع الجنازة وإن كان معها نساء ونائحات ويؤيد الرحلة لزيارة الصالحين أن زيارة القبور مندوبة والرحلة لتحصيل المندوب مندوبة.

الدعاء والقراءة للأموات وإهداء ثوابها لهم

ورد من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات، وفى الحديث "من قرأ الإخلاص إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات" وقد صرح العلماء فى باب الحج عن الغير أن

للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها، وقالوا الأفضل لمن يتصدق نفلا أن ينوى لجميع المؤمنين والمؤمنات، فإنها تصل إليهم ولا ينقص من أجره شيء وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، واستثنى مالك والشافعى العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة فلا يصل ثوابها إلى الميت عندهما - والذى حرره المتأخرون من الشافعية وصول القراءة للميت إذا كانت بحضرته أو دعى له عقبها ولو غائبا، وقال بعض الحنفية من صام أو صلى أو تصدق وجعل ثوابه لغيره من الأحياء أو الأموات جاز - ومنع ابن تيمية إهداء ثواب القراءة للنبى ﷺ لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه إلا بما أذن فيه - وهو الصلاة عليه وسؤال الوسيلة له - وبالغ ابن السبكى فى الرد على ابن تيمية بأن مثل ذلك لا يحتاج إلى أذن خاص لأن ابن عمر اعتمر عن النبى ﷺ عمرا كثيرة.

وحج ابن الموفق عن النبى ﷺ سبعين حجة، وختم ابن السراج عنه ﷺ أكثر من عشرة آلاف ختمة وضحى عنه مثل ذلك.

وأما الدعاء للأموات فلم يخالف فى نفعه أحد لثبوته بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (1).

ملحق فيما شاهدته من كرامات بعض الأولياء بنفسى

للأولياء كرامات لا يجحدها إلا جاحد. ولا ينكرها إلا معاند، وقد أحببت فى هذا الملحق أن أذكر منها ما باشرته بنفسى وشاهدته بعينى ليكون عظة واعتبارا للمنكرين، وتبصرة وذكرى لقوم يؤمنون، وهذه الكرامات التى شاهدتها قصة استغرقت وقائعها أربع سنوات تبتدئ من سنة ١٩١٥ ميلادية وتنتهى سنة ١٩١٨، وتتلخص هذه القصة فى أنى كنت طالب علم بالقسم العالى بالسنة التاسعة سنة ١٩١٥ وعلمت أن بعض

(١) سورة الحشر: ١٠.

العلماء وعلى رأسهم شيخ الجامع الأحمدى "الشيخ الأحمدى الظواهرى" حينذاك يترددون على زيارة ولى كبير من أولياء الله تعالى يدعى "السيد محمد أفندى الشريف" فتاقت نفسى إلى أن أتردد مثلهم على زيارته، فذهبت إليه مع زميل لى يدعى "الشيخ محمد قاسم" وكان على جانب عظيم من العلم كما كان على جانب من التقوى أيضا فلما وقع بصرى على الشيخ أحببته حبا عظيما "وأحبنى هو الآخر حبا عظيما" وكان طاعنا فى السن يناهز التسعين عاما - كما كان مقعدا لا يستطيع أن يجلس بنفسه فأما القيام على قدميه فلا يستطيعه بحال من الأحوال - فدعانى إلى زيارته كل أسبوع فلبيت دعوته فمكثت أتردد عليه كل أسبوع مرة، ومكثت على ذلك مدة طويلة ثم دعانى لزيارته كل أسبوع مرتين ثم كل يوم مرتين فى آخر حياته، وقد شاهدت منه خلال هذه الزيارات فى تلك السنوات المعدودات مئات من الكرامات، وسأقص على القارئ بعضا منها كشهادة على صحة وقوع الكرامات من الأولياء وليزداد القارئ بها إيمانا وهديا واستبصارا.

فمن كراماته رضى الله عنه

أن والد زميلى مرضت إحدى عينيه مرضا حادا، وكان مقيما بالأرياف، فشكى زميلى إلى الشيخ وهو بطنطا حدة المرض فى عين والده ورجاه أن يدعو له بالشفاء، فلم نشعر إلا وعين الشيخ نفسه ترمد فى الحال وتنتفخ حتى تكبر كالبيضة الصغيرة، ثم تنهمل منها الدموع ثم تحمر ثم تعود إلى حالتها الأولى فى دقائق معدودات ثم قال لزميلى ها هى عينى قد مرضت كما ترى ثم سأله هل عين أبيك المريض هى اليمنى أو اليسرى، وكانت اليمنى فأجابه الشيخ محمد بأن العين المريضة هى اليسرى خطأ - فقال له الشيخ ولكن عينى اليمنى هى التى مرضت، فتذكر زميلى وضع أبيه فى جلسته فعلم أنها اليمنى فاستدرك وأخبر الشيخ بأنها اليمنى - فقال له الشيخ الحمد لله قد زال كل شىء فسافر زميلى من طنطا إلى والده فوجد عينه سليمة قد زال عنها المرض تماما بما حمله الشيخ عنه من المرض فكان ذلك كرامة عجيبة من كراماته، وليس من السهل على

الإنسان أن يتصور كيف انتقل المرض من عين شخص إلى عين شخص آخر بهذه الصورة الغريبة مع ما بينهما من البعد الشاسع، ولا يسعنا بعد المشاهدة الحسية إلا التسليم والإيمان بكرامة الأولياء.

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى كنت جالسا عنده يوما بعد صلاة العصر، ومعى شقيقى وكان طالب علم أيضا. وكان الشيخ لم يعرف والدى من قبل ولم يتقابل معه، فسألنى هل يلبس والدكم تحت عمامته لبدة حمراء فأجبناه بأنه لا يلبس لبدة حمراء أبدا، ثم سكت قليلا وقال قوما الآن وقابلا والدكما على المحطة فقلنا له إن قطار المنصورة الذى يصل طنطا من جهتنا إنما يصل فى الساعة الواحدة والثلث بعد الظهر ولا يمكن أن يحضر أحد من جهتنا عادة إلا فى هذا الميعاد. فقال: قوما الآن وقابلاه وكنا بعد العصر. فانصرفنا من بين يديه فأما أنا فلم أذهب إلى المحطة لعلمى بأنه لا يحضر أحد من جهتنا عادة بعد العصر فانصرفت إلى المسجد الأحمدى، وأرسلت أخى إلى المحطة امتثالا لأمر الشيخ فإذا هو يحضر إلى المسجد بوالده، فسألته عن السبب فى مخالفته عادته فى الحضور إلى طنطا فى هذه المرة؟ فقال إنى كنت بالمنصورة لتسجيل شروط مبايعة ثم عنَّ لى أن أبيت معكما بطنطا، فنظرت إلى رأسه فوجدت تحت عمامته طاقية من الوبر الأحمر، وهذه هى التى كان يسميها الشيخ لبدة حمراء فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى كنت فى زيارة له مع زميلى ومع زميل آخر هو ابن أخى الشيخ نفسه. فعن للشيخ أن يقضى حاجته وكان يقضيها فى قصرية فى نفس الحجرة وعلى سريره وهو على جنبه، فأمرنا بالانصراف على أن نعود بعد نصف ساعة، فخرجنا نمشى على ترعة الجعفرية التى كانت تخترق مدينة طنطا فتراءى لزميل أن يشتريا "السندوتش" وأكلاه أما أنا فرأيت أن ذلك مُخِلٌّ فامتنعت عن الشراء والأكل، ثم عدنا إلى الشيخ وعندما

دخلنا عليه مسلمين فاجأنا بقوله أنا أعلمَ أن أحمد لا يأكل فى الطريق أما أنتما فتـأكلان فى الطريق فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أن أحد وكلاء عائلة أبو جازية "بأبو الغر" حضر إلى الشيخ وشكى إليه أن موكلـه من عائلة أبو جازية لم يعطه أجرة عمله التى تكون منها عنـده ١٥٠ جنيهـا وعزلـه مـن الوكالة فرفع عليه دعوى فى طنطا بـالمبلغ وجلـستها غـدا ثـم قـال للـشيخ ادع الله أن أكسب القضية. فقال الشيخ غـدا سيحكم لـك القاضـى بمائـة وخمسين جنيهـا وبمائـة وخمسين قرشا بصفة مصاريف، فحضر الجلسة غـدا، وإذا بالقاضـى يحكـم علـى "أبـو جازية" بمائة وخمسين جنيها وبمائة وخمسين قرشا مصاريف، فكانت دهشة الشيخ محمـد جاد وكيل "أبو جازية" عظيمة. فجاء إلى الشيخ يشكره على ذلك فكانـت منـه كرامـة رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أن الشيخ إبراهيم الكاشف حضر إليه ومعه رجل فقير ليس له إلا ولد واحد وقـد ظلمه العمدة. فأرسله إلى السلطة فى حرب الإنجليز ضد الأتراك حينذاك، ورجا الشيخ فى إطلاق سراح ابنه الذى تعمد العمدة إرساله إلى السلطة ظلما وعـدوانا، فلمـا فـرغ من شكواه سكت الشيخ قلـيلا، ثـم قـال لـه إذا أطلـق الله سـراح ولـدك فـاذبح شـاة وأطعمها للفقراء، ولا تدع إليها الأغنياء، ثم أمره أن يقوم على الفور ويذهب إلى مركز طنطا ليأخذ ولده من المركز ويذهب به إلى بلده فتقاعس فى المبادرة بالقيام ظنـا منـه أن الشيخ يريد صرفه من أمامه بأى طريقة، فاشتد الشيخ عليه وطلب منه القيام على الفور ليأخذ ولده من المركز فخرج إلى المركز فوجد ولده عند وصوله خارجا من باب المركز، فسأله عن السبب فى خروجه فقال له أمرنى الرئيس بالانصراف إلى بلدتى بدون سبب وقال لى "روح روَّح بلدك" فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

ان الإنجليز فى سنة ١٩١٨ دخلت فئة منهم مدينة طنطا وعسكروا فيها فانزعج الناس منهم، فعز ذلك على الشيخ فقال لابنه "السيد أمين الشريف" سر فى الطريق خلف الإنجليز وقل لهم فى سرك ولا ترفع صوتك "أبى يقول لكم اخرجوا من طنطا" ففعل ذلك وفى اليوم الثانى حزمت هذه الفئة أمتعتها وخرجت من طنطا فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه.

ومن كرامته رضى الله عنه

أنه لقننى كيفية زيارة الأولياء، فقال لى إذا أردت زيارة أحد من الأولياء فقل قبل أن تدخل الضريح أستغفر الله العظيم إحدى عشرة مرة، فإذا دخلت فإن كنت ترى الولى فتوجه نحوه وقل لا إله إلا الله إحدى عشرة مرة وفى الحادية عشرة محمد رسول الله لأن روح الولى ربما تكون مشغولة فى مكان آخر فتحضر فى الحال عند ذكر لا إله إلا الله، ثم بعد ذلك قل السلام عليك يا سيدى فلان ثم اقرأ الصمدية إحدى عشرة مرة ثم قل اللهم تقبل منى هذه القراءة واجعل ثوابها فى صحيفة سيد المرسلين ﷺ وثواب مثل ذلك لأرواح أبينا سيدنا آدم وأمنا سيدتنا حواء ومن ولدا من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وثواب مثل ذلك لآل بيت النبي وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته ﷺ ورضى الله عنهم وعنا بهم ونفعنا الله بهم فى الدنيا والآخرة، وألحقنا بهم فى الدارين آمين وثواب مثل ذلك فى صحيفة الولى الذى تزوره ثم من تحب ثم قل "شىء لله من المدد" يا سيدى فلان إحدى عشرة مرة ثم تطلب من الله حاجاتك الدنيوية ثم الأخروية - وكنت أتقبل منه ما يقوله بقلب سليم إلا أنى كنت أحب أن أتأكد مما يقوله لى فكنت أدخل عليه وهو نائم فأجلس فى صمت وسكون ثم أشرع فى تلاوة هذه الزيارة لأنظر هل تحضر روحه عند ذكر لا إله إلا الله - كما يقول لى فى كيفية الزيارة -فأقول فى سرى لا إله إلا الله

وفى المرة الثالثة أو الرابعة ما أشعر إلا وقد انتفض بدنه وقام من نومه فزعا كالمنزعج من شىء يخيفه فأقبل يده وأسلم عليه - وقد كنت أوقظه وهو مغشى عليه فى سكرات موته بهذه الطريقة فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى تقدمت لشهادة العالمية سنة ١٩١٩ م وكنت مشغولا عن المذاكرة بكثرة زيارته لأنه أخيرا أمرنى بملازمة زيارته فى اليوم مرتين فكان إخوانى يؤنبوننى على ترك المذاكرة والاشتغال بزيارته حتى تأثرت من كلامهم فقلت للشيخ إن النجاح بيد الله بلا شك وأنا لم أذاكر إلى الآن وبقى ثلاثة شهور على الامتحان وهى لا تكفى للمذاكرة، وأنا أريد أن أمر على العلوم لأستأنس فى إجابتى بهذا المرور وإن كان النجاح بيد الله كما قلت. فقال لى إن (أستأنس) كلمة المحامين فهل أنت محام؟ ثم قال لى اعلم أن الله سيوجد لك وقتا متسعا تذاكر فيه علومك وزيادة، فسلمت له قوله وبقيت على زيارتى له فى اليوم مرتين وعطلت المذاكرة ولم أسمع لكلام إخوانى. ولما ذهبنا من طنطا إلى الأزهر لأداء الامتحان فوجئنا بالإضراب العام سنة ١٩ فتأخر الامتحان إلى سنة ٢٠ وبذلك وجدت وقتا متسعا لمذاكرة علومى وزيادة، فكان ذلك منه كرامة.

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى لما أردت الامتحان لشهادة العالمية قال لى الشيخ من الذى تريد أن يكون معك فى الامتحان؟ فقلت الذى تختاره هو ما أريد فقال أتريد أن يكون معك النبى ﷺ فقلت نعم أريد ذلك ثم قال ومن الذى تختاره أن يكون مع النبى ﷺ، فقلت ما تختاره أنت فقال أتحب أن يكون معه سيدنا على فقلت نعم أحب ذلك فقال إن شاء الله يكون ذلك. ثم استدرك بعد يومين على اختيار سيدنا على بقوله "إنما اخترت سيدنا عليا لأن النبى ﷺ قال: "أنا مدينة العلم وعلى بابها" . وكان يظهر عليه الأسف وهو يقول ذلك، وكأنه عوقب فى تخطيه اختيار سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان إلى اختيار

سيدنا على من بينهم، هكذا فهمت من ملامح وجهه.

ثم توفى رضى الله عنه قبل دخولى الامتحان، ولما جاء يوم الامتحان رأيت فى صبيحته أن نورين عظيمين قصدانى وأنا بالقاهرة وجاءا إلى حتى دنيا منى ثم استيقظت ودخلت الامتحان فى ذلك اليوم ولما جلست فى اللجنة وكان رئيسها الشيخ عبد الحكيم عطا شرع الشيخ عبد الحكيم يروى للجنة قصة طريفة فهمت منها مائة فى المائة أنه يريد اسقاطى فى الامتحان فقال فى قصته - فى العام الماضى حضر أمامى فى اللجنة طالب يشبه هذا الطالب فى الشكل والسن واللون، وكان سنى إذ ذاك أربعا وعشرين سنة فأعطيناه شهادة العالمية، وبعد ذلك ظهر لنا أنه "مغناوى" يغنى للناس بأغنيات لا تتناسب مع كرامة العلم والعلماء، ويسمعهم "مواويل" وهم يسمعون له ويعجبون من مواويله، فاضطررنا لأن نسحب منه شهادة العالمية.

وعلى الرغم من أنى فهمت غرضه لم أعبأ بقصته ولم أعرها التفاتة بل أنى ضحكت من رواية هذه القصة فى هذا المقام بالذات، فاستجمعت قواى وانتظرت ما يلقيه الشيخ عبد الحكيم من أسئلته التى يتحدث الأزهر كله بصعوبتها وتعقيدها وكثرتها. وكان ثرثارا فى الأسئلة وشديدا فيها هو والشيخ دسوقى العربى والشيخ عبد المعطى الشرشيمى رحمة الله تشمل الجميع، وبعد أن قص الشيخ عبد الحكيم قصته لم نشعر إلا بمفتاح النور قد انفتح وحده وبدون أن يحركه أحد. فامتلأت الحجرة بأنوار المصابيح الكهربائية التى كانت تجمعها نجفة واحدة فوق رأس اللجنة فخر الجميع برءوسهم نحو الأرض على أثر مفاجاة هذه الأنوار لهم، ففهمت أن هذه الحالة عنوان على مقدم رسول الله ﷺ، فثبَّتَ الشيخ عبد الحكيم رَوعَ اللجنة من هذه المفاجأة وأخذ يسألنى أسئلة لا أكاد أحصيها فكنت أجيبه عنها جميعا. وأحيانا أقلبه مسئولا وأنقلب أنا سائلا فكان الرجل يعجب من ذلك حتى أنه قال أقسم بالله العظيم يا ولدى ما غلبنى أحد فى الأزهر إلا أنت، ثم قال لى والله يا ولدى إنك لأعلم منى. وليس من المعقول أن يكون قسمه هذا وقوله هذا صحيحين، وإنما حصل هذا القول وصدر هذا القسم ببركة النبى ﷺ فكان ذلك كله من أكبر الكرامات التى تسجل للشيخ بالفخر والإعجاب.

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه قال لى إن حضرة الرسول زارنى الليلة، ومعه نفر من أصحابه لم يعينهم لى، ثم التفت الرسول إلى هؤلاء النفر. وقال لهم تزودوا من أخيكم يعنى صلوات الله وسلامه عليه بذلك أن يأذن لأصحابه فى أن يطلبوا من الشيخ دعوة صالحة ينتفعون بها عند ربهم. وهذا تواضع منه ﷺ، كما قال لسيدنا عمر وهو ذاهب لحج بيت الله الحرام لا تنسنا من دعائك يا أخى - كما أنه تكريم للشيخ وإظهار لفضله عند أصحابه وهذا من أفضل كرامات الشيخ رضوان الله عليه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أن عشرة من زملائى فى الفصل أرادوا تحويل أسمائهم من معهد طنطا إلى معهد الإسكندرية الدينى؛ ظنا منهم أن طلب العلم فى معهد الإسكندرية الدينى أنفع منه فى الجامع الأحمدى، فذهبوا إلى الشيخ لاستشارته فى هذه النقلة، فلم يرض عن ذلك ومنعهم منها ولما وجدهم مصممين على هذه النقلة لأنهم فعلا طلبوا تحويل أوراقهم قال لهم اذهبوا إلى معهد الإسكندرية بشرط العودة إلى الجامع الأحمدى ثانيا، ثم قال لهم إذا ذهبتم إلى معهد الإسكندرية فزوروا "السيد محمد الشريف" واسمه مماثل لاسم الشيخ وهو فى مجموعة الأولياء العشرة المقامة أضرحتهم بين السيد "أبو العباس المرسى" وبين سيدى "ياقوت العرشى" وإذا وقفتم على الشباك المطل على مقبرة السيد محمد الشريف فأول كلمة تسمعونها وأنتم وقوف على الشباك اعملوا بمقتضاها، فذهب هؤلاء العشرة لزيارة السيد محمد الشريف ولما اصطفوا على الشباك ظهرت لهم سيدة فقالت لهم جميعا ما نصه "جايين هنا ليه يا كسفة". فلما سمعوا أول ما سمعوا هذه الكلمة انصرفوا فورا حاملين أمتعتهم إلى المحطة، ثم إلى طنطا، ثم طلبوا أوراقهم من معهد الإسكندرية، والتحقوا ثانيا بالجامع الأحمدى وأتموا معنا دراستهم فكان ذلك من أعجب الكرامات رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أننى وجميع زملائى بالفصل لما أردنا أن نتقدم لامتحان شهادة العالمية سنة ١٩١٩ ذهبنا إليه ليبشرنا بالنجاح، فكان يقول أنت يا فلان لا حاجة لك بأخذ العالمية لأنك صاحب مزرعة ومن الأغنياء، فتقدم للامتحان وسقط فيه ولم يأخذ شيئا، وأنت يا فلان لا تأخذها فى هذا العام فسقط وأخذها فى العام الذى بعده، وهكذا أخبر جميع إخوانى فى الفصل، الناجح يخبره بأنه سينجح والساقط يخبره بأنه سيسقط، فكان الأمر كما قال لهم واحد واحد. أما أنا وزميلى فقال لنا: "ناجحون، ناجحون، ناجحون، ومن عاداكم كاسدون، كاسدون، كاسدون" . فكان كما قال رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه أوصى الشيخ الأحمدى الظواهرى - وكان شيخا للجامع الأحمدى - بأن يشملنى برعايته، وقال له "إن الذى يرضى أحمد يرضينى، والذى يغضب أحمد يغضبنى فاستوص به خيرا فقال نعم إن شاء الله - ثم توفى الشيخ - وعين الشيخ الظواهرى شيخا للإسلام - ولما أخذت شهادة العالمية وكان ترتيبى بين المتخرجين هو "السادس" كانت العادة المتبعة أن يوظفوا العشرة الأوائل بلا شرط ولا قيد غير أن الذى حدث هو أنهم وظفوا صاحب الترتيب الأول والثانى والثالث والرابع والخامس - ثم أوقفوا التعيين فى الوظائف بالأزهر نظرا لحدوث أزمة اقتصادية فى الدولة على عهد صدقى باشا رئيس الوزراء حينذاك فنبه بالتليفون على شيخ الأزهر بإيقاف التعيين فى الوظائف إطلاقا حتى تنتهى هذه الأزمة، وبقيت الأزمة عشر سنوات لم يعين فيها موظف واحد فى الأزهر، ولما لم أعين فى هذه المدة الطويلة، وكان دور التعيين واقفا عند ترتيبى السادس قلقت قلقا شديدا على مستقبلى فى العلم، وكانت نفسى طموحة إلى تدريس العلم فى المعاهد وكانت هذه كل أمانيها لا أفضل على تدريس العلم شيئا من الوظائف الأخرى ولذلك لم تنصرف نفسى إطلاقا إلى طلب وظيفة أخرى سوى

هذه طول حياتى، ولما قلقت على مستقبلى طبعت مذكرة بقضيتى ورفعتها إلى شيخ الإسلام عساه يتذكر وصية الشيخ برعايتى وكانت هذه المذكرة واضحة وطلبى فيها معقولا لأنهم عينوا واحدا بعدى بسبب الوسائط ولما رفعت المذكرة لشيخ الإسلام كانت أول كلمة فاجأنى بها بعد أن اطلع عليها أن قال لى "من الذى كتب لك هذه المذكرة" فكدت أصعق من سماع هذه الكلمة وكانت لغتها قوية ومتماسكة فلما سمعت منه هذه الكلمة عرفت نيته نحوى فانصرفت من بين يديه يائسا من مستقبلى ثم رفعت مذكرتى إلى رؤساء الكليات واحدا واحدا عساهم يشفعون لى عند شيخ الإسلام فبعضهم وعدنى وردنى ردا جميلا، وبعضهم ردنى ردا سيئا، ولما شعرت بأن رجائى قد انقطع من شيخ الإسلام صبرت واحتسبت ثم لم أشعر بعد ذلك بقليل إلا وطلبة الأزهر جميعهم خرجوا عن بكرة أبيهم على الشيخ الظواهرى، وأنزلوه من فوق كرسيه، وحطموه وأقعدوه فى بيته، فأدركت أن عدم سماعه لوصية الشيخ ولما اكتنفها من التأكيد وإهماله لقوله إن الذى يغضبنى يغضبه والذى يرضينى يرضيه ربما كان هو السبب المباشر فى إسقاطه والخروج عليه وتحطيم كرسيه والله أعلم فاعتبرت ذلك من كراماته رضى الله عنه

ومن كراماته رضى الله عنه

أن السيدة والدة زميلى مرضت فى الأرياف – فاستأذن زميلى الشيخ فى أن يحضرها له بنفسها لزيارته ليحصل لها ببركة الشفاء فقال له لا تحضرها يا شيخ محمد، ثم قال له (نحن ليس لنا إلا فى الخضرة) فعلم زميلى أنه لابد أن تموت فى مرضها، وفعلا ماتت بعد ذلك بشهرين فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أن إحدى السيدات من قريباتى كانت فى زيارة مع زوجها، فقال لها الشيخ ما هو الذى يلعب أمام عينيك؟ وكان والدى جالسا فرد عنها والدى وقال له عن الذى

يلعب أمام عينيها هو "البرقع" الذى تغطى بها وجهها – وكان على وجهها برقع – وعليه قطع من الذهب اللامع بعضها يسمى "مجرا" وبعضها يسمى "غوازى" على عادة "الشراقوة" فقال الشيخ لوالدى أنا لا أسألك وإنما أسألها هى وكانت حيية فاستحت أن ترد على الشيخ ولما انصرفنا من زيارة الشيخ قالت لنا إن الذى كان يلعب أمام عينى هى طيور كثيرة فوق سرير الشيخ كانت كأنها تتمرغ فوق ستارة السرير وتلعب من فوقه ألعابًا غريبة. أما نحن الجالسين جميعا فلم نر طيورا تلعب ولم نر مطلقا أى شيء من الطيور فى حجرته لا قبل ولا بعد هذه المرة فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أن الشيخ محمد الشاذلى من بلدة (تفهنا العزب) حضر عنده وشكى إليه أنه قد مضى على زواجه ثلاث سنوات ولم يرزق بمولود فقال له سيرزقك الله بمولود فى هذه الليلة وكانت زوجته معه فى مولد السيد البدوى ثم قال له إذا ولد لك هذا المولود فسمه محمد الشريف على اسم الشيخ فقارب أهله فى نفس الليلة التى كان يزور فيها الشيخ فرزقه الله بمولود بعد تسعة أشهر من هذه الليلة أسماه (محمد الشريف) فكان ذلك من دقائق كراماته، والشيخ محمد الشريف الآن خطيب وإمام مسجد تفهنا العزب.(رضى الله تعالى عن سيدى داود العزب).

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى أخذت له أصغر إخوتى وقلت له إنى أريد أن أنسبه فى طلب العلم بالجامع الأحمدى فقال لى انسبه فى طلب العلم بالجامع الأحمدى وإن شاء الله يأخذ العالمية وهو لابس هذه العمامة على رأسه فألحقته بالمعهد الأحمدى فأخذ العالمية وهو الآن مدرس بالمعهد الأحمدى فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه.

(وأخوه هذا هو أستاذنا الشيخ محمد صابر حجاب رضى الله تعالى عنه)

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه طلب منى أن أقرأ أمامه سورة طه فقرأتها عليه ولم أنس فيها كلمة واحدة، ثم من باب المصادفة فى ثانى يوم من قراءتها أمامه طلبت منه أن أتزوج من كريمة ابنه السيد أمين الشريف فسكت ولم يجب زميلى الذى جعلته الواسطة فى الكلام بينى وبينه فكررت الطلب وأنا جالس لأن رغبتى كانت شديدة فى مصاهرته، بل إننى صممت فى نفسى على أننى إن لم أتزوج من هذا البيت فلا أتزوج نظرا لعدم صلاحية نساء هذا الزمان للزواج منهن، فقال لى الشيخ اقرأ سورة طه وكنت كما قلنا قرأتها عليه قبل هذا الطلب بيوم واحد فلم أنس فيها كلمة واحدة، فشرعت فى قراءتها حتى بلغت قوله تعالى ﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾(١) ثم وقفت وأغلق على ولم أعرف ما بعد هذه الكلمة فرد الشيخ على وقال: ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥ ﴾(٢) وقد مضى على هذه المسألة أربعون سنة وكان نصيبى من الزواج ما تضمنته هذه الكلمة التى وقفت عليها "لا مساس" مع أنى كنت متزوجا من قبل، فلله الأمر من قبل ومن بعد، فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه.

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه قال لى ولزميلى قبل وفاته بأسبوع كأنى أنظر إليكم وأنتم تقلبوننى بين أيديكم وأنا استحى منكم فحدث بعد أسبوع أن مات وبطريق المصادفة حضرنا غسله، وكنا نقلبه بين أيدينا وهو يستحى منا، ولكنا لم نشعر باستحيائه، أسبغ الله عليه وافر رحمته وعظيم رضوانه.

وإذا كانت هذه الكرامات لا تغنى من ينكر الكرامات فلا أغناه الله بغناه فى الدنيا ولا فى الآخرة، ومن كلامه لى قبل وفاته أنه قال لى "لا نصيب لنا فى الدفن فى

---

(١) سورة طه: ٩٧.

(٢) سورة طه: ٩٧.

أضرحة أو مقامات " وقد رغبنا فى أن يكون حظنا من ذلك فى الآخرة، ودفن بمقبرة الظواهرى بمقابر مدينة طنطا سنة ١٩١٩م.

وله رضى الله عنه كرامات أخرى لازلت أذكرها ولكنى راعيت جانب الاختصار، منها أن أحد زملائى فى الفصل الممتازين بالعلم والذكاء كان قد أخطأ فى إجابته على أسئلة المنطق فى السنة الحادية عشرة فلم تكن إجابته مطابقة للأسئلة فأدى ذلك إلى سقوطه فى المنطق.

فذهب إلى الشيخ واشتكى إليه خطأه فى الإجابة بسبب سبق نظره إلى مسألة غير المسألة المطلوب الإجابة عنها، وكان الشيخ يعلم أنه طالب مجد، فقال له الشيخ: لا تتكلم الآن معى، لأن النبى ﷺ حضر الآن، فقال له أوصه على، ثم التزم الصمت وهو جالس فى حضرته نصف ساعة ولم يتكلم معه بكلمة واحدة. وبعد مضى هذه المدة عاد الشيخ إلى الحديث معه فقال له يا شيخ فلان إن النبى ﷺ قد تكفل بنجاحك، وكانت النتيجة قد ظهرت بسقوطه فانصرف من بين يديه ضحى وذهب فى طريقه إلى إدارة المعهد فالتقى ببعض العلماء فى طريقه فأخبره بظهور النتيجة فى الرول وبسقوطه، ولكنه عندما دخل المعهد وجد أن رئيس اللجنة قد أعاد أوراقه إلى لجنة التصحيح ثانية فرأت اللجنة أنه يستحق النجاح على إجابته، وإن كانت إجابته فى ناحية والأسئلة فى ناحية أخرى. وبذلك نجح بعد أن كتب من الساقطين فكان ذلك من كرامات الشيخ رضى الله عنه.

ومنها أن أحد المنتسبين فى القسم العام بطنطا كان قد يئس من أخذ شهادة العالمية وأخذتها أنا قبله مع أنى كنت فى رعايته وأنا طالب صغير فذهب إلى الشيخ واشتكى حرمانه من هذه الشهادة فطلب الشيخ منا أن نقرأ له سورة يس بقصد نجاحه فى العالميه فقرأناها له أمام الشيخ فقال لنا الشيخ إن هذه السورة قد كتبت فى صحيفة الشيخ محمد مكى، ولو كنتم تطلعون على كتابتها لوجدتموها مكتوبة بالخط العربى الواضح الذى يشبه خط المصاحف الكبيرة – ثم قال للشيخ محمد مكى سيأتيك طلب من إدارة الأزهر وتأخذ شهادة العالمية من نفس الأزهر فلم يمض إلا شهران حتى جاءه طلب من

إدارة الأزهر للامتحان فى الشهادة فذهب وامتحن وأخذ شهادة العالمية بعد أن يئس من أخذها فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه.

"ومنها" أن رجلا قرويا شرقاويا طيب القلب سليم النية حضر إلى طنطا ومعه أحد عشر جنيها ليشترى بها بضاعة يتجر فيها. وبينما هو سائر فى السكة الحديدة وجد الناس مجتمعين على محل تجارة رجل يهودى يدعى "أبو طون" وبينهم رجل ينادى فى الناس ويقول "يا بلاش" المتر الصوف بكذا والمتر الحرير بكذا إلى آخره، فدخل القروى هذا المحل واشترى بنقوده المحدودة بضاعة لا يقل ثمنها عن ثلاثين جنيها ولما أراد أن يتسلم البضاعة قال له "أبو طون" اذهب أنت إلى بلدتك ونحن نرسل لك البضاعة بطريق البريد وتصل إليك غدا فذهب إلى بلدته وانتظر البريد أسبوعا وأسبوعين فلم يحضر إليه شىء فجاء إلى "أبو طون" يطلب منه البضاعه أو النقود فقال له قد أرسلتها إليك بالبريد وضاعت على القروى نقوده، فجاء إلى مستغيثا فأخذته إلى الشيخ ولما شكى إليه ضياع نقوده وشكى إليه فقره وبرد الشتاء عليه فى غربته، وحاجته إلى القوت الضرورى قال له الشيخ اذهب إلى مأمور قسم أول وبعد أن تقف أمامه انظر فوق رأسه وقل الكلمات الآتية فى سرك ولا تسمع بها المأمور قل (أنا رجل غريب وفقير والبرد شديد على هاتوا لى فلوسى علشان آخذها وأذهب إلى بلدى) وبعد أن تقول ذلك فى سرك قدم شكواك إلى المأمور فامتثل وذهب إلى المأمور وقال كلماته السرية لمن هو فوق رأس المامور، وقدم للمأمور شكواه العلنية فاستدعى المأمور فى الحال "أبو طون" من محل تجارته فحضر ووقف المأمور على قدميه، وألقى عليه درسا قاسيا استغرق إلقاؤه نصف ساعة واجتمع عليه كل من فى القسم، وأخذ يتهمه بالنصب والاحتيال وهدده بالسجن إن لم يدفع لهذا القروى نقوده على الفور، فما كان من "أبو طون" إلا أن دفع فى الحال عشر جنيهات للشيخ أحمد أبو خليل القروى، وأما الجنيه الحادى عشر فزعم أنه دفعه أجرة لشحن البضاعة، وأنه سيسترجعها بعد ذلك، وببركة الشيخ عادت إلى هذا القروى نقوده بعد أن سلبها هذا النصاب المحتال فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه.

ومنها أن طلب منى أن أحضر لزيارته غدا بعد صلاة الجمعة مباشرة فقلت حاضر إن شاء الله، ولما صليت الجمعة بالمسجد الأحمدى عرضت لى بعض شواغل لا أذكرها الآن عاقتنى من الذهاب إليه عقب صلاة الجمعة مباشرة فاعتذرت بالشواغل التى لا أذكرها الآن فقال لى "تسببت بتأخيرك عن الحضور فى حرمان نفسك" ولم يقل لى من أى شىء حرمت فاعتذرت إليه وبالغت فى الاعتذار، ورجوته فى الصفح عن هذا التأخير القهرى وبعد أن كررت اعتذراى واسترضيته فإذا أنا أشم رائحة ليس لها مثيل فى دار الدنيا إطلاقا، ولم أفهم إلا أنها رائحة الجنة تماما، فكنت استنشق منها، وفى كل مرة أستنشقها تستولى رائحتها على حتى كدت أغيب عن عقلى وكاد شعورى ووجودى يتلاشى عند ذلك، وبعد أن سكت الشيخ وسكت أنا أيضا وسكت زميلى لسكوتنا عاد الشيخ إلى الحديث معى بعد ربع ساعة تقريبا، فانقطعت الرائحة تماما، وعادت الحالة إلى ما كانت عليه قبلها فوددت أن لو أموت وأخرج من هذه الدنيا لأستمتع فقط بشم هذه الرائحة التى تستولى على المشاعر كلها ولا يسع الإنسان معها إلا أن يغمض عينيه ويغيب عن شعوره فى عالم آخر ويفنى عن حسه تماما. وكان زميلى جالسا معى أمامه ولم يشعر بهذه الظاهرة حتى أخبرته بها بعد أن خرجنا فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه.

الأوراد التى تلقيتها عن الشيخ محمد الشريف الشاذلى

وها نحن نقص القارئ شيئا من الأدعية التى لقنها لى لتلاوتها بين العشاءين على أن يقرأ كل دعاء مرتين أو ثلاثة فإن لم يتيسر فى هذا الوقت فبعد صلاة الصبح وهى على هذا الترتيب.

(١) اللهم أنت خلقتنى فلا علم لى، ورزقتنى فلا حيلة لى، وإن حاسبتنى فلا حجة لى، وإن عاقبتنى فلا قوة لى، وإن غفرت لى فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة، اللهم إنى توسلت بك إليك، ولا أحد أمره عليك، إن سألتنى عن ذنبى طلبت عفوك، اللهم إنك سميت نفسك اللطيف، ونبيك محمدا الشريف، وأنا عبدك الضعيف، كيف يخاف عبد

ضعيف وهو بين لطيف وشريف، عصيتك بجهالتى وأنت حليم وجئتك محتاجا وأنت كريم، فرج كربتى، وأقل عثرتى، واعصمنى من عدوى بحرمة اسمك العظيم ونور وجهك الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

(٢) سبحان الله العلى الديان، سبحان الله الشديد الأركان، سبحان من يُذهب بالليل ويأتى بالنهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن، سبحان الله الحنان المنان، سبحان الله المسبح فى كل مكان.

(٣) شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وأنا أشهد لله بما يشهد به لنفسه، وشهدت له ملائكته أولو العلم من خلقه، وأنا أستودع الله هذه الشهادة إلى حين موتى ودخولى قبرى وخروجى منه ولقائى ربى إنه لا تخيب لديه الودائع.

(٤) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد اللهم اخلق فىَّ قدرة على رؤية الطير الذى خلقته من سر الصلاة على النبى ﷺ وجعلته يسبحك بلغات كثيرة، واقدرنى كذلك على سماع تسبيحه إياك بتلك اللغات التى يسبحك بها ثم مره إن شئت أن يحدثنى بلغة عربية فصيحة ويجيبنى بها عما أسأله فيه من تلك اللغات المتعددة رحمة منك وحنانا فأنت حسبى ونعم الوكيل وعلى كل شىء قدير يا هو يا هو يا من لا هو إلا هو يا من لا إله إلا هو– وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

(٥) اللهم افطم جوارحنا عن المخالفات الشرعية وأنفسنا عن المألوفات العادية، وقلوبنا عن الرعونات البشرية، وأسرارنا عن الكدورات الطبيعية وأرواحنا عن التجارات الحسية، وعقولنا عن الخيالات الوهمية.

(٦) اللهم إنى أسألك بنور وجه الله العظيم الـذى مـلأ أركـان عـرش الله العظـيم وقامت به عوالم العظيم أن تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم، وعلى آل نبى الله العظيم بقدر عظمة ذات الله العظيم فى كل لمحة ونفس عـدد مـا فـى علـم الله العظـيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك، يا مولانا يا محمد ياذا الخلق العظيم، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنـا يقظة ومناما واجعله يا ربى روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم.

(٧) اللهم إننى أسألك بنور الأنوار الذى هو عينك لا غيرك أن ترينى وجـه نبيـك محمد ﷺ كما هو عندك آمين.

(٨) اللهم يا ربى بجاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ اجمع بينى وبين محمد بن عبـد الله فى الدنيا قبل الآخرة – وقال لى الشيخ إن هذه الصيغة الأخـيرة إذا تليـت سبعة آلاف مرة بعد صلاة الفجر بدون أن يتكلم بعد الصلاة فإن تاليهـا يـرى المـصطفى ﷺ يقظـة، وقد جربتها فوجدتها صحيحة.

(٩) الصلاة والسلام بعدد ما فى علم الله عليك وعلى آلك يا سيدى يا رسول الله أدركنى سريعا بعزة الله.

(١٠) اللهم انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

(١١) اللهم أرنى الحق حقا فأتبعه وأرنى الباطل باطلا فأجتنبه.

(١٢) يا حى يا قيوم باسمك الحى أحيا وباسمك القيوم أقوم.

(١٣) يا رب كل شىء بقدرتك على كل شىء اغفر لى كل شىء ولا تسألنى عن شىء.

(١٤) يا نور كل شىء أنت الذى فلق الظلمات نوره.

(١٥) يارب كن لى يارب كن لى.

(١٦) اللهم عرفنا إياك حق المعرفة.

(١٧) اللهم إنا نسألك من فضلك أنت.

(١٨) اللهم زدنى من نعمائك ومُنَّ عليَّ بلقائك فى الحياة وبعد الممات بجاه سيدنا محمد سيد السادات، صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى جميع الأوقات آمين.

(١٩) اللهم إنى أسألك يا الله يا رحمن أن تفتح على بمعانى القرآن الأربعة ظاهرهُ وباطنهُ حدُّهُ ومُطَّلَعُهُ.

(٢٠) يا ودود يا ودود، ياذا العرش المجيد يامبدئ يا معيد يا فعالا لما تريد،أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التى وسعت كل شىء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى، تقال هذه الصيغة من قوله يا ودود إلى آخرها سبع مرات.

(٢١) اللهم صلِّ وسلم وبارك دائما أبدا يا إله الكل على سيدنا محمد سيد الوجود وحقيقة الكل، من أرسلته يا مولانا رحمة للكل وفضلته يا خالق الكل على الكل، وعلى آله وأصحابه الكرام الكل. فى كل لمحة ونفس يا إلهى عدد الكل وبجاهه اشغلنى بك وبه يا ربى عنى وعن الكل.

(٢٢) اللهم اكشف لى عن غوامض سر اسمك الله حتى أصل به إلى مشاهدة مسماه، وافنى فيه عمن سواه حتى لا أشهد إلا أياه واحشرنى بفضلك مع الذين عليهم أنعم الله.

(٢٣) استغفرك اللهم ربى منى، تب على يا تواب منى خذنى إليك يا إلهى منى أنت أولى بى يا ولى منى "تولانى" بولايتك يا مولاى وخلصنى لك من كل شىء وافننى فيك عن كل شىء سواك وابقنى بك يا باقى واعف يا عفو عما كان وما يكون منى وصل وسلم وبارك دائما أبدا على المصطفى وآل المصطفى، وبجاهه يا الله تقبل منى.

(٢٤) إلهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا وابتليتنى فلم تجدنى صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر. ولا أنت أدمت الشدة بترك الصبر إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم.

(٢٥) اللهم إنى توسلت بك إليك وأقسمت بك عليك أن تنصر المؤمنين على القوم الكافرين.

(٢٦) اللهم ارحم أمة سيدنا محمد ﷺ، اللهم أصلح أمة سيدنا محمد ﷺ. اللهم فرج عن أمة سيدنا محمد ﷺ.

(٢٧) اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

(٢٨) اللهم إنى أسألك المتابعة لرسولك ﷺ فى الأقوال والأفعال.

(٢٩) يا ولى الإسلام وأهله أمسكنى بالإسلام حتى ألقاك به.

(٣٠) اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب.

(٣١) يا لطيف أنت لك فى كل بلوى تصريف.

(٣٢) يا لطيف فوق كل لطيف الطف بى فى أمورى كلها كما أحب ورضنى فى دنياى وآخرتى.

(٣٣) اللهم رضنى بقضائك حتى لا أحب تأخير ما عجلت ولا تعجيل ما أخرت، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم آمين.

(٣٤) اللهم خذنى من نفسى واسلبنى عن حسى، واختطفنى من بين أبناء جنسى، وارفعنى إليك ثم ردنى على وقربنى لديك يا كريم – وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم آمين.

(٣٥) اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

(٣٦) اللهم اقذف فى قلبى من نورك ما أدرك به أسرار ملكك، وأشاهد به غيب

ملكوتك وألاحظ به صفات جبروتك يا كريم.

(٣٧) لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

(٣٨) اللهم إنى أشكرك وأحمدك كما حمدت به نفسك.

(٣٩) الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويدافع نقمه ويكافىء مزيده.

(٤٠) الحمد لك والشكر لك ما دامت النعمـاء لـك اغفـر لعبـد قائـل، الـذنب لى والعفو لك.

(٤١) نحن بالله عزنا - وبالحبيب المقرب لا فيهما عز نصرنا، لا بجاه ومنصب، ومن أراد ذُلّنا، من قريب وأجنبى، سيفنا فيه قولنا، حسبنا لله والنبى.

(٤٢) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله علـيكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيـديهم عـنكم واتقـوا الله وعلـى الله فليتوكـل المؤمنون.

(٤٣) قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون.

(٤٤) الله الله إلى مالا نهاية له، وقد أخبرنى بأن الذى لقنه اسم الله هو السيد محمد الإدريسى عن شيخه السيد أحمد الأدريسى عن سيدى عبد الوهاب التـاز، عـن سـيدى عبد العزيز الدباغ عن الخضر عليه السلام عن رسول الله ﷺ، وكـان يقـول لـيس بينـى وبين النبى ﷺ إلا خمسة شيوخ فقط - أما سيدى أحمد البدوى فليس بينـه وبـين رسـول الله ﷺ واسطة أصلا نفعنا الله بهم وأمدنا ببركاتهم.

رسالة فى الأدلة على ثبوت التوسل بالأنبياء والمقربين أحياء أو أمواتا

رأينا أن نختم هذا الكتاب برسالة مختصرة نثبت فيها مشروعية التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالأنبياء والصالحين أحياء أو أمواتا لتكون بمثابة إيضاح وإرشاد لهؤلاء الذين ارتكبوا فى دينهم أبشع منكر وأشنع جريمة بتكفيرهم إخوانا لهم فى الإسلام

وإلحاقهم بعبدة الأصنام لا لإثم ارتكبوه ولا لذنب فعلوه بل لأنهم يباشرون حقا مشروعا، وأمرا مطلوبا، طلبه الله من كل مسلم يؤمن بالله ورسوله. وحث عليه الرسول فى أكثر من موضع من أحاديثه الشريفة، فقد أمرنا الله أن نطلب إليه الوسيلة أى نطلب ما نتوسل به إليه من كل ما يقربنا إليه - وأمرنا أن نشفع لنؤجر على شفاعتنا وأمرنا أن نتعاون فى قضاء مصالحنا وحاجياتنا فإذا امتثل الناس هذه الأوامر وجدوا السبيل إلى ربهم فى نبى من أنبيائه أو فى عبد من عباد الله الصالحين سواء أكان ذلك وهو فى حال حياته البدنية أو فى حال حياته الروحية فاتخذوه وسيلة إلى الله، فكانت النتيجة أن دلهم على الله وبين لهم طريقه وعرفهم به حتى عرفوه بصفاته التى جاء بها القرآن وأرشد إليها سيد الأكوان عليه الصلاة والسلام فازدادوا بذلك إيمانا على إيمانهم وازدادوا إخلاصا لله فى العبودية، وإقرارا لله بالتوحيد الخالص واعترافا له بالألوهية المطلقة والانفراد المطلق - فمن الجهل - ومن الحمق بل ومن الخروج على الدين أن يقول هؤلاء المعترضون عمن يعرفون الناس بربهم كالبدوى وغيره، إنهم كالأصنام وأنهم كهبل فى الجاهلية واللات والعزى عند المشركين - ومن عمى البصائر أن يستبيح لأنفسهم هؤلاء المعترضون أن يقولوا عمن عرفوا ربهم على أيدى هؤلاء إنهم مشركون بالله، ومن الجمود والجحود أن يسووهم بعبدة الأوثان والأصنام - هذا هو منطق المعترضين، وهذا هو واقع حال هؤلاء المقربين الصادقين، وإذا كان وضع الأمور فى نصابها هو ما ذكرناه فإنى أنصح لهؤلاء المعترضين أن ينطقوا بالشهادتين وأن يجددوا إيمانهم بالله ورسوله، وأن يجددوا أيضا عقودهم التى استحلوا بها حرمات الله، ولو أن المعترضين استعملوا عقولهم، وحكموا ضمائرهم، بنظرة واحدة صادقة تكشف لهم أحقية مذهبهم أو بطلانه لأراحوا أنفسهم من عناء المخالفات والمجادلات والتسفيهات التى يرتكبونها والكفريات التى يبوءون بها فإذا كانوا يرون أن الوسيلة الموصلة إلى الله التى عناها الله فى قوله ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[1] هى فى أعمالهم التى يعملونها

---

(١) سورة المائدة: ٣٥.

وتطوعاتهم التى يقدمونها، فعليهم أن ينظروا بعقولهم هل هذه الوسيلة التى دافعوا عنها وقاتلوا فى سبيلها حققت الغرض منها وأدت إلى النتيجة المطلوبة لهم فأوصلتهم حقا إلى ربهم أو أوصلت فردا واحدا منهم إلى ربه فى هذه البضعة قرون فإن وجدوا أن الأمر كذلك وأن هذه الوسيلة قد أوصلتهم حقا إلى ربهم أو أوصلت ولو فردا واحدا منهم إلى ربه لنستدل به على صحة وسيلتهم فعليهم أن يعضوا علي هذه الوسيلة بالنواجذ وعليهم أن يدافعوا عنها وأن يتمسكوا بها بكل أنواع التمسك وإن وجد هؤلاء المعترضون أن وسيلتهم لم تحقق لأحد منهم غرضا ولم تؤد ولو بواحد منهم إلى نتيجة موصلة إلى الله مع تقادم العهد وتطاول السنين، فعليهم أن يبحثوا عن الوسيلة السليمة التى تؤدى بهم أو بأحدهم إلى الغرض وتوصل إلى النتيجة التى انتهجها العقلاء الصادقون فأوصلتهم إلى ربهم وعرفتهم به جل شأنه.

وإنما كان وسيلة هؤلاء المعترضين غير مجدية لأنهم يعتمدون فى معرفة ربهم على أنفسهم ومجرد أعمالهم ويقطعون النظر عن رسولهم والمقربين إلى ربهم ويريدون أن يدخلوا البيوت من غير أبوابها والله يقول ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾[1] والشاعر يقول مخاطبا الرسول ﷺ:

وأنت باب الله أى امرىء   أتاه من غيرك لا يدخل

ومن العجيب حقا أن يكون الرسول هو الذى عرف الناس الطريق إلى ربهم – ثم يسبقه هؤلاء على الأبواب ويقولون نحن أعرف من غيرنا بالوسيلة التى توصلنا إلى ربنا، وإنى أتحدى هؤلاء المعترضين الذين يحكمون بالكفر على كل من جعل الرسول وسيلة إلى ربه أن يذكروا لنا أن فردا واحدا من فئتهم الباغية رئيسا كان أو مرءوسا سيدا كان أو مسودا استطاع بوسيلته أن يصل إلى ربه أو أن يعرفه بذاته أو صفاته التى دلت عليها آياته وأثبتها له المرسلون، أتحداهم تحديا علنيا صريحا لأنى اطلعت على ما كتبه ساداتهم وكبراؤهم الأولون ومقلدوهم الآخرون فوجدتهم يتخبطون ولايدرون بما

---

(١) سورة البقرة: ١٨٩.

ينطقون فى الأحاديث والآيات التى تتعلق بالذات والصفات، ويذهبون فى فهمها إلى ما ينبو عنه العلم ويسخر منه أهل المعرفة الصادقون نعم إن لهم أَلْسِنَةً ناطقة، وقوة منطق فى التعبير، وقوة بيان، ولكنه منطق أجوف، وبيان لفظى مسلسل هو أبعد فى الحقيقة عن الحقيقة بعد المشرقين، يجب على هؤلاء المعترضين أن يعرفوا الفضل لأهله وأن يعلموا أن الوسيلة التى ذكرها الله فى قوله ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ليست قاصرة على الأعمال التى يقدمها العباد من صلاة وصوم ونحوهما بل ربما كانت الوسيلة التى يطلبها فى هذه الآية غير الصلاة والصوم ونحوهما لأن الله تعالى قال قبل قوله ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾(١) ، فأوصى المؤمنين بتقوى الله وليست تقوى الله كما قلنا غير مرة إلا الأعمال الصالحة ولو مندوبة وترك المعاصى ولو صغيرة فإذن يكون قوله، وابتغوا إليه الوسيلة، بعد أن أوصاهم بالأعمال الصالحة مباشرة مرادا به أمر آخر غير الأعمال الصالحة وإذا بحثنا وأمعنا فى البحث عن وسيلة تقربنا إلى الله غير الأعمال الصالحة فلا نجد هذه الوسيلة إلا فيمن عرفنا بالله وهدانا إلى الله ودلنا على الله وهو أقرب المقربين إليه وهو رسول الله ﷺ نعم لا نجد هذه الوسيلة إلا فى حضرته وإلا فيمن توسلوا إلى الله بحضرته فعرفوا الله بوسيلته وهم أولياء الله المقربون ونعود إلى ذكر الأدلة فنقول.

الدليل الأول هو قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٢) وقبل أن نخوض فى الدليل يجب أن نقرر حقيقة واقعة تتصل بالدليل وهى أن الله قد أنشأ الناس جملة إنشاءات، وطورهم أطوارا أربعة كل طور منها مغاير لسابقه ومفضول بالنسبة للاحقه زمانا وقوة فى الحياة (الطور الأول أو الإنشاء الأول) هو إنشاؤهم فى بطون أمهاتهم وإحياؤهم فيها حياة محصورة وقاصرة ومحدودة ببضعة أشهر أو تزيد (والإنشاء الثانى) هو إنشاؤهم فى

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٨.

(٢) سورة النساء: ٦٤.

حياتهم الدنيا إنشاء بدنيا وهو إنشاء أوسع مدى من سابقه إلا أنه محصور أيضا وقاصر ومحدود بستين عاما أو تزيد (والإنشاء الثالث) هو إنشاؤهم فى حياتهم البرزخية إنشاء روحيا وهو أوسع مدى من سابقه ولا يقل فى قوته عن لاحقه وهو أيضا محصور ومحدود بعمر هذه الدنيا وقد بين النبى ﷺ عمر هذه الدنيا بأنه سبعة أيام كل يوم ألف سنة مما تعدون ونحن فى أواخر اليوم السابع من عهد آدم عليه السلام إلى الآن. فالأرواح التى كانت محبوسة أو مقيدة فى حركاتها بالبدن أى فيمالا يزيد عن نصف متر مكعب من غلافها البدنى انحصرت فيه حواسها من سمع وبصر أصبحت بعد انعدام البدن وتخلصها من سجنه أصبحت طليقة فى أرجاء هذا الكون الفسيح فتراها سابحة غائدة رائحة على شكل الكواكب النيرة. لاسيما الأرواح المطلقة غير المقيدة بمعاصيها والأرواح الكبيرة، وأحيانا تبدو صاعدة هابطة سائرة إلى حيث تبغى وتريد. وهذه الأرواح الكبيرة محتفظة تماما بعلومها ومعارفها وبكل صفة كانت عليها فى الدنيا وبكل غريزة من غرائزها التى كانت عليها والتى كانت بها فى أنظار الناس وتعرف بها عندهم لم يتغير بموت البدن شىء من ذلك فى الروح حتى الصوت والنبرات والتقطيعات كل ذلك باق على ما كان عليه قبل الموت وتزيد على ذلك باطلاقها وعدم حبسها فى هذا السجن الضيق الحقير فبالموت أصبحت طليقة فى كل شىء ومن كل قيد تسمع سمعًا غير مقيد وتبصر إبصارا غير محدود؛ فتسمع كل شىء فى هذا الكون إذا توجهت إليه، وتبصر كل شىء فى هذا الكون إذا أحدقت إليه.

وأضرب لك مثلا لذلك بروح النائم إذا خمد البدن بالنوم وانفصلت هى عنه تراها تسمع كل شىء فى السموات أو فى الأرض إذا توجهت إليه، وتبصر كل شىء فى السموات أو فى الأرض إذا أحدقت إليه فيرى العرش وهو نائم فى الحجرة ويرى الكرسى وأحيانا يرى الله سبحانه وتعالى ويرى رسوله وغير ذلك مهما بعد أو قرب ولو كان النائم فى طرف من أطراف الدنيا وناداه وهو نائم رجل فى طرفها الآخر لسمعت روحه هذا النداء وأجابته وخاطبته كما هو معروف عند كل الناس وأنت بنفسك تسمع صوتك ونبراتك وأنت نائم هى بعينها الصوت والنبرات التى تكون منك

لو كانت عضلات لسانك هى التى تتحرك مع أنها لم تتحرك وأنت نائم. فشأن الأرواح أنك إذا كنت فى طرف الدنيا وهى فى طرفها الآخر أبصرتك، وإذا ناديتها أجابتك ولعل فى كل هذا ما يوضح معنى قوله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[1] ولذا قال النبى ﷺ فى قتلى قليب بدر والذى نفسى بيده إنهم لأسمع منكم، وهم أيضا أبصر من الأحياء كما علمت - لأن سماع الأرواح وأبصارها بذواتها - وسماع الأبدان وإبصارها بآلاتها وما كان بالذات أوسع مدى مما كان بالآلات كما فى سماع النائم وإبصاره وإذا علمت أن الأرواح بعد الموت أسمع وأبصر وأقوى حياة وأوسع مدى مما كانت عليه وهى منحصرة فى أقفاصها البدنية فإنا نعود بالقارئ إلى بيان الاستدلال بهذه الآية على مشروعية التوسل بالأنبياء والصالحين فنقول: حث الله الناس على التوسل برسول الله ﷺ فى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ حيث ربط سبحانه قبولهم عنده باستغفاره لهم عليه الصلاة والسلام فقبولهم عند الله مشروط باستغفارهم ثم باستغفار الرسول لهم بعد ذلك فوجب بدلالة النص أن نسعى إلى حضرة الرسول ونستعين به على إزالة ما أحاط بنا من رجس وحاق بنا من فسوق.

وما دمنا متمسكين بهذه الوسيلة وملتزمين باب الرسول ﷺ وأعتابه فلن يمسنا بعد ذلك سوء ولن يلحقنا بعد ذلك وصب ولا نصب بدليل ﴿ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ والتوسل بالرسول باق ما بقيت السموات والأرض، وما بقى الناس، وما بقى القرآن، وما بقيت نبوته، وإن تقييد ذلك بحال حياته الدنيوية تحكم واضح لأنه لا فرق بين حياة وحياة، وقد علمت أن الأرواح بمفارقتها للبدن وخروجها من سجن البشرية إلى حالة الإطلاق أقرب من ربها، وأرجى فى نفعها من الأرواح المحجوبة ببشريتها والمشغولة بالمحافظة على آدميتها.

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

وإن الموت ما هو إلا انتقال من حياة مقيدة إلى حياة مطلقة ومن حياة بدنية إلى حياة روحية، وإذا انضم إلى ذلك أن الله هو الذى أجرى الخير على أيدى الأنبياء والمقربين فى حال حياتهم إكراما لهم فيكون إجراء الخير على أيديهم بعد مماتهم أبلغ فى إكرامهم، وأظهر فى مجازاتهم على ما قدموا من أعمال صالحات وبذلوا فى سبيله وابتغاء مرضاته من تضحيات. نقول إذا انضم هذا إلى ذلك تأكد السعى إلى الأنبياء والمرسلين ولزمنا أن نتخذ العمل الصالح عدتنا والرسول ﷺ عمدتنا فى التوسل إلى الله وطلب القربى إليه - وكذلك الأولياء والصالحين لأن الحكمة التى من أجلها حث الله الناس على التوسل بحضرة الرسول هى بعينها ثابتة فى شأن الأولياء والمقربين وهى شدة قربهم من الله فوجب أن نسعى إلى الأولياء والصالحين كما نسعى للأنبياء والمرسلين.

ومما يدل على أن التوسل بالأولياء كالتوسل بالأنبياء، أن الاستغفار للغير ليس خاصا به ﷺ لعدم دليل خصوصية ذلك به عليه الصلاة والسلام فدلت الآية بعمومها على مشروعية التوسل بالأولياء والمقربين.

مغالطة المعترضين فى إنكار التوسل بالرسول

أكبر ملجأ يلجأ إليه المعترضون الفاشلون عندما يجابههم الناس بالأدلة الدامغة على ثبوت التوسل بالرسول فى حال الحياة أو بعدها أنهم يعمدون إلى مغالطة الناس بإحالتهم على مجهول يتذرعون به لإنكار الوسيلة؛ فأكثر ما تسمع منهم وأكثر ما يجرى على ألسنتهم وأكثر ما يتناقلونه فى كتبهم أنهم يتمسحون بالسلف الصالح ويتوارون وراء هذا الستار الصفيق والمجهول السحيق فيقولون إن التوسل بالأموات لم يفعله أحد من السلف الصالح وهو بدعة محدثة وضلالة منكرة لم تكن فى خير القرون وإنما كانت فى القرون المحدثة مع قرن الشيطان.

وليت شعرى من الذى أطلعهم على أن السلف الصالح لم يتوسلوا إلى الله برسول الله ﷺ، ومن الذى يقول إن كل ما يفعله السلف يجب أن ينقل إلى الناس ليعلمه الناس

وليطلعوا عليه وليعملوا بمقتضاه وهل السلف الصالح مشرعون حتى تنقل إلينا أخبارهم وتوسلاتهم إلى الله، من الذى يعرف منكم الالتزامات التى كان السلف الصالح يلتزمونها فى عباداتهم ومناسكهم والعادات التى كانوا يترسمونها فى سيرهم وسلوكهم إلى الله، والتوجهات التى كانوا يتوجهون بها إلى الله أثناء زيارتهم لقبر رسول الله؟ هل سمعتموهم وهم يزورون رسول الله أنهم لم يتوسلوا برسول الله؟

ولا أخطىء الحقيقة إذا قلت إن السلف الصالح لايمكن أن يفوتهم أبدا التوسل إلى الله برسوله كيف وهو الذى أنقذهم من عبادة الأصنام وهو الذى عرفهم بربهم وأرشدهم إلى توحيده وكان هو السبب فى هدايتهم لنعمة الإيمان، على أن قول المعترضين إن التوسل إلى الله برسول الله لم يفعله أحد من السلف الصالح مغالطة مكشوفة فقد فعله السلف الصالح ووقع فى خير القرون ونقله إلينا المؤرخون فها هى المقالة التى نقلها القاضى عياض بين الإمام مالك وبين الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور[1] دليل صريح على أن التوسل بالأموات فعله السلف الصالح وأرشد إليه إمام مجتهد فى خير القرون، فقد سأل أبو جعفر المنصور الإمام مالك وهو فى إحدى زياراته لرسول الله ﷺ فقال له يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ فقال له الإمام مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى ثم تلا الإمام مالك قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.

وما قاله الإمام لأبى جعفر دليل واضح على استواء التوسل به فى حياته الدنيوية وفى حياته البرزخية وهذا هو ما ذكرناه فظهر أن قول المعترضين إن التوسل بالأموات لم يفعله أحد من السلف الصالح مغالطة واضحة فقد أرشد إليه رئيس دينى وفعله حاكم سياسى وخليفة للمسلمين والناس على دين ملوكهم، وما روى عن العتبى وهو من شيوخ الإمام الشافعى رضى الله عنهم يدلنا دلالة قاطعة أيضا على أن الناس فى

خير القرون كانوا يذهبون إلى رسول الله ﷺ ويتوسلون به إلى الله فقد روى عن العتبى أنه قال كنت جالسا عند قبر الرسول فجاء أعرابى وقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك إلى ربى ثم بكى وقال البيتين المشهورين:

يا خير من دفنت فى القاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسى فداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبى ثم استغفر الأعرابى وانصرف فغلبتنى عيناى فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال يا عتبى الحق بالأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له فخرجت فلم أجده، فترى أن الأعراب كانوا يتوسلون به والملوك والأئمة ومن هم السلف الصالح غير ذلك؟

وقد اتفق الفقهاء على جواز التوسل والاستشفاع والاستغاثة بالأنبياء حال حياتهم وبعد موتهم ودونوا فى كتبهم على اختلاف مذاهبهم فى باب آداب الزيارة أنه يندب فى الزيارة تلاوة آية ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ الآية وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وليت هؤلاء المعترضين خرجوا عن إجماع المسلمين ثم عكفوا على رأيهم وسكتوا إلا أن المصيبة الطامة هى أنهم حكموا بالكفر على كل من خالف رأيهم فكفروا هم بتكفيرهم للمسلمين، وليس لهؤلاء علاج إلا ما قدمنا وهو أن ينطقوا بالشهادتين وأن يجددوا إيمانهم وعقودهم التى يتوقف صحتها على شرط الإسلام.

الشبهة الوحيدة التى يتذرع بها المعترضون فى إنكار التوسل بالأنبياء والمقربين

يقول المعترضون إن التوسل بالأنبياء والأولياء إشراك بالله لأنه لا يفترق عن اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله ولا عن عبادتهم من دون الله، هذه هى الشبهة المقدسة عندهم وهى الشبهة التى يتذرعون بها فى كل مناسبة وبنوا عليها خروجهم على أهل

السنة وجماعة المسلمين، وحكموا عليهم بما حكموا جهلا أو تعنتا فوقعوا فى الخسران المبين. ونحن نتناول هذه الشبهة بالبحث البرىء ليظهر للقارئ هل هؤلاء المعترضون الذين ملأوا الدنيا ضجيجا وعويلا عدة قرون أصابوا أو أخطأوا واتبعوا الحق أو وقعوا فى الإثم العظيم والحرمان المبين فنقول:

اعلم أن القرآن قد حكى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون الأصنام أندادا لله رب العالمين وقال ردا عليهم ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١)، وحكى عنهم أنهم كانوا يتخذون الأصنام شركاء لله؛ فقال ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾(٢) ورد عليهم بقوله ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(٣) وحكى عنهم أنهم كانوا يعبدونها من دون الله فقال ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾(٤) ورد عليهم بقوله ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ (٥) أى هينا مهينا من قولهم ظهرت بفلان إذا جعلته خلف ظهرك ووليت وجهك عنه فلا تلتفت إليه لمهانته وحقارته، وحكى عنهم أنهم كانوا يتخذونها أولياء من دون الله فقال ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ (٦). ورد عليهم بقوله ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾(٧)وفى القرآن من هذا كثير.

والذى نلفت إليه النظر هو أن ما قصه علينا فى شأن المشركين هل ينطبق على المتوسلين بالأولياء والمرسلين، وهل يوجد فى المسلمين من يعتقد أن السيد البدوى ندا لله رب العالمين أو شريكا له فى ملكه وهل يوجد من يعبده من دون الله. وإذا كان

---

(١) سورة البقرة : ٢٢.

(٢) سورة الأنعام: ١٣٦.

(٣) سورة الأنعام: ١٣٦.

(٤) سورة الفرقان: ٥٥.

(٥) سورة الفرقان: ٥٥.

(٦) سورة الشورى : ٩.

(٧) سورة الشورى: ٩.

الجواب قطعا هو بالسلب وأنه لا يوجد أحد يعتقد هذا الاعتقاد بين المسلمين إذن فما هو الوجه الذى بنى عليه المعترضون هذه الأكذوبة الضالة والفرية المفتراة؟ قالوا إن فى القرآن آية دلتهم على منع التوسل وإنكار الوسيلة بالأنبياء وغيرهم وهى التى أوصلتهم إلى منصة الحكم على المسلمين أجمعين بالشرك وأرشدتهم إلى أنهم ورثة الأنبياء وحزب الله المفلحون، وهذه الآية هى قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (١). هذه الآية هى عدة المعترضين وعمدتهم فى إنكار التوسل وتكفير المتوسلين، وقد تناولت هذه الآية بالبحث وقلبت فيها النظر على كل وجه فلم أجد فيها ما يصلح سندا من قريب ولا من بعيد لما زعموه، وأنت ترى أن فى الآية عقائد ثلاثة للمشركين وكل عقيدة من هذه العقائد الثلاثة لا يمكن تطبيقها ولا انطباقها على أحد من المتوسلين.

(العقيدة الأولى) أنهم اتخذوا الأصنام أولياء فأثبتوا لها الولاية الخاصة به سبحانه وتعالى، وهى الولاية المطلقة التى لا يوصف بها أحد سواه، وهى تسلتزم أو تشعر بأن المتصف بها يقوم بتدبير نظام العالم وتشعر بأنه له قدرة على إيجاده وتشعر بإيصال الضر لمن شاء له الضر وإيصال النفع لمن شاء له النفع هذه الولاية أثبتوها لهذه الأحجار وسجدوا لها وركعوا وفى الوقت نفسه لم يثبتوها لله وحده؛ فلهذا كفروا، والمتوسلون بالنبى أو بالولى لم يثبتوا للنبى ولا للولى الولاية المطلقة الخاصة به سبحانه وتعالى، ولم ينفوا هذه الولاية عنه كما فعل المشركون وكما دل عليه قوله ﴿ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ أى تجاوزوه إلى غيره وهى الأصنام وأثبتوا لها الولاية الخاصة به والمتوسلون لم يتجاوزوا الله إلى غيره ولم يثبتوا لذلك الغير الولاية الخاصة كما فعل المشركون.

وهنا يعلو ضجيج المعترضين ويقولون قد اتخذتموهم أولياء بتوسلكم بهم وسؤالكم

---

(١) سورة الزمر: ٣.

لهم الشفاعة كالمشركين سواء بسواء ويجهلون ولا يعقلون أن اتخاذ الأنبياء والمقربين أولياء هو من اتخاذ الأولياء المشروع الذى أرشدنا الله إليه فى قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾(١). وفى قوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(٢) فاتخاذ الأنبياء والمقربين أولياء هو من الاتخاذ المشروع والمأمور به فى القرآن الكريم واتخاذ المشركين أصنامهم أولياء هو من الاتخاذ المنهى عنه والفرق بين الاتخاذين أوضح من الشمس كما علمت.

وإن شئت أوضح من ذلك فأقول الله اسمه الولى والنبى اسمه ولى لقوله إنما وليكم الله ورسوله والمؤمن اسمه ولى لقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ولا يستريب أحد فى أن الولاية التى يتصف بها الله هى فى معناها وفى حقيقتها غير الولاية التى يتصف بها النبى وغير الولاية التى يتصف بها المؤمن الولى لأن ولاية الألوهية غير ولاية العبيد كما هو واضح. فالمشركون ألبسوا أصنامهم ولاية الألوهية وسجدوا لها وركعوا كما قلنا والمتوسلون ألبسوا النبى أو الولى ولاية العبيد فالمشركون اتخذوا الأصنام أولياء. والمتوسلون اتخذوا المقربين أولياء لكن اتخذوها ولاية ألوهية فكفروا، والمتوسلون اتخذوها ولاية عباد بعضهم لبعض فسلموا والمعترضون عندهم "أن كله عند العرب صابون" فكل من اتخذ وليا فقد أشرك، ولو كان هذا الاتخاذ مما شرعه الله، فضلوا وأضلوا.

(العقيدة الثانية) أنهم علاوة على كونهم أثبتوا الولاية المطلقة لأصنامهم كما علمت أثبتوا لها أيضا صفة الألوهية بدليل قولهم "ما نعبدهم" فكانوا يعظمونها بالركوع لها والسجود واستبدلوا تعظيم الله بالعبادة التى كانوا يعرفونها من شريعة إبراهيم بتعظيمهم هذه الأصنام واعتقدوا فيها أنها تنفع وتضر بذاتها فلهذا كفروا، والمتوسلون بالنبى وبالولى لم يسجدوا للنبى ولم يركعوا للولى ولم يعتقدوا فى واحد

---

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

منهما أنه يخلق النفع أو يخلق الضرر ولكنهم يعتقدون اعتقادا جازما بأن النبى أو الولى يتسبب فى النفع أو فى الضرر، وأن رحمة الله منهم أقرب وبهم أرجى وأن إجابة الله إذا كانت لنا واحدا فى المائة تكون لهم سبعين فى المائة فلهذا يتوسلون بهم ويرجون من الله الخير على أيديهم وليس فى ذلك شائبة ضرر عليهم فى دينهم.

(العقيدة الثالثة) أن المشركين كانوا يعتقدون أن عبادة الأصنام هى التى تقربهم إلى الله كما قال الله تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(١)، فهم يطلبون القربى بطريق غير مشروع قد نهى الله عنه، وهو عبادة الأصنام، والمتوسلون يطلبونها بطريق مشروع أمر الله به، وهو الاستعانة بالمقربين وأين هذا من ذاك؟! فهذه العقائد الثلاثة كما ترى لا يمكن تطبيقها ولا انطباقها على المتوسلين فكان وجه الشبه بين الفريقين غير متحقق وإلحاق أحدهما بالآخر فى محل المنع، والمعترضون لما وجدوا أن الآية لا تساعدهم إطلاقا على تشبيه المتوسلين بالمشركين أخذوا يهرجون ويقولون إن الاستشفاع بالمقربين عبادة والاستعانة بهم عبادة والتوسل عبادة وغايتهم من هذه التمويهات نظم المتوسلين فى سلك عبدة الأصنام وفاتهم أن الاستشفاع والاستعانة والتوسل كلها مأمور بها شرعا فكيف يأمر الله بما هو عبادة لغير الله؟ هذا هو علم المعترضين ومنطق المهرجين يريدون أن يدخلوا ما أمر الله به المؤمنين الموحدين من التعاون، وطلب الوسيلة إليه والاستشفاع بالمقربين لديه فى عبادة المشركين للأصنام فيحرمون ما أحل الله إفكا وإجراما، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ظلما وعدوانا، ويدخلون فى إحكام القرآن مالا يريده القرآن كذبا وبهتانا ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الزمر: ٣.

(٢) سورة الصف: ٧-٨.

الدليل الثانى: على ثبوت التوسل بالأنبياء والمقربين أحياء أو أمواتا قال الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(1) ذكر العلماء أن هذه الآية نزلت فى بنى قريظة وبنى النضير وهم أهل كتاب وكان بينهم وبين الأوس والخزرج وهما من مشركى العرب مشادة ومحادة فى الجاهلية، وقبل أن يولد الرسول ويبعث فكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج أى يستنصرون ويطلبون من الله أن ينصرهم على أعدائهم المشركين متوسلين إليه بالنبى الذى سيبعث فى آخر الزمان والذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوارة فينصرهم الله على المشركين.

وروى السدى فى كيفية استنصار اليهود أى فى كيفية طلبهم النصر من الله أنهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على الموضع الذى ذكر فيه النبى ﷺ وقالوا اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذى وعدتنا أن تبعثه فى آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون، وهذا من أوضح الأدلة على صحة التوسل بإمام العالمين وبالأولياء المقربين أحياء كانوا أو أمواتا لأنه إذا أقر الله فى القرآن هذا التوسل بالرسول قبل أن يولد وقبل أن يبعث وقبل أن تكتب فى صحيفته أعماله الخالدة التى قدمها فى حياته وأعمال أمته لأنه هو السبب الوحيد فيها فلأن يتوسل به بطريق الأولى بعد أن ولد وبعث واكتسب هذه الفضائل التى لا نهاية لها، لكن المعترضين لا يسلمون حتى ما ثبت بطريق الأولى فعندهم أن التوسل برسول الله إشراك، فهل كان اليهود أعرف بمقام الرسول منهم، وهل كانوا أسلم عقيدة وأقرب إلى ربهم من هؤلاء، يهود بنى قريظة وبنى النضير كانوا يتوسلون بالنبى قبل أن يولد ويبعث وهؤلاء يمنعون التوسل به حال موته بعد أن ولد وبعث، ويهود بنى قريظة وبنى النضير كانوا يتوسلون به ويقرهم الله على توسلهم ويستجيب لهم توسلهم بحضرته وهؤلاء يحرمون التوسل ويحكمون بالكفر على من يتوسل بالرسول أو يقول يا رسول

(1) سورة البقرة: ٨٩.

الله فأى الفريقين أعرف بمقام الرسول وأسلم عقيدة وأصدق طوية من هذه العقائد الضالة والطوايا السيئة والسرائر الخبيثة، فاللهم سلمنا من زيغ القلوب وطمس البصائر وأعذنا من مركب النقص الذى يستولى على العقول فتطيش ولا تعى ما تقول.

ومما يثبت التوسل بالأنبياء والمقربين بعد وفاتهم أيضا ما ذكره القاضى عياض عن أبى محمد المكى وأبى الليث السمرقندى وغيرهما أن آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى وتقبل توبتى فقال الله من أين عرفت محمدا، قال رأيت فى كل موضع من الجنة مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له، وحديث استشفاع آدم وتوسله بالنبى ورد من عدة طرق وأخرجه البيهقى والحاكم والطبرانى فى الصغير وأبو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب، ولا مانع من أن يكون هذا التوسل من جملة الكلمات التى تاب الله على آدم بسببها، فهذه كلمة، وقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١) كلمة أخرى وما روى عن ابن عباس من أن آدم قال يا رب ألم تخلقنى بيديك؟ ألم تنفخ فى من روحك؟ إلى آخره كلمة ثالثة.

الدليل الثالث: روى الترمذى وابن ماجه والحاكم عن عثمان بن حنيف وصححه الحاكم أن رجلا ضريرا أتى للنبى ﷺ فقال ادع الله لى أن يعافنى فقال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير قال فادع فأمره النبى ﷺ أن يتوضأ ويحسن الوضوء ويصلى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء "اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة يارسول الله إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى، اللهم فشفعه فى! قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط" وهذا الحديث ليس مخصوصا بالتوسل فى حال الحياة لأن أصحاب رسول الله ﷺ توسلوا بهذا التوسل بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام فقد أخرج البيهقى وأبو نعيم فى المعرفة عن أمامه بن سهل بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى

---

(١) سورة الأعراف: ٢٣.

حاجة: وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته فلقى ذلك الرجل عثمان بن حنيف وشكى إليه ذلك فقال له: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل "اللهم إنى أسألك وأتوجه إلى آخر الدعاء المتقدم فانطلق الرجل فصنع ما قال ثم أتى باب عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة وقضى له حاجته ثم قال له عثمان "ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال جزاك الله خيرا" ما كان ينظر إلى ولا يلتفت إلى حتى كلمته فقال عثمان: ما كلمته، ولكن رأيت النبى ﷺ وجاءه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له النبى إن شئت دعوت وإن شئت صبرت إلى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل بالرسول فى حياته وبعد انتقاله وفعله السلف الصالح وفى خير القرون، وفيه أيضا نداء له يا رسول الله فهل أشرك السلف الصالح بذلك؟

الدليل الرابع: روى البيهقى وابن أبى شيبة بإسناد صحيح أن الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر فجاء بلال بن الحارث إلى قبر الرسول فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا فأتاه رسول الله وأخبره أنهم يسقون، فذهاب هذا الصحابى إلى قبر الرسول وطلبه من الرسول أن يستسقى لأمته فى خلافة عمر دليل صريح على جواز التوسل بالأنبياء والمقربين أحياء أو ميتين وأن التوسل ليس أمرا محدثا كما يقولون بل كان يفعله السلف الصالح فى خير القرون.

الدليل الخامس: قوله تعالى مخاطبا الكفار الذين كانوا يعبدون الملائكة ويعبدون عيسى وعزيرا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾(١) يقول الله لهؤلاء الكفرة العابدين أولئك الذين تعبدونهم من دون الله هم أنفسهم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب منهم إلى الله وأقرب الملائكة إلى ربهم هم رؤساؤهم وأقرب الأنبياء إلى ربهم هو إمامهم فقصركم لها على الأعمال باطل بدلالة النص فيعلم من هذا أن الوسيلة ليست قاصرة على الأعمال الصالحة بلا نزاع بل هى كل ما يقرب إلى الله أن

---

(١) سورة الإسراء : ٥٧.

ثبوت ذلك بنص القرآن.

الدليل السادس: ما ثبت فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبى ﷺ فسقوا. وكان من دعاء عمر اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وإنما لم يستسق عمر بسيد المرسلين ﷺ لأن الاستسقاء عبادة بدنية لابد فيها من صلاة ركعتين سنة الاستسقاء ثم الدعاء من الإمام عقب صلاة الاستسقاء ثم التأمين من المأمومين على دعاء الإمام وشفاعته، ولذلك كان العباس يدعو لهم ويؤمنون على دعائه ويقول "اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم لى لمكانى من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب. ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث وهم يؤمنون على دعائه، فأرخت السماء عليهم مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس".

فلكون الاستسقاء عبادة بدنية مشروعة بادر عمر بامتثالها، وما كان له أن يترك العبادات المشروعة ويكتفى بالتوسل به ﷺ فتركه التوسل به ﷺ لا لأن التوسل به لا يجوز أو لا يستجاب بل لأن مشروعية الاستسقاء تقتضى ما فعله عمر، أما قول المعترضين أن عدول عمر عن التوسل برسول الله إلى التوسل بعمه العباس دليل على أنه لا يجوز التوسل بالأموات فقول هراء لما علمت من ان مشروعية الاستسقاء تقتضى ما فعله عمر - ولولا أن مشروعية الاستسقاء تقتضى ذلك لبادر عمر بالاستسقاء برسول الله ﷺ لا سيما وهو يعلم علما جازما أن اليهود كانوا يستفتحون به قبل أن يولد ويبعث فيفتح عليهم، ويعلم علما جازما أن حياة الرسول الروحية أقوى من حياته البدنية أضعافا مضاعفة وأقوى أيضا من حياة الشهداء ويعلم أن الرسول قد قام بمقام الشهادة أيضا بسبب أكلة خيبر المعروفة، وإذا كانت السيدة عائشة تعلم الكثير عن الحياة الروحية حتى إنه لما مات سيدنا عمر ودفن بجوار أبيها أرخت على وجهها الحجاب بعد دفن عمر، وكانت تذهب قبل ذلك لزيارة أبيها وسيد الوجود سافرة الوجه لأنها فى حضرة أبيها وزوجها ثم أصبحت بعد دفن عمر فى حضرة أجنبى غير محرم فلهذا

أرخت الحجاب على وجهها أفلا يعلم ذلك سيدنا عمر ويعلم ما هو أكثر منه وأكثر وهو المعروف بالمخاطبات الروحية. وخاطب سارية وحذره من أعدائه مخاطبة روحية مع ما بينهما من مسافات شاسعة فالقول بأن عدول عمر إلى الأحياء دليل على أنه لا يصح التوسل بالأموات قول الصم البكم العمى الذين لا يعقلون.

تمييز الحق من الباطل والصحيح من العاطل فى توسل الناس بالأنبياء والأولياء

ذكرنا الأدلة التى تثبت التوسل بالأنبياء والأولياء فى حياتهم البدنية أو الروحية ونريد فى هذا الموضوع أن نبين الأفعال التى يمكن طلبها من الوسائل والأفعال التى لايمكن طلبها من الوسائل بل يجب طلبها من الله فنقول الأفعال التى يطلبها الناس من الأنبياء أو الأولياء إما أن يصح إسنادها إلى الناس كما يصح إسنادها لله فهذه لا شىء فى طلبها من الأنبياء والأولياء مثل قولهم أغثنى يا رسول الله اشفع لى عند ربك عاونى يا سيد يا بدوى على قضاء حاجتى أو نحو ذلك فهذه الأمثلة لا مؤاخذة فى طلبها من هؤلاء؛ لأن الاستعانة طلب المعونة من الغير وهذا الغير إن كان هو الله فالمراد خلق المعونة فى المستعين بالله ليقوى على العمل وإن كان هذا الغير هو العباد فالمراد من معاونتهم هو مشاركتهم لمن استعان بهم فى أعمالهم لتسهل عليهم بالدعاء أو بالمعاونة بالفعل. فلما كانت الاستعانة مما يصح إسنادها إلى الله تارة كما فى إياك نستعين، وإلى العبادة تارة أخرى كما فى قوله ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾(1).. صح أن نستعين بالأولياء.. والأنبياء وأن نستعين بالله رب العالمين، وحديث "إذا استعنت فاستعن بالله" لفت نظر من الرسول إلى طلب الاستعانة المجدية وهى الاستعانة بالله فمعنى الحديث إذا أردت معونة مثمرة ومجدية لا منة فيها من أحد عليك ولا امتنان ولا ينفك عنها حصول ما يطلب لك فعليك بالله إن كنت من الصادقين مع الله وإلا فاقرع أبوابه وأبواب المقربين، إليه ومثله حديث "إذا سألت فاسأل الله" مع أن سؤال الغير لا يمنعه

(1) سورة المائدة: ٢.

أحد - ومثل الاستعانة فيما تقدم الاستعانة بالعباد فإنها كما تسند إلى الله تسند إلى العباد تقول: استغثت فأغاثنى واستغثت بالطبيب فلم يغثنى ويقول الواقع فى ضيق أغثنى يا فلان - ويقول المستغيث «يالله) بفتح اللام ينادى المسلمين ليغيثوه، واستغاث موسى الذى من شيعته على الذى من عدوه فأغاثه موسى. فلما كانت الاستغاثة مما يصح إسنادها إلى الله وإلى العباد صح أن نستغيث بالله وأن نستغيث بالعباد على معنى أن نطلب من الله أن يخلق ما يكون سببا فى تفريج مضايقنا وأن نطلب من العباد أن يتسببوا فى هذا التفريج بالدعاء أو نحوه.

أما الحديث الذى رواه الطبرانى فى معجمه أنه كان فى زمن النبى ﷺ منافق يؤذى المسلمين، فقال الصديق: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فجاءوا إليه فقال إنه لا يستغاث بى إنما يستغاث بالله، فإنه لا ينفى الاستغاثة بالغير بل معناه: إنكم إن أردتم استغاثة مجدية وتؤتى فائدتها المرجوة لكم وهو قصم ظهر هذا المنافق الظالم العاتى، وقطع لسانه عنكم فعليكم بقاصم العتاة الجبابرة، وهو الله أما أنا فلا يستغاث بى هذه الاستغاثة المرجوة لكم، ويمنعنى من تحقيق ذلك نطقه بالشهادتين.

أما الحديث الذى رواه الطبرانى فى معجمه أنه كان طلب الإغاثة فى زمن النبى من الله تستعمل فى طلب الإغاثة من العباد. على أن طلب الإغاثة من العباد رجوع إلى الأسباب، وطلب الإغاثة من الله رجوع إلى مسبب الأسباب فيجوز أن الرسول أراد إرجاع أصحابه إلى مسبب الأسباب، فقال: أنا لا يستغاث بى حقيقة، لأنى سبب من أسباب الإغاثة، والمغيث الحقيى هو مسبب السبب: وهو الله، فاستغيثوا بالله"، ومثل هذا يقال فى قوله: "إذا استعنت فاستعن بالله، وإذا سألت فاسأل الله".

ومثل هذا يقال فى الاستغاثة بالأنبياء والمقربين، فإن أردت أن تطرق باب الأسباب فأمامك الأنبياء والأولياء، وإن أردت الرجوع إلى مسبب الأسباب فعليك بالله، وهكذا القول فى الاستشفاع بالأنبياء والأولياء، وليعلم أن نفى الشفاعة إلا بإذن من الله كما هو مصرح به فى القرآن هذا النفى منصب على الشفاعة المقبولة عند الله التى تجدى وتثمر وتؤتى ثمرها بالفعل، وهذه لا يملكها أحد إلا بإذن الله، أما مطلق الشفاعة فنحن نسألها

بدون أذن منه، كما ندعوه بدون إذن منه، لأنها فى المعنى دعاء للمستشفع، والشفاعة بالإذن ذكرها الله تيئيسا لعبدة الأصنام الذين يجزمون بأن أصنامهم ستشفع لهم ويقطعون بأن شفاعتهم ستجديهم وتنفعهم، وهيهات هيهات. فمن ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه.

وإيضاحا لما تقدم نقول إن إسناد الفعل إلى السبب كقول المؤمن الموحد بالله أنبت الماء الزرع جائز وسائغ شرعا ولا يعاقب عليه عند الله رأسا مع أن المنبت للزرع هو مسبب السبب لا الماء ولكون الماء سببا صح إسناد الفعل إليه.

وبمراعاة هذا الأصل تجد أن هناك أفعالا لاحصر لها يصح إسنادها للسبب كما يصح إسنادها لمسبب السبب، كشفى وأمرض وأصح وأسقم وأعطى ومنع ووصل وقطع وأمات وأحيا ووسع فى الرزق وضيق، هذه الأفعال يصح إسنادها للسبب كشفى الطبيب وأمرض وأصح وأسقم وأعطى الغنى ومنع ووصل وقطع وأمات الطبيب فلانا وأحياه، ووسع فلان على عياله فى الرزق وضيق عليهم.

وعلى هذا الأصل إذا أسندت الفعل الذى تسبب فيه النبى أو الولى إليهما لم تكن مخلا بآداب الدين، ولا خارجا عن الطريق المستقيم ولا مسئولا فى ذلك أمام رب العالمين فإذا قلت شفانى زيد أى تسبب بسؤاله الله فى شفائى أو قلت أعطانى ووسع على أو نحو ذلك لأنه تسبب فى ذلك فهذا لا غبار عليه، إنما الذى لا يجوز ولا يسوغ ويعاقب عليه من الله، هو أن تعتقد أن هذا المخلوق هو الذى خلق الشفاء أو خلق السعة والرزق، أو أوجد شيئا من ذلك بذاته وبدون رجوع إلى الله فإن هذا الاعتقاد شرك صريح ولا يمكن أن يوجد فى المسلمين فرد واحد يعتقد هذا الاعتقاد، وبهذا يمكنك أن تميز الصحيح من الباطل والسليم من العاطل فى توسلات الناس.

فليس البدوى أو غيره فى عقائد المسلمين، إلا أسبابا ووسائل لنيل المقصود وأن الله هو الفاعل لما يريد كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون أو الخالقون ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

---

(١) سورة الصافات: ٩٦.

ولا تجد مسلما واحدا يعتقد أن الميت فى قبره أو روحه المنفصلة عنه تستطيع أن تفعل شيئا أكثر من أن تشفع عند الله لمن أتاه أو استغاث به وناداه وأن الله يتفضل بالغوث كرامة لهذا الولى الذى لجأ إليه السائل مستشفعا أو مستنجدا أو مستغيثا.

فاللهم أغثنا برحمتك، وأنجدنا ببركة أحبابك، وشفع فينا خير أنبيائك واحشرنا بفضلك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. والحمد لله رب العالمين أولا وآخر.

فهرس



مقام السيد أحمد البدوى بمسجده بطنطا

Wael Thabit Designs

المقطم للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ريحان -عابدين-القاهرة
تليفون:٧٩٥٨٢١٥-٧٩٤٦١٠٩ فاكس:٥٠٨٢٢٣٣
e-mail:elmokatam@hotmail.com